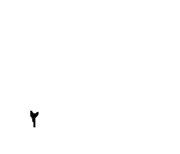
سلسلة الكورد و كوردستان في المصادر التاريخية (٢)

الأيوبيون في كتابات المؤرخين السريان

الدكتور مهدي صالح سليفاني



الأيوبيون في كتابات المؤرخين السريان



سلسلة الكورد و كوردستان في المصادر التاريخية (٢)

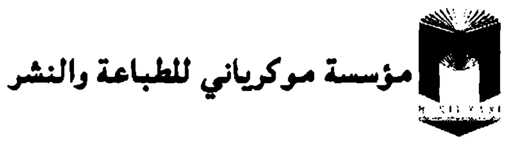
الأيوبيون في كتابات المؤرخين السريان

تاليف

الدكتور مهدي صالح السليفاني



اربيل- ٢٠١٢



- الأيوبيون في كتابات المؤرخين السريان
- تأليف: د. مهدي صالح السليفاني
- التصميم الداخلي: طه حسين
- الغلاف: جيّكر عبدالجبار
- رقم الايداع: ٥٩٣
- السعر: ٣٠٠٠ دينار
- الطبعة الاولى ٢٠١٢
- عدد النسخ: ١٠٠ عدد
- المطبعة: موكرياني (اربيل)

تسلسل الكتاب (٦٧٢)

الموقع: www.mukiryani.com

ئيميل: info@mukiryani.com

المحتـويات

إهـداء

إلـى...

مَنْ أتضرع إليه بحبه لي، وفي محراب صمتي أستسقي الغمام بوجهه... أبـي

مَنْ أرى وجهها الدافئ في انفاس كلماتي، نبع الحنان... أمـي

مَنْ حاورت بأناملها الوردية قيثارة مدوَّنتي. غاليتي... زوجتي

الشموس الندية والأقمار التي تطلع من نافذةِ الألق، أشواقي لكم وفيكم أحزاني، أولادي... سيف وعليشان وئالان

١. لمقدمـة

إحتلت الأسـرة الأيوبيـة مكانـة مرموقـة في تـاريخ المـشرق الإسـلامي خـلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ النصف الثاني من القرن الثاني عـشر المـيلادي، لمـا لعبتـه مـن دور بـارز في أحـداث الـشرق الأدنـى الاسـلامي علـى الصعيدين السياسي والعسكري، ولاسيما في عهد مؤسس الـدول الأيوبيـة صـلاح الدين يوسف بن أيوب (٥٦٧-٥٨٩هـ/١١٧١-١١٩٣م)، ذلك الـدور الـذي أهـل هذه الأسرة أن تشغل موقع الـصدارة بـين الأُسـر الحاكمـة الـتي ظهـرت في الـشرق الأدنى الإسلامي. فقد كان تاريخها محط اهتمام المؤرخين المـسلمين القـدماء الـذين وجدوا في تدوين أخبارها مادة خصبة ضمنوها بطون كتبهم الـتي إتخـذت أحيانـاً من اسم الأسرة الأيوبية عنواناً لها.

أما حديثاً فمـن المعـروف أن مؤلفـات عديـدة في الـشرق والغـرب وبلغـات مختلفـة خصصت للبحث في تاريخ الدولة الأيوبية وشخصية صلاح الدين، لما شكلته هذه الدولة من حلقة مهمة في تاريخ المسلمين في مقاومـة الغـزو الـصليبي، ولكونهـا إحـدى أهـم حلقات مايعرف بالحروب الصليبية التي أثارت الباحثين والمفكرين المسيحيين والمسلمين كل من وجهة نظره، إلا أنه لم نجد دراسة أكاديميـة متكاملة بحثـت تـاريخ الأيـوبيين في مدونات المؤرخين السريان فكل ماتم بحثه سـابقاً عبـارة عـن معلومـات متنـاثرة بـين مطويات عددٍ من البحوث والدراسات ليست مخصصة للبحث في تاريخ الدولة الأيوبية، لذلك ارتأينا البحث بين مؤلفات عدد من المؤرخين السريان للخروج بتـاريخ الأيـوبيين من وجهة نظر هؤلاء المؤرخين.

شارك المؤرخون السريان وبشكل فاعل في تدوين تاريخ الشرق الأدنى الإسلامي لكونهم يمثلون جزءاً أصيلاً من النسيج السكاني لهذه المنطقة له خصوصيته الحضارية من لغة ودين، فجاءت مدوناتهم لتلقي الضوء على تاريخ المنطقة من وجهة نظر أُخرى تختلف عما دونه المؤرخون المسلمون، ومن هنا يأتي سبب اختيار عنوان هذه الأطروحة التي ارتأينا أن نسميها (الأيوبيون في كتابات المؤرخين السريان) بهدف إثراء معرفتنا من خلال قراءة مختلفة لتاريخ الأيوبيين، منذ ظهورهم على مسرح أحداث المشرق الإسلامي. هذا وبعد البحث والتقصي فإننا وقفنا على أربعة مؤرخين سريان تناولوا أخبار بني أيوب في مؤلفاتهم وهم كل من مارميخائيل السرياني (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م) والرهاوي المجهول (كان حيا ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) والمكين جرجس ابن العميد (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م) وابن العبري (ت٦٨٥هـ/١٢٨٥م) ونسعى في هذه الدراسة الى تحليل روايات هؤلاء المؤرخين عن تاريخ بني أيوب ونقدها نقداً منهجياً، ثم مقارنتها مع ما ورد لدى المؤرخين المسلمين متى ما وجدنا في ذلك ضرورة.

أما المنهجة العلمية التي اتبعت في هذه الدراسة فهي تحليلية نقدية قائمة على أساس قراءة الروايات السريانية قراءة دقيقة ومكثفة ثم نقدها نقداً أكاديمياً ومقارنتها بروايات المؤرخين المسلمين لاسيما المعاصرين للدولة الأيوبية وتحديد مكامن الإختلاف والتوافق فيما بينهم للخروج بصورة التاريخ الأيوبي في نظر المؤرخين المسيحيين السريان. ولتحقيق ذلك ارتأينا تقسيم موضوع هذه الدراسة على أساس التسلسل الزمني للأحداث التاريخية الى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

تضمنت المقدمة عرضاً لأهمية موضوع الأطروحة وسبب اختياره وتحليلاً لأهم المصادر والمراجع المعتمد فيها.

الفصل الأول الموسوم بـ (المؤرخون السريان ومصادرهم في تدوين التاريخ الايوبي) قسم الى مبحثين، تناول الأول تعريفاً بالمؤرخين السريان قيد الدراسة وهم أربعة، ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول وابن العميد وابن العبري. حيث وقفنا فيه بشئ من التفصيل

على السيرة الشخصية للمؤرخين والتعريف بكتبهم ومخطوطاتها. اما المبحث الثاني من هذا الفصل فخصص لدراسة مصادر المؤرخين السريان في تدوين أخبار بني أيوب.

أما الفصل الثاني (المؤرخون السريان وظهور الأيوبيين في مصر)، فقد قسم بدوره الى مبحثين ايضاً يبحث الأول في الأصول التي انحدر منها بنو أيوب وبدايات تكوين دولتهم في ضوء المدونات السريانية وعلاقتهم بآل زنكي متضمناً عرضاً لحملات أسد الدين شيركوه الثلاث على مصر. أما المبحث الثاني فيتناول بالدراسة ظهور صلاح الدين على مسرح الأحداث السياسية باستلامه مقاليد الوزارة الفاطمية وما واجهته من صعوبات في بداية حكمه حتى تمكن من إنهاء الخلافة الفاطمية وإعلان الخطبة للعباسيين في مصر.

وتضمن الفصل الثالث الموسوم بـ (المؤرخون السريان والتوسع الأيوبي تجاه بلاد الشام والجزيرة) عرضاً مفصلاً لمحاولات صلاح الدين الأيوبي بناء جبهة متحدة من مصر وبلاد الشام وما صاحب محاولاته تلك من مواجهات سواءً مع الزنكيين أم الصليبيين حتى تمكن في نهاية المطاف من فرض سيطرته على معظم أجزاء بلاد الشام والجزيرة استعداداً للمعركة الفاصلة التي كان يعد لها منذ زمن، وتناول هذا الفصل ايضاً أحداث الحملة الصليبية الثالثة وما تمخض عنها من نتائج ألقت بظلالها على الصليبيين والمسلمين على حدٍ سواء.

وتناول الفصل الرابع والأخير بـ (المؤرخون السريان والدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين) وقد قسم الى مبحثين، تضمن المبحث الأول تقصي تاريخ الأيوبيين بعد وفاة صلاح الدين من خلال ما عرضه المؤرخون السريان وتأثير ذلك على الكيان السياسي الأيوبي الذي تعرض لعدد من المحاولات الهجومية من قبل الزنكيين والصليبيين الذين حاولوا استغلال غياب قيادة موحدة للأيوبيين لتحقيق مكاسب سياسية وعسكرية حتى تمكن الملك العادل شقيق صلاح الدين من السيطرة تماماً على السلطة في الدولة الأيوبية، في حين تناول المبحث الثاني مادونه المؤرخون السريان عن بني أيوب وتوحيد الجهود لمواجهة الحملة الصليبية الخامسة، وما تلا ذلك من صراعات أسرية انتابت الدولة الأيوبية بعد وفاة الملك العادل، وتضمن أيضاً تسليط الضوء على العلاقة بين

الملك الكامل الأيوبي والإمبراطور فريدريك الثاني خلال الحملة الصليبية السادسة وما نجم عنها من تسليم بيت المقدس للصليبيين.

تحليل لأهم مصادر البحث:

لقد اعتمدت هذه الدراسة على عدد من المصادر الأولية والمراجع الحديثة التي أغنت البحث بمعلومات قيمة أعطت صورة واضحة عن مجريات الأحداث السياسية للتاريخ الأيوبي، وفيما يأتي ذكر لأبرزها:

أولاً- المصادر الأولية:

إضافة الى كتب المؤرخين السريان التي أشرنا اليها سابقاً والتي هي محور الدراسة من حيث مادتها ومنهجها لم نجد من الضرورة الإشارة اليها هنا حيث افردنا لها الفصل الأول لغرض التعريف بها باستطراد، وبالاضافة الى كتب هؤلاء المؤرخين فثمة هناك مصادر ومراجع أخرى اعتمدنا عليها لاسيما الاسلامية لاجراء المقارنة، كانت لها أهمية بالغة في إتمام هذه الدراسة ونعرض أهمها كما يأتي:

لقد أغنت مؤلفات العماد الأصفهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م) البحث كثيراً لاسيما كتاب (البرق الشامي) ومختصره (سنا البرق الشامي)، وتأتي أهمية العماد الأصفهاني من كونه لازم صلاح الدين الأيوبي في المرحلة الأخيرة من حياته فكان بذلك شاهد عيان على الكثير من مروياته لاسيما عن معركة حطين سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م) وما أعقبها من عمليات عسكرية وتفاهمات سياسية خلال الحملة الصليبية الثالثة حتى عقد الهدنة بين صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد ملك انكلترا سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م)، وقد أفادنا في تحديد زمان وقوع بعض الأحداث ومقارنتها مع ما ورد عند المؤرخين السريان.

ويحتل كتاب (الكامل في التاريخ) لإبن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) مكانة مهمة بين المصادر التي اعتمدت عليها هذه الدراسة، وهو من التواريخ الحولية وأن مؤلفه كان معاصراً للكثير من أحداث تاريخ الدولة الأيوبية ولاسيما محاولات صلاح الدين التوسع في

بلاد الشام والجزيرة وحصاراته لمدينة الموصل التي ينتمي ابن الأثير اليها، فجاءت رواياته عن الحقبة قيد الدراسة غنية بمعلومات ذات أهمية كبيرة ولايفوتنا هنا ان نشير الى موقف ابن الأثير الغير ايجابي من صلاح الدين فهو غالبا ما يتعرض له بالنقد لاسيما صراعاته مع آل زنكي، كما ويعد كتاب الكامل في التاريخ واحداً من أهم المصادر الاسلامية التي اعتمد عليها المؤرخ السرياني ابن العبري في تدوين أخبار بني ايوب.

أما كتاب (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) والمشهور بسيرة صلاح الدين لإبن شداد (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م) فلا يقل أهمية عما سبق لما يحتويه من روايات قيّمة عن مجمل أحداث تاريخ الدولة الأيوبية في عهد صلاح الدين لكونه- أي ابن شداد- كان من المقربين الى الأخير كونه كان قاضياً لجيشه خلال الحقبة التي تلت معركة حطين، كما وشهد ابن شداد أحداث الحملة الصليبية الثالثة عن قرب وما نتج عنها من مواجهات عسكرية وتفاهمات سياسية كان أحياناً طرفاً فيها.

وكان كتاب (مرآة الزمان في تاريخ الأعيان) لِسبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، ذا أهمية خاصة فيما يتعلق بأوضاع الدولة الأيوبية بعد وفاة الملك العادل سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م)، وما تبعه من صراعات أسرية بين ابنائه، حيث كان سبط ابن الجوزي حينئذٍ مقيماً في دمشق من المقربين الى الملك المعظم عيسى الأيوبي ابن الملك العادل (٥٩٢-٦٢٤هـ/١١٩٥-١٢٢٧م)، فقدم لنا روايات ممتازة عن تلك الأحداث أهلته أن يحتل موقع الصدارة بين المصادر المعتمدة ولاسيما عن المواجهات بين الملك المعظم وأخويه الملك الكامل (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٧م) والملك الأشرف موسى (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٧م)، والتقارب السياسي بين المعظم وجلال الدين منكبرتي (٦١٧-٦٢٨هـ/١٢٢٠-١٢٣١م)، آخر سلاطين الدولة الخوارزمية.

أما كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) لأبي شامة (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م) فقد أغنى البحث كثيراً بما احتواه من روايات مهمة عن بني أيوب بعد وفاة صلاح الدين وما اعقبه من صراعات بين الأمراء الأيوبيين ودور الملك العادل فيها حتى تمكن في النهاية من السيطرة على زمام السلطة الأيوبية سنة (٥٩٧هـ/١٢٠١م). ولايقل أهمية عنه كتابه الآخر(تراجم رجال القرنين السادس

والسابع) والمشهور بالذيل على الروضتين بما زودنا من روايات في غاية الأهمية استفدنا منها من خلال مقارناتها مع ما دونه المؤرخون السريان محاولين الوقوف على الحقيقة التاريخية الأقرب الى الواقع.

وكتاب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لإبن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) وهو من كتب التراجم، فقد كان ذا قيمة كبيرة جدا للبحث كون ابن خلكان كان قريب العهد بالدولة الأيوبية، بل عاصر نهاياتها الأمر الذي أهله أن يشغل موقعاً مرموقاً بين أصحاب التراجم من المؤرخين المسلمين، فجاء كتابه ذا وفره من المعلومات عن أغلب أفراد الأسرة الأيوبية، والشخصيات الوارد ذكرها ضمن هذه الدراسة.

وكتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) لإبن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م)، فهو من الكتب المختصة بتاريخ الأسرة الأيوبية، فقد أفادنا في معظم أقسام هذه الدراسة لاسيما في عصر الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م) والحملة الصليبية السابعة على مصر، ومن ثمّ نهاية الحكم الأيوبي هناك. وتأتي أهمية ابن واصل في كونه كان معاصراً لنهايات الحكم الأيوبي، بل وكان حاضراً خلال أحداث الحملة السابعة فهو بذلك شاهد عيان على الكثير من تلك الأحداث.

وكانت لعدد من كتب الرحالة والبلدانيين أهمية خاصة في تحديد مواقع بعض المدن والتعريف بها. يأتي في مقدمتها كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) حيث اعتمدنا عليه بشكل رئيس في هذا البحث لكونه عاصر الدولة الأيوبية وهو أفضل من قدم وصفاً لجغرافية المنطقة التي حكمها بنو أيوب. كما واعتمدنا على كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) لما وفره من معلومات غزيرة عن المواقع الجغرافية الواردة في هذه الدراسة ، ومعروف أنه هو من الأجيال الأخيرة من أمراء بني أيوب.

فضلاً عن المصادر الاسلامية، فقد اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر لمؤرخين صليبيين أرخوا لتأريخ المنطقة ومنهم من كان مرافقاً لبعض الحملات الصليبية لما لها من اهمية في تقديم بعض التصورات حول جوانب مهمة من التاريخ الأيوبي، يأتي في مقدمتها

كتاب (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار) لوليم الصوري (ت حوالي ٥٨١هـ/١١٨٥م) إذ كان أحد أبرز رجال الدين الصليبيين في المشرق الاسلامي فقد كان اسقفاً لعكا وأدى دوراً في الإدارة الدينية في حقبة الحروب الصليبية في الشرق وقد تضمن تأريخه معلومات مهمة عن الحقبة قيد الدراسة. وكان لكتاب (تاريخ بيت المقدس) ليعقوب الفيتري (ت٦٣٨هـ/١٢٤٠م) أسقف عكا (٦١٦-٦٣٨هـ/١٢١٦-١٢٤٠م) أهمية خاصة لما زودنا به من معلومات مهمة لم نجدها في المصادر السريانية، ولا في المصادر الاسلامية، وكان لكتاب (ريتشارد وصلاح الدين) لمؤلف مجهول مصاحب للملك ريتشارد قلب الأسد، أهمية بارزة ولاسيما في عرضه للأحداث التي دار رحاها بعد وصول القوات الانكليزية الى بلاد الشام وحتى صلح الرملة. ولاتقل أهمية عنه روايات المؤرخ جوانفيل المرافق للملك لويس التاسع في الحملة الصليبية السابعة على مصر لما قدمه من معلومات قيمة أفادت كثيرا في الوقوف على بعض الحقائق التاريخية لكونه شاهد عيان على كل أحداث الحملة.

٢- المراجع:

أما المراجع والبحوث الحديثة، فقد اعتمدت الدراسة على عدد غير قليل منها لاسيما تلك الدراسات التي تناولت المؤرخين السريان ومصادرهم، كذلك التي اختصت بالدولة الأيوبية. ويأتي في مقدمتها كتاب اللؤلؤ المنثور لأفرام برصوم وهو من كتب التراجم ويعد واحداً من المراجع المهمة التي استفاد منها الباحث في تكوين صورة أوضح عن المؤرخين السريان لما احتواه من معلومات وافرة عنهم وعن مصادرهم، كذلك كتاب أدب اللغة الآرامية لألبير أبونا، فقد أفاد البحث بالكثير من المعلومات لاسيما تلك التي تتعلق بمخطوطات مؤلفات المؤرخين السريان وطبعاتها، والدراسة القيمة التي قدمها جان موريس فيّة عن الفكر التاريخي عند السريان. أما المؤلفات التي تناولت تاريخ الدولة الأيوبية أو جانباً منها، فقد كان لكتاب العلاقات بين الشرق والغرب لمحمد مؤنس عوض، اهمية في الوقوف على طبيعة العلاقات بين أُمراء بني أيوب وعدد من قادة الحملات الصليبية، كذلك الدراسة التي قدمها منذر الحايك والموسومة العلاقات

الدولية في عصر الحروب الصليبية كانت لها من الأهمية ما أسعفنا بتفسير طبيعة العلاقات المتشابكة بين القوى المتصارعة المعاصرة لعهد الدولة الأيوبية.

وبجانب المراجع السابقة فقد تمت الإستعانة ببعض ما قدمه المؤرخون الأُوروبيون المحدثون من مؤلفات سواءً عن تاريخ الأدب السرياني و المؤرخين السريان أو تاريخ بني أيوب، فجاء ابرز تلك المؤلفات الأُوروبية كتاب تاريخ الأدب السرياني لروبنس دوفال، لما احتواه من معلومات مهمة عن بعض المؤرخين السريان ومؤلفاتهم، ولاتقل أهمية عنه الدراسة الممتازة التي قدمها (Mark Dickens) تحت عنوان (Medieval Syriac Historians) حيث أفادنا بمعلومات في غاية الأهمية لاسيما في الفصل الأول من هذا البحث، والمقالة التي قدمها (Noldeke) عن ابن العبري ضمن كتابه (sketches from eastern history)، كذلك ماقدمه (Brock Sebastian) من بحث قيِّم بعنوان (Syriac Historians Writing) سلَّط فيه الضوء على مصادر المؤرخين السريان، كذلك المجموعة القيمة من الأبحاث الأكاديمية في تاريخ الحروب الصليبية التي حررها (Kennth M. Setton) تحت عنوان (A history of the crusades) كان لها أهمية لا بأس بها في هذه الدراسة.

فضلاً عما سبق فهناك العديد من المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث وردت في ثنايا هذه الدراسة هي أقل أهمية عما ورد أعلاه ساهمت وبنسب متفاوتة في إتمام هذ العمل يجد القارىء قائمة مستوفية بها في نهاية هذا البحث

وختاماً أقول إني حاولت جاهداً أن أقدم دراسة موضوعية، قدر الإمكان، لكيفية تعامل المؤرخين السريان مع تاريخ الأيوبيين، فإن أصبت فذلك خير وإن كان الآخر فحسبي أني سعيت، والله من وراء القصد.

مهدي
Slevani73@yahoo.com

المبحث الأول: تعريف بالمؤرخين السريان وكتبهم

١. مارميخائيل السرياني الكبير (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م):

إسمهُ إيشوع[(١)] بن إيليا[(٢)] آل قنداسي[(٣)]، إشتهر بمار[(٤)] ميخائيل السرياني والكبير[(٥)] أيضاً تميزاً له عن إبن أخيه إيشوع سفثانا الذي عرف هو الآخر بميخائيل[(٦)] ولد ميخائيل السرياني في مدينة ملطية[(٧)] سنة (٥٢٠هـ/

---

(١) الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ترجمة البير ابونا، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٨٦، ج٢، ص٣٨١.

(٢) ميخائيل السرياني: تاريخ، ترجمة غريغوريوس صليبا شمعون، دار ماردين، حلب، ١٩٩٦، ج٣، ص٣١٠.

(٣) برصوم: اللؤلؤ المنثور، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٦، ص ٣٩٤" البير أبونا: أدب اللغة الآرامية، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦، ص ٤٣٣.

(٤) مار: كلمة سريانية تعني السيد، وهي لفظة تكريمية تستخدم في الكنائس السريانية قبل اسماء القديسين والأساقفة. اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٨، ص ٤٢٣.

(٥) جاء في مقدمة الترجمة العربية لتاريخ ميخائيل السرياني ان لقب الكبير انما جاء نتيجة الأعمال الجليلة التي قدمها ميخائيل للكنيسة والأدب السرياني. ينظر: ج٣، ص١٣

(٦) البيربونا: ادب، ص٤٣٥.

(٧) ملطية: مدينة تقع الى الغرب من نهر الفرات في بلاد الروم على بعد ثلاث مراحل جنوب سيواس.ابوالفدا: تقويم البلدان، تحقيق رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠، ص ٣٨٥" في حين يجعلها ابن حوقل من مدن الثغور ضمن إقليم الجزيرة. صورة الأرض، مكتبة

١١٢٦م) [٨] أما فيما يتعلق بعائلته فليس لدينا أي معلومات سوى أن أبوه إيليا كان قساً[٩] وان عمه أثناسيوس زكّا (ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م) كان هو الآخر مطراناً لعين زربة[١٠] إن ندرة المعلومات عن عائلة ميخائيل السرياني جعل من الصعب تكوين صورة واضحة عن حياته المبكرة، لكن من الواضح انه كان من عائلة متدينة ولاسيما أن والده وعمه كانا كاهنين، الأمر الذي كان له تأثير في نشأته نشأة دينية.

دخل ميخائيل منذ صباه دير مار برصوم[١١] القريب من ملطية وهناك درس العلوم اللغوية والادبية واللاهوت[١٢]. حتى بلغ الثلاثين من عمره وعندئذ اختير

الحياة،١٩٧٩، ص ١٥٤. وهي الآن تقع ضمن أراضي الدولة التركية في ولاية ديار بكر. أمين واصف بك: معجم الخريط التاريخية، تحقيق احمد ذكي باشا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص٤٣

(٨) برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص ٣٩٤" البير ابونا: ادب، ص ٤٣٦" مراد كامل: تاريخ الأدب السرياني، دار الثقافة للنشر، القاهرة، د.ت، ص٣٤٦"

Bar Abrahem: patriarch Michael ,JAAS, vol.12, 1998, p 34

(٩) القس: ويعرف بالكاهن ايضاً، وهي رتبة كنسية القائم بها بمثابة مساعد للمطران حيث يعمل تحت سلطته وهو مكلف برعية. اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، ص٣٩١.

(١٠) برصوم: اللؤلؤ، ص٣٩٤" البير أبونا: أدب، ص٤٣٥. كذلك ينظر الخارطة رقم (١)،ص١٦١

(١١) دير مار برصوم: او دير برصوما، يقع قرب مدينة ملطية يشبه القلعة (ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥، ج٢، ص٥٠٠) على رأس جبل قرب ملطية، وقد احتل هذا الدير مكانة مرموقة في الكنيسة السريانية حيث ازدهرت فيه مدرسة للعلوم الكنسية واللاهوت والعلوم اللغوية من القرن الثامن الى اواسط القرن الثالث عشر الميلاديين" حبيب زيات: الديارات، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٩، ص١٠٧" موسى مخول: الحضارة السريانية، دار بيسان، بيروت، ٢٠٠٩، ص ١٩٠

(١٢) برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص ٣٩٤: البير ابونا: ادب، ص ٤٣٤"

Mark Dickens: Medieval Syriac Historians, Cambridge university, 2004, p.9

رئيسا لدير مار برصوم[١٣]، ويبدو أن ميخائيل تمتع بشخصية مرموقة بين اقرانه في الحياة الديرية والدليل على ذلك ما لقيه من احترام في الوسط الديني الذي كان يعيش فيه خلال عشر السنوات اللاحقة من تبوئه رئاسة الدير المذكور الأمر الذي أهله بأن يتدرج في السلم الكهنوتي حتى رقي الى مرتبة بطريرك[١٤] اليعاقبة[١٥]، وهو في سن الاربعين وذلك في (٢١ذوالحجة٥٦١هـ/١٨تشرين الاول١١٦٦م) خلال مجمع كنسي عقد في دير مار برصوم[١٦]، واستمر ميخائيل في ذلك المنصب مدة ثلاثة وثلاثين عاما حتى توفي سنة (٥٩٦هـ/١١٩٩م) [١٧]

اما فيما يتعلق بمؤلفات ميخائيل السرياني فهي كثيرة ومتنوعة[١٨]، وما يهمنا منها في هذه الدراسة هو تاريخه الذي يعد من أكبر اسهاماته في الادب السرياني[١٩]، وهو يقع في ثلاثة مجلدات يتضمن واحداً وعشرين مقالاً مقسما الى فصول[٢٠]. اعتمد

---

(١٣) دوفال: تاريخ الأدب السرياني، ترجمة لويس قصاب، مطرانية السريان الكاثوليك، بغداد، ١٩٩٢، ص ٤٢٩"

Bar Abrahem: patriarch Michael ,JAAS, vol.12, p.34

(١٤) البطريرك: لقب اطلق على رئيس الأساقفة، وأطلق هذا اللقب لأول مرة على أساقفة كراسي المسيحية الأربعة روما والقسطنطينية والإسكندرية وانطاكية. اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، ص١١١

(١٥) اليعاقبة: نسبة الى يعقوب البرادعي او البردعي كان اسقف الرها(٥٤٣-٥٧٨م) منه تأسس مذهب اليعاقبة الذي يؤمن بالطبيعة الواحدة للمسيح (عليه السلام). للمزيد ينظر: شاهر ذيب ابو شريخ: موسوعة الأديان والمعتقدات، دار الصفاء، عمّان، ٢٠٠٤، ج٥، ص ٧١

(١٦) ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٣، ص ٤٦٢

(١٧) برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص ٤٩٥" دوفال: تاريخ، ص ٤٢٩" البير ابونا: أدب، ص ٤٣٥

(١٨) للمزيد حول مؤلفات ميخائيل السرياني ينظر: مراد كامل: تاريخ الأدب السرياني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ٣٤٧" البير ابونا: أدب، ص ٤٣٦

(١٩) البير ابونا: أدب، ص ٤٣٥

(٢٠) دوفال: تاريخ، ص ٢٢٠"

فيه على المنهج الحولي في التدوين يغطي الحقبة منذ الخليقة حتى سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م)[٢١] كما واعتمد ميخائيل نظاما فريدا في تدوين تاريخه حيث قسم كل صفحة الى ثلاثة اعمدة[٢٢] يتناول الاول منها الاحداث الدنيوية والثاني يعالج الشؤون الدينية والكنسية اما العمود الثالث فيحتوي على اخبار وحكايات متنوعة وأمور محلية[٢٣]

وبالنسبة لمخطوطات تاريخ ميخائيل السرياني، فليس هناك سوى مخطوطة سريانية وحيدة كانت محفوظة في كنيسة القديسين بطرس وبولس في مدينة الرها[٢٤]، عثر عليها البطريرك أفرام رحماني سنة ١٨٨٧م[٢٥]، وهذا النص السرياني هو الوحيد لتاريخ ميخائيل يتضمن ثمانمئة صفحة من القطع الكبير[٢٦]، يعود تاريخ

Sebastian Brock: Syriac historians writing، بحث منشور في: مجلة المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، مج٥، ١٩٨٠، ص ٣١٢"

Dickens: Medieval Syriac, p. 9

(٢١) البير أبونا: أدب، ص ٤٣٨" يوسف حبي: التواريخ السريانية، مجلة المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، مج٦، ١٩٨٢، ص ٨٣

(٢٢) ينظر الملحق رقم (١)، ص١٦٠

(٢٣) برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص ٣٩٥"

Segal: Syriac chronicles, in Lewis B. and P. H. holt: historians the of middle east, oxford, university press, London, 1964, P. 255

(٢٤) الرها: مدينة كبير تقع في اقليم الجزيرة على الجانب الشرقي من نهر الفرات. وأغلب أهلها من النصارى فيه اكثر من ثلاثمئة دير وصومعة. الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١، ص٥٤. أبو الفدا: معجم البلدان، ص٢٧٧ وتسمى حالياً اورفة وتقع ضمن الأراضي التركية. ينظر الخارطة رقم (١)، ص١٦١

(٢٥) البير أبونا: أدب، ص ٤٣٨"

Brock: Syriac historians, P. 312

(٢٦) برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص٣٩٥.

نسخ المخطوطة الى عام ١٥٩٨م، وهي بخط المطران ميخائيل العوربيشي انجزها يوم كان راهبا في الرها[٢٧]، والمخطوطة الان موجودة في كنيسة مارجرجس في حلب[٢٨]. وفضلا عن المخطوطة السريانية المشار اليها هناك ترجمة أرمنية مختصرة لتاريخ ميخائيل السرياني نقلها عن السريانية القس يشوع ال توما في حصن كيفا[٢٩] يعود تاريخها الى عام ١٢٤٥م[٣٠] ويبدو ان كاتبها قد نقلها عن مخطوطة سريانية هي غير النسخة التي اشرنا اليها بدليل ان تاريخ ترجمة المختصر الأرمني هو قبل تاريخ نسخ النسخة السريانية. ومن الجدير بالذكر انه حتى اكتشاف النص السرياني لتاريخ ميخائيل سنة ١٨٨٧م كان الاعتقاد سائدا ان هذا التاريخ موجود بترجمته الأرمنية فقط[٣١]

لقد استقطب تاريخ ميخائيل السرياني اهتمام الباحثين شرقيين وغربيين فظهرت عدة ترجمات وطبعات اقدمها ترجمة الى العربية الملوحونة (العامية) قام بها مطران دمشق يوحنا شقير الصددي سنة ١٧٥٩م وهذه الترجمة لايوجد منها سوى خمس نسخ[٣٢] كما وترجها الشماس بطرس قاشا عام ١٩٨٧م، ومازالت مخطوطة في خزانة ابنه سهيل قاشا[٣٣]، وفي عام ١٨٩٩م قام الاب شابو بطباعة النص السرياني وترجمه

---

(٢٧) المرجع نفسه والصفحة.

(٢٨) ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٢، مقدمة المترجم، ص ٢٤.

(٢٩) حصن كيفا: مدينة على نهر دجلة بين آمد (ديار بكر) وجزيرة ابن عمر(بوتان). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٥. وهي الآن تقع ضمن اراضي الجمهورية التركية.

(٣٠) طبعت في القدس سنة ١٨٧٠م. برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص ٣٩٦"

Bar Abrahem: patriarch Michael ,JAAS, vol.12, p.40

(٣١)Dickens: Syriac historian, p. 11

(٣٢) وهي موجودة في مكتبة دير الزعفران وصدد و آمد ودير مرقس و لندن. ينظر: ميخائيل السرياني، تاريخ، ج٣، مقدمة المترجم، ص ٢٥.

(٣٣) سهيل قاشا: صلاح الدين في المصادر السريانية، مجلة كاروان، ع ، ١٩٨٧، ص١٥٩.

الى الفرنسية في ثلاثة مجلدات[٣٤]، في حين ان احدث ترجمة عربية كاملة لتاريخ ميخائيل السريانية هي التي قام بها المطران صليبا شمعون معتمدا على مخطوطة الرها السريانية، وتقع هذه الترجمة في ثلاثة مجلدات، طبعت في حلب ١٩٩٦م" وهي الترجمة التي اعتمدناها في هذه الدراسة. فضلا عن ذلك فقد قام الدكتور سهيل زكار بترجمة القسم المتعلق بالحروب الصليبية[٣٥]

٢ ـ الرهاوي المجهول (كان حيا ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م):

ليس هناك من المعلومات ما يميط اللثام عن اسم هذا المؤرخ السرياني والسبب في ذلك يعود الى كون الورقة الاولى من المخطوطة الوحيد لكتابه مخرومة[٣٦] وهذا أدى الى ضياع اسم المؤلف[٣٧]، ولم يتوصل الباحثون حتى الان الى معرفة اسم مؤلف هذه المدونة لذلك اصطلح على تسميتة بالرهاوي المجهول[٣٨].

وبخصوص أصل الرهاوي المجهول فقد تضاربت الآراء حول ذلك فمن الباحثين المحدثين من يرى انه كان من الرها[٣٩] معتمدين في ذلك على معرفة الرهاوي المجهول

---

(٣٤) وطبع لاحقاً J.B. Chabot: chonique de michel le Syrian, paris, 1901

(٣٥) موسوعة الحروب الصليبية، ج٥.

(٣٦) البير أبونا: أدب، ص ٤٤٠

(٣٧) يعتقد الدكتور سهيل زكار ان صاحب هذه المدونة قد يكون باسيل مطران الرها(الموسوعة الشامية،ج٥، مقدمة المترجم، ص ١٣)، لكننا وبعد التحقيق في ذلك وجدنا ان مطران الرها باسيل قد توفي سنة (٥٦٣هـ/١١٦٩م)، وان الرهاوي المجهول قد أرخ لوفاته في القسم الكنسي من كتابه، ص ٣٤٧، واستناداً الى ماسبق يكون الرأي القائل إنَّ مطران الرها باسيل هو صاحب ما اصطلح على تسميته بتاريخ الرهاوي المجهول ليس صحيحاً.

(٣٨) تاريخ الرهاوي، ج٢، مقدمة المترجم، ص ٨

(٣٩)Segal:: Syriac chronicles, p254

بخطط مدينة الرها وانه كان معاصرا لكثير من الاحداث التي دونها عن المدينة كشاهد عيان. هذا ويذهب آخرون إلى أنَّ هذا المؤرخ السرياني كان راهبا في دير مار برصوم[٤٠]. إن تدوين الرهاوي المجهول الدقيق لحوادث تاريخ مدينة الرها يوحي بأنه كان شاهد عيان قريب من الحدث التاريخي وهذا يدفعنا الى الاعتقاد انه من مدينة الرها، وهذا بحد ذاته لا يمنع ان يكون منتميا لدير مار برصوم فكونه رهاوي الاصل لا يمنع من اقامته في دير ما خارج الرها قائما بأعمال دينية، ويرجع ايضاً أنَّ الرهاوي دون كتابه وهو مقيم في دير مار برصوم مستفيدا من الوثائق الكنسية المحفوظه في هذا الدير[٤١] ولاسيما أنه ـ اي الدير ـ كانت له مكتبة[٤٢] تضم عدداً كبيراً من الكتب والوثائق.

أما فيما يتعلق بكتابه الذي اصطلح على تسميته بتاريخ الرهاوي المجهول وهو من التواريخ العامة فليس له سوى مخطوطة واحدة عثر عليها البطريرك افرام رحماني في اسطنبول سنة ١٨٩٩م وكانت محفوظة عند الأسقف بولس الرهاوي[٤٣]، يعود تاريخ نسخ هذه المخطوطة الى أوائل القرن الرابع عشر[٤٤]. وهي مقسمة الى جزأين في حوالي ٨٣١ صفحة يتناول الجزء الاول التاريخ المدني منذ الخليقة حتى عام ١٢٣٤م، في حين يضم الجزء الثاني التاريخ الكنسي والذي يمتد حتى سنة ١٢٠٧م[٤٥] وهو المنهج الذي اعتاد رجال الدين من المؤرخين السريان على

---

(٤٠) برصوم: اللؤلؤ، ص ٤٠٣

(٤١) الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ج٢، مقدمة المترجم، ص ٧.

(٤٢) ميخائيل السرياني،تاريخ، ج٣، ص ٣١٠

(٤٣) برصوم: اللؤلؤ، ص ٤٠٤" يوسف حبي: التواريخ السريانية، ص ٨٥"

Dickens: Syriac historian, p. 11

(٤٤) البير أبونا: أدب، ص ٤٤٠"

Brock: Syriac historians, P. 310

(٤٥) برصوم: اللؤلؤ، ص ٤٠٣" البير ابونا: أدب، ص٤٤٠

اتباعه. وبخصوص تقسيمات الرهاوي لمواضع كتابه فقد عمد الى منهج فريد من نوعه اعتمده في الجزء المدني فقط يقوم على الترقيم حيث إنه غالبا ما يرقم عناوينه على شكل ملازم وبشكل متسلسل لينتهي بالرقم ٥٢٥[٤٦] ان هذا المنهج في تدوين حوادث التاريخ لم نجد له مثيلا لدى المؤرخين السريان ولا المسلمين على حد اطلاعنا.

إن أول من نشر تاريخ الرهاوي المجهول هو البطريرك افرام رحماني حيث نشر الجزء الأول من هذا التاريخ بالسريانية سنة ١٩٠٤م[٤٧]، ثم نشر الجزء الثاني سنة ١٩١٤م. وفي عام ١٩١٦م قام الأب شابو بالتعاون مع البطريرك افرام برصوم صاحب كتاب اللؤلؤ المنثور بطبع تاريخ الرهاوي كاملاً[٤٨]، كما وقام كل من ترتون وهاملتون كب بترجمة جزء من تاريخ الرهاوي الى الانكليزية[٤٩] وقام الاب البير ابونا سنة ١٩٧٤م بترجمة الجزء الأول الى الفرنسية[٥٠]، كما وترجمه الى العربية الشماس بطرس قاشا سنة ١٩٧٥م دون ان يقوم بنشره[٥١]، أما أول ترجمة عربية منشورة لتاريخ الرهاوي المجهول فقد قام بها البير ابونا ايضاً وصدرت الطبعة الأولى منها عام ١٩٨٦م. وهي الترجمة التي اعتمدنا عليها في بحثنا.

---

(٤٦) وهناك ملزمتان بدون أرقام قام المترجم بترقيمها وهي الملزمتان ٥٢٦ و٢٢٧

(٤٧) يوسف حبي: التواريخ السريانية، ص ٨٥"

Brock: Syriac historians, P. 309

(٤٨) برصوم: اللؤلؤ المنثور، ص ٤٠٤"

Dickens: Syriac historian, p. 14

(٤٩)the ferst and second crusades, JRAS, No.1, 1933,p.69-101 A. Tritton & Gibb

(٥٠) نشر في لوفان بعنوان:

Cronicon de anum Christi 1234 pertinens, tex, spar, A, Abouna, vol. 354, syr, 154, 1974

(٥١) قاشا: صلاح الدين، ص١٥٩.

٣ ـ المكين جرجس ابن العميد (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م):

هو المكين جرجس بن ابي الياسر ابن ابي المكارم ابن ابي الطيب[٥٢] المشهور بابن العميد، هكذا يعرِّف ابن العميد نفسه وهو يؤرخ سنة ولادته. ولد سنة (٦٠٢هـ/١٢٠٦م)[٥٣] في القاهرة على الارجح التي كان اجداده قد قدموا اليها من تكريت في عهد الخليفة الفاطمي الآمربالله (٤٩٥ـ٥٢٤هـ/١١٠١ـ١١٣٠م). ان ما بين ايدينا من معلومات قليلة لا تكفي لرسم صورة واضحة لشخصية ابن العميد الا انه يمكننا القول من خلال اطلاعنا على كتاباته إنه كان ذا باع حسن في الكتابة وهذا ما أهله ان يشغل منصب كاتب ديوان الجيش لاكثر من مرة. كما كان كثير التواضع نستدل على ذلك من استخدامه كلمات التواضع وعباراته، ولاسيما عندما يتحدث عن ذاته، وهذه العبارات تعكس اسلوبه الادبي والتقليدي للكتاب ولاسيما المسيحين فيما يتعلق بصيغ التواضع والخشوع حينذاك حيث يستهل ابن العميد رواية ميلاده بكلمات التواضع التي تصل حد تحقير الذات[٥٤]، كذلك وفي سياق الحديث عن اسرته يرفض الحديث عن ذاته[٥٥]

كان والده العميد ابو الياسر (ت٦٣٦هـ/١٢٣٨م) احد موظفي الدولة الايوبية على عهد الملك العادل الايوبي[٥٦] (٥٩٦-٦١٥هـ/١٢٠٠-١٢١٨م) إذ كان كاتباً في ديوان الجيش[٥٧]، اما ابن العميد فقد تقلد هو الآخر هذا المنصب في مصر ودمشق لأكثر من مرة حيث إنه وخلال فترة لاحقة عين على ديوان الجيش بدمشق[٥٨] والحاكم آنذاك علاء

---

(٥٢) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، تحقيق كلود كاهن، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥٨، ص ٢٠.

(٥٣) المصدر نفسه والصفحة.

(٥٤) ينظر: اخبار الأيوبيين، ص ٢٠

(٥٥) ابن العميد: تاريخ المسلمين، تحقيق توم اربانيو، ليدن، ١٦٢٥، ص ٣٠٠.

(٥٦) المقريزي: المقفى، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩١، ج٣، ص ١٨.

(٥٧) ابن العميد: تاريخ المسلمين، ص ٣٠٠.

(٥٨) ابن الصقاعي‌تالي كتاب وفيات الأعيان، تحقيق جاكلين سويلة، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٧٤، ص ١١٠

الدين طيبرس (ت٦٨٩هـ/١٢٨٢مم) وهو صهر الملك الظاهر بيبرس[٥٩]، لكن ابن العميد لم يستمر طويلاً في هذا المنصب فعلى اثر توتر العلاقة بين الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م) وحاكم دمشق سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م)[٦٠] اعتقل ابن العميد ثم افرج عنه بعد مدة وولي ديوان الجيش في مصر[٦١]، ومرة اخرى لم ينعم ابن العميد بمنصبه حيث دبرت له مكيدة اودت به الى السجن ثانية[٦٢] وبعد الافراج عنه استقر به المقام في دمشق حتى توفي فيها سنة (٦٧٢هـ/١٢٧٣م) عن عمر ناهز السبعين سنة.

ان ما تجدر الاشارة اليه هنا هو أن هناك عدد من الباحثين من يرى ان ابن العميد قبطي الاصل[٦٣]، وهذا منافٍ تماماً لما بين ايدينا من سند تاريخي جاء على لسان ابن العميد نفسه يثبت ان ابنه سرياني الاصل من تكريت وليس قبطياً، فبعد قراءة الجزء الثاني من كتابه المرسوم (تاريخ المسلمين) توصلنا الى ما ينفي تماماً انه قبطي فخلال تدوينه لنسب عائلته وقصة مجيء اجداده من

---

(٥٩) الصفدي: تحفة ذوي الألباب، تحقيق احسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢، ج٢، ص١٦٦"

Cahen: À propos d'al-Makīn ibn al-Amīd, Arabica, 1959, T. 6, Fasc. 2, p.198.

(٦٠) عن تفاصيل ذلك ينظر: الصفدي: تحفة ذوي الالباب، ج٢، ص ص ١٦٦-١٦٧" ابو الفدا، المختصر في اخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧، ج٢، ص ٣٢٥

(٦١) الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الأرنأووط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠، ج١٧، ص ٣٥٦.

(٦٢) ابن الصقاعي: تالي كتاب وفيات الأعيان، ص ١١١" الصفدي: الوافي، ج١٧، ص ٣٥٦" لويس شيخو: وزراء النصرانية وكتابها، تحقيق كميل حشمة اليسوعي، المكتبة البولسية، جونيه، ص ٨٥.

(٦٣) لويس شيخو: المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٠، ص١٣"
Peter W. Edbury: review of Anna-Marie Edd, chronique des ayyoubides, the English historian review, vol.112, no.446, 1997, p.441, Claude Cahen: al-makin b. al-amid, EIN, edt by C. E. BOSWORTH and others, leiden, 1991, vol.6, p. 143

تكريت يقول ان جده "رجل سرياني تاجر قدم من تكريت ﴿الى مصر﴾ اسمه طيب بن يوسف "[٦٤]، وبذلك لايبقى اي مجال للشك في كون ابن العميد سرياني الاصل وليس قبطياً، ويبدو ان مولد المؤرخ ونشأته المصرية ومقام أسرته الطويل في مصر اوقع بعض الباحثين في الخطأ معتقدين انه قبطي.

ألّفَ ابن العميد كتاباً عاماً في التاريخ سماه (المجموع المبارك)[٦٥] يقع في جزءين دون في الأول تاريخ العالم من آدم الى السنة الحادية عشرة من حكم الامبراطور هرقل اي سنة (٦٢١م) وهي السنة التي ظهر فيها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) اما الجزء الثاني من كتاب المجموع المبارك فيتناول فيه ابن العميد تاريخ المسلمين من ظهور الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) وهي بداية عهد الملك الظاهر بيبرس[٦٦].

إن مايهمنا من كتاب ابن العميد هو الجزء الثاني، حيث توجد منه نسخ مخطوطة عديدة، أهمها موجودة في برلين تحت رقم(٩٤٤٣) والمتحف البريطاني بلندن برقم (٨٣٧)[٦٧]، وهناك نسخة اخرى مكتوبة بالكرشوني[٦٨] محفوظة في دير الشرفة بلبنان[٦٩] أما بخصوص طبعات هذا الكتاب فقد وصل تاريخ ابن

---

(٦٤) تاريخ المسلمين، ص ٢٩٩.

(٦٥) لويس شيخو: المخطوطات، ص١٣" بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة يعقوب بكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧، ج٦، ص١٤٥" الزركلي: الاعلام، د.ن، بيروت،١٩٦٩، ج٢، ص ١١٦"
Claude cahen: al- makin, EIN,vol.6, p. 143

(٦٦) سركيس: معجم المطبوعات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ج١، ص ١٩٢.

(٦٧) بروكلمان: تاريخ، ج٦، ص ١٤٥.

(٦٨) الكرشوني: وهي كتابة العربية بالأحرف السريانية، ومن المرجح ان السريان عمدوا الى هذا النمط من الكتابة كي لا يفهمها العرب المسلمون، وفيها ايضاً إشارة الى التمازج الحضاري بين المسيحيين السريان والعرب المسلمين.

(٦٩) لويس شيخو: المخطوطات، ص ١٣.

العميد مبكراً الى اوروبا عندما قام المستشرق الهولندي اربانيو بترجمة الجزء الأول الى اللاتينية ونشره مع النص العربي بلايدن[٧٠]، وهذا الجزء من تاريخ ابن العميد يصل الى حوادث سنة (٥١٢هـ/ ١١١٨م) كون المخطوطة التي اعتمد عليها اربانيو كانت غير كاملة[٧١] اعقبت ترجمة اربانيو لتاريخ ابن العميد ترجمة اخرى بالفرنسية[٧٢] قام بها المستشرق الفرنسي بير فاتيه صدرت عام ١٦٥٨م[٧٣]، أما البحث العلمي الأكاديمي في تاريخ ابن العميد فقد بدأ في منتصف الخمسينيات من القرن المنصرم والذي قام به المستشرق الفرنسي كلود كاهن، ففي الأعوام (١٩٥٥-١٩٥٧) وعلى اساس عدة مخطوطات حقق كاهن تاريخ الأيوبيين فقط، والذي يقع في الجزء الثاني من المجموع المبارك تحت عنوان(أخبار الأيوبيين)[٧٤] وعلى هذا الجزء من تاريخ ابن العميد اعتمدت هذه الدراسة. ومن الجدير بالذكر ان عمل كاهن اصبح لاحقاً النواة الأساسية للترجمة الفرنسية التي قام بها مؤخراً باحثان فرنسيان إذ ترجموا هذا القسم من تاريخ ابن العميد الى الفرنسية[٧٥]

---

(٧٠) العقيقي: المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ج٢، ص ٣٠٣"

Sylvia Schein: review of Anna-Marie Edd, chronique des ayyoubides, speculum, 1996, vol.71, No.3,p. 731

(٧١) Cahen: À propos d'al-Makīn ibn, Arabica, p.198.

(٧٢) Le histoire Mahometan, ou les quarante neuf chalifes du el Makin, tra: Prerre Vattier, Paris, 1658

(٧٣) العقيقي: المستشرقون، ج١، ص ١٥٩

(٧٤) صدرت هذه الترجمة تباعاً: Al-Makin b. al-amid: edt by Claude Cahen, in Bulletin d Etudes Orientales, XV,1955-1957

(٧٥) Al- Makin ibn Al- Amid: chronique des ayyoubides, (602-658/1205-1259) , trans: Anna-Marie Edd and Francoinse Micheau , Paris, 1994

٤. غريغوريوس ابن العبري (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

هو يوحنا[٧٦] ابو الفرج[٧٧] جمال الدين غريغوريوس[٧٨] ابن تاج الدين هارون ابن توما الملطي[٧٩] الملقب بابن العبري وبه اشتهر لدى الباحثين الشرقيين والغربيين[٨٠]، كان ابوه هارون طبيبا مشهوراً الى جانب كونه شماساً[٨١] سريانيا على مذهب اليعاقبة. هذا وكان أصل هارون مثار جدل بين الدارسين، فمنهم من يرى انه من اصولٍ يهودية ثم تنصر بعد ذلك ولهذا لقب المترجم له بابن العبري[٨٢]، في حين ينفي افرام برصوم[٨٣] والأرثذوكس عامة ان تكون الاصول التي انحدر منها ابن العبري يهودية ويرون ان مصدر هذا اللقب انما جاء نتيجة ولادة هارون والد ابن

---

(٧٦) البير ابونا: أدب، ص٤٤٦" يوسف رحيم لو: مادة (ابن العبري)، دائرة المعارف الاسلامية الكبرى، طهران، ١٩٩٨، مج٣، ص ٤٧٨.

(٧٧) برصوم: اللؤلؤ، ص ٤١١" بطرس البستاني: دائرة المعارف، مؤسسة مطبوعات اسماعيليان، طهران، د.ت، ج١، ص ٥٩٤.

(٧٨) سمي ابن العبري بغريغوريوس عندما رسم اسقفاً سنة(٦٤٤هـ/١٢٤٦م). ابن العبري:كتاب الحمامة، تحقيق وترجمة اغناطيوس زكا عيواص، المنشورات الجامعة، طرابلس، ١٩٨٣، مقدمة المحقق، ص ١٤

(٧٩) برصوم: اللؤلؤ، ص ٤١١" الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ١١٧" البير ابونا: أدب، ص ٤٤٦"
W. Wright: catalogue of syriac manuscripts, London, 1871, vol.2, p. 630

(٨٠) يعرف في الغرب بـ Bar-Hebraeus و Bar- Ebroyo

(٨١) ابن العبري: كتاب الحمامة، مقدمة المحقق، ص ١١" والشماس هو مساعد الكاهن في الكنيسة.اليسوعي: معجم الايمان، ص ٢٨٦.

(٨٢) بروكلمان: مادة (ابن العبري)، دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرون، طهران، ١٩٣٣، مج١، ص ٣٦٩" مخول: الحضارة السريانية، ص ٥٩٥" مراد كامل: تاريخ، ص٣٦٠"
Segal: Ibn al- Ibri, EIN, vol.3, 804

(٨٣) اللؤلؤ، ص ٤١٣.

العبري او أحد اجداه اثناء عبور نهر الفرات[٨٤] اثناء هجرتهم الى ملطية، واستند اصحاب هذا الرأي على بيت شعر لابن العبري يقول فيه اذا كان المسيح سمى نفسه سامرياً فلا غضاضة ان دعوك بابن العبري لأن مصدر هذه التسمية نهر الفرات لادينا معيباً او لغة عبرية[٨٥].

ولد ابن العبري في مدينة ملطية سنة(٦٢٣هـ/١٢٢٦م)[٨٦] في كنف عائلة متدينة، وتلقى تعليمه الأولي على يد والده حيث أخذ عنه مبادى الطب والفلسفة[٨٧]، لكنه على أثر تدهور الأوضاع في ملطية جراء الغزو المغولي سنة(٦٤١هـ/١٢٤٣م) هاجرت عائلة ابن العبري الى أنطاكية[٨٨]، وهناك انقطع ابن العبري الى حياة الزهد في دير مجاور لملطية[٨٩]، ومن المرجح ان تكون هذه هي بداية

---

(٨٤) يرى باحثون آخرون ان التسمية جاءت من قرية عبري او عبرا القريبة من ملطية إذ يعتقد أن عائلة ابن العبري قدمت منها الى ملطية فجاء لقب ابن العبري نسبة الى هذه القرية. الفغالي: ابن العبري، منشورات الرابطة الكهنوتية، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٥١" غريغوريوس بولس بهنام: تعقب تاريخي في نسب ابن العبري، المجلة البطريركية، دمشق، ١٩٦٣، ع١٣، ص ١٤٨

(٨٥) ابن العبري: الحمامة، مقدمة المحقق، ص ١١" برصوم: اللؤلؤ، ص ٤١٣" البير ابونا: ادب، ص ٤٤٦.

(٨٦) برصوم: اللؤلؤ، ص ٤١٣" العزاوي: التعريف بالمؤرخين، شركة التجارة للطباعة، بغداد، ١٩٥٧، ص١٢١

Noldeke: sketches from eastern history,Adam &Charles black,London, 1892,p. 237

(٨٧) بروكلمان: مادة ابن العبري، ص٢٢٩" البير ابونا: ادب، ص٤٤٧"

Dickens: Syriac historian, p 14

(٨٨) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، باعتناء انطوان صالحاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨، ص ٢٥٥

(٨٩) عيواص: ابن العبري، مجلة المجمع العلمي العراقي(هيئة اللغة السريانية)، ١٩٨٠، مج٥، ص ٩.

حياته في المجال الديني والكنسي حيث بقي في الدير المذكور مدة عام ثم غادره الى مدينة طرابلس[٩٠] طلباً للعلم وهناك درس الفلسفة والمنطق عى يد الأستاذ يعقوب[٩١]، وهو من علماء النساطرة[٩٢] السريان[٩٣].

ويبدو أن شهرة ابن العبري ونبوغه المعرفي قد ذاع صيته حتي بلغ البطريرك أغناطيوس الثالث (ت٦٥٠هـ/١٢٥٢م) فاستدعاه الى انطاكية، وهناك منحه رتبة الأسقفية وعينه على ابرشية[٩٤] جوباس سنة (٦٤٤هـ/١٢٤٦م)[٩٥] وهو في العشرين

---

(٩٠) طرابلس: مدينة كبيرة على ساحل بحر الشام (البحر المتوسط). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٥

(٩١) لم نجد له ترجمة.

(٩٢) النساطرة: أحد مذاهب المسيحيين الشرقيين نسبة الى نسطوريوس بطريرك انطاكية" ظهر هذا المذهب بشكل واسع بعدما رفض نسطوريوس مقررات مجمع افسس سنة ٤٣١م المتعلقة بطبيعة المسيح(عليه السلام) ووالدته" ويقوم المذهب النسطوري على اساس التمايز والفصل بين الطبيعة الإلهية للمسيح والبشرية، وأن مريم هي والدة يسوع وليست والدة الله. سعد رستم: الفرق والمذاهب المسيحية، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٥، ص ص ٢٦-٢٧ "

Gerard Sloyan: Christianity, in Historical atlas of the religions, Edt by Ismail Ragi al-Faroqi, Macmillan publishing CO, new york,1974, pp.210-211

(٩٣) برصوم: اللؤلؤ، ص ٤١٣" مراد كامل: تاريخ، ص ٣٦٠"

Noldeke: sketches, p. 238

(٩٤) الأبرشية: كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية إيبارخية، وهي المنطقة الخاضعة لسلطة أُسقف. اليسوعي: معجم الإيمان، ص٦

(٩٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ترجمة اسحق ارملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٩٨" فية: القديسون السريان، المعهد الالماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٢٠٦"

Noldeke: sketches, p. 239

من عمره، وفي سنة (٦٥١هـ/١٢٥١م) عين اسقفاً على حلب[٩٦]، استمر ابن العبري في منصبه حتى عام (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) لينتخب مفرياناً[٩٧] على المشرق[٩٨]

تميز ابن العبري بغزارة نتاجه الفكري فقد ترك مؤلفات كثيرة في الفلسفة واللاهوت والتاريخ[٩٩] أهلته بأن يحتل مرتبة الصدارة بين الكتاب السريان، ان مايهمنا من مؤلفاته في هذه الدراسة هو ماكتبه ابن العبري في مجال التاريخ وهو عبارة عن كتابين، الأول كتبه بالسريانية[١٠٠] تحت عنوان (تاريخ الزمان)، والثاني ألفه بالعربية وسماه (تاريخ مختصر الدول)، وسنتناول بشئ من التفصيل تعريفاً بكلا الكتابين:

أ- تاريخ الزمان.

يحتل كتاب تاريخ الزمان والذي يعرف كذلك بتاريخ الأزمنة السرياني المطول مكانة مهمة ليست بين مؤلفات المؤرخين السريان فحسب بل وحتى بين المؤرخين المسلمين المعاصرين له ولاسيما فيما يتعلق بنهاية الدولة الأيوبية والغزو المغولي لبلاد الشام والجزيرة، لكونه أحد المؤرخين المعاصرين لتلك الأحداث وشاهد عيانٍ للكثير منها[١٠١]

يعتبر كتاب تاريخ الزمان من كتب التاريخ العام الذي تناول فيه ابن العبري تاريخ العالم منذ الخليقة وصولاً الى العصر الذي عاش فيه لينتهي بسنة

---

(٩٦) برصوم: اللؤلؤ، ص ٤١٣" عيواص: ابن العبري، ص١٣" زنار عبد السلام: ابن العبري، دار سبيريز للنشر، دهوك، ٢٠٠٧، ص ٢١.

(٩٧) المفريان: هي الرتبة الثانية في الكنيسة السريانية وصاحبها يأتي مباشرة بعد البطريرك وله السلطة على الأساقفة في مفريانيته.المجلة البطريركية، دمشق، ١٩٨٣، ع٣٥، ص٢١

(٩٨) برصوم: اللؤلؤ، ص ٤١٣" مراد كامل: تاريخ، ص ٣٦١" فية: القديسون، ص ٢٠٦.

(٩٩) للمزيد عن مؤلفات ابن العبري ينظر: مراد كامل: تاريخ، ص ص٣٦١-٣٦٤" عيواص: ابن العبري، ص ص ١٩-٤٣

(١٠٠) البغدادي: هدية العارفين، مؤسسة داراحياء التراث العربي العربي، بيروت، د.ت، ج١، ص٨١٢.

(١٠١) ينظر على سبيل المثال: ص ٣١٦

(٦٨٤هـ/١٢٨٥م)[١٠٢]، ومن المرجح ان تكون ميزة الكتاب هذه هي التي دفعت ابن العبري الى تسميته بتاريخ الزمان، حيث رتبه على أساس تعاقب الدول فقسمه الى أحدى عشرة دولة[١٠٣]، ومن الجدير بالذكر هنا هو أنَّ ما بين ايدينا من نص مترجم الى العربية ليس إلا جزءاً من كتاب تاريخ الزمان وهو يتضمن فقط الدولتين العاشرة (ملوك العرب)[١٠٤] والحادية عشرة (ملوك المغول) وهي الأخيرة.

أما بخصوص مخطوطات تاريخ الزمان فإن أقدمها محفوظة في الفاتيكان برقم (١٦٦ syr) ويعود تاريخ نسخها الى سنة (١٣٥٧م). في حين ان هناك مخطوطة قيمة اخرى في المكتبة الوطنية بأوكسفور ترقى الى سنة (١٤٩٨م)[١٠٥]. أما طبعات هذا الأثر النفيس فقد جرت لأول مرة في اوروبا على يد المستشرقين برونس وكيرش عام ١٧٨٩م[١٠٦]، ثم تلته طبعة اخرى ضمت النص السرياني كاملاً في ثلاثة مجلدات قام بها المستشرقان ابيلوس ولامي سنة ١٨٧٢م[١٠٧]

لقد تأخرت ترجمة تاريخ الزمان الى اللغة العربية حتى منتصف القرن الماضي عندما قام الأب اسحق ارملة بترجمة اجزاء من الكتاب تحت عنوان (تاريخ الدول

---

(١٠٢) ينظر: ص ٣٥١" الا أنه وبعد وفاة ابن العبري قام اخوه برصوما الصفي (٧٠٨هـ/١٣٩٨م) بتكملة كتاب تاريخ الزمان حتى سنة (٦٩٦هـ/١٢٩٧م). سهيل قاشا: تاريخ ابرشية الموصل، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٨٥، ص ٤٤٢

(١٠٣) تاريخ الزمان مقدمة المترجم، ص ٨" Brock: Syriac historians, P. 308

(١٠٤) اقتصرت الترجمة العربية التي بين ايدينا على الدولة العباسية فقط

(١٠٥)Brock: Syriac historians, P. 308

(١٠٦) عيواص: ابن العبري، ص ٣٠

(١٠٧) رحيم لو: ابن العبري، ج٣، ص ٤٧٩" ساكا: السريان ايمان وحضارة، اربيل، ٢٠٠٧، ج٣، ص ٢٤٥"

Dickens: Syriac historian, p 17

السرياني) نشرها تباعاً في مجلة المشرق بين الأعوام (١٩٤٩-١٩٥٦م)[١٠٨]، ثم اعيد نشر هذه الترجمة ثانية بعنوان (تاريخ الزمان) في كتاب واحد[١٠٩]، وهذا هو النص الذي اعتمدنا عليه في هذه الدراسة.

ب- تاريخ مختصر الدول.

أما مؤلّف ابن العبري الآخر ضمن حقل التاريخ فهو (تاريخ مختصر الدول) الذي ألفه باللغة العربية -كما أسلفنا- فمن خلال عنوان الكتاب يتضح لنا ان المؤلف ابتغى فيه الإختصار وهو يصرح بذلك في مقدمة الكتاب بقوله " وبعد فهذا مختصر في الدول قصدت فيه اختصاره، الإقتصارَ على بعض ما أوتي في ذكرِهِ اقتصاص إحدى فائدتَي الترغيب والترهيب من امور الحكام والحكماء "[١١٠] يظهر لنا وبوضوح ان الكتاب جاء مختصراً، وجاء تأليفه لتاريخه المختصر نزولاً عند رغبة بعض أصدقائه من علماء المسلمين[١١١] ممن كانوا قريبين منه وهو مقيم في مراغة[١١٢] اما بخصوص منهجه في التدوين فإن ابن العبري اعتمد منهج تاريخ الزمان السرياني نفسه، فقسّم تاريخه المختصر الى عشرة دول إلا أنه ركز وبشكل ملحوظ عل التاريخ الإسلامي ضمن دولة ملوك العرب المسلمين وقد شغل نحو ثلثي حجم الكتاب[١١٣]

---

(١٠٨) ابن العبري: تاريخ الزمان، تقديم ، ص١٩" عيواص: ابن العبري، ص ٣٠

(١٠٩) صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ ثم اعيد طبعها ثانياً عام ١٩٩١

(١١٠) ص ١

(١١١) برصوم: اللؤلؤ، ص ٤٢٥" بروكلمان: تاريخ، ج٦، ص ٢٢٧" بغوليفسكايا: ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة خلف الجراد، دمشق، ١٩٩٠، ص ٣٣٠"

Noldeke: sketches, p. 255

(١١٢) مراغة: بلدة كبيرة تقع في اذربيجان الى الشرق من بحيرة اورمية. ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٨٨" واصف بك: معجم، ص ١٠٤

(١١٣) يشغل هذا القسم حوالي ١٨٢ صفحة من أصل ٢٩٩ صفحة من الكتاب.

نشر تاريخ مختصر الدول مبكراً في اوروبا بالعربية[١١٤] مع ترجمة لاتينية قام بها المستشرق الانكليزي ادوارد بوكوك عام ١٦٦٣م[١١٥]، وترجم لاحقاً الى الالمانية من قبل المستشرق لورنس بور ونشر في لايبزك سنة ١٧٨٣م[١١٦]. وهذا يشير أن الغرب اهتموا بمدونات المؤرخين السريان بالبحث والدراسة، أما أول طبعة شرقية لكتاب تاريخ مختصر الدول فهي ترقى الى سنة ١٨٩٠م نشرها الأب انطوان صالحاني اليسوعي في بيروت. واعيد طبعها عام ١٩٥٨م وهذه الطبعة هي التي اعتمدناها في بحثنا هذا، وطبع مرة اخرى في بيروت سنة ١٩٨١م.

---

(١١٤) عيواص: ابن العبري، ص ٣٠

(١١٥) دوفال: تاريخ، ص ٢٢٢" البستاني: دائرة المعارف، ج١، ص ٢٩٢" سركيس: المطبوعات، ج١، ص٣٤٠" العقيقي: المستشرقون، ج٢، ص ٤٢.

(١١٦) برصوم: اللؤلؤ، ص ٤٢٥" البير ابونا: أدب، ص ٤٥٩



المبحث الثاني: مصادر المؤرخين السريان في تدوين التاريخ الأيوبي

اعتمد المؤرخون السريان في تدوين رواياتهم التاريخية على عدد من المصادر المدونة لمؤرخين سابقين لهم وآخرين كانوا معاصرين لهم، كما وكانت للروايات الشفوية حضوراً واضحاً في مدونات المؤرخين السريان، وفضلاً عن ذلك فقد كانت مشاهداتهم الشخصية لبعض الاحداث التاريخية التي عاصروها مصدراً مهماً في عرض ما دونوه من كتابات تاريخية سنتناولها بالبحث معتمدين على التسلسل الزمني لوفاة المؤرخين.

١- المصادر المدونة:

تأتي المصادر المدونة في مقدمة المصادر التي اعتمد عليها المؤرخون السريان شأنهم في ذلك شأن المؤرخين المسلمين، حيث ان ما دونه المؤرخون الآخرون شكل واحداً من اهم المصادر التي اعتمد عليها المؤرخون السريان في كتاباتهم التاريخية عموماً[(١١٧)]، وفي تدوين اخبار بني ايوب على وجه الخصوص. إلا أنَّ إحجام المؤرخين السريان عن الا شارة

---

(١١٧) اعتمد ميخائيل السرياني في تدوين تاريخه بصورة عامة في الحقبة السابقة لعصر الدولة الأيوبية على عدد من المؤرخين المسيحيين كيعقوب الرهاوي (ت ٧٠٨م) ودنيسيوس التلمحري (ت ٨٤٥م) وباسيليوس مطران الرها. للمزيد ينظر:ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٣، ص ٢٥٦،
Bar Abrahem: patriarch Michael, p. 41

الى مصادر مروياتهم جعل البت في مصدر الرواية السريانية أمراً ليس بالسهل[١١٨]، فميخائيل السرياني وهو يدون أخبار بني أيوب لايشير البتة الى أي مصدر من المصادر التي استقى منها معلوماته، فبعد استقراء مروياته عن تاريخ الأيوبيين لم نهتدِ الى أي اشارة من قبل السرياني الى اسم مؤرخ او كتاب يسعفنا بالوقوف على مصدر الرواية التاريخية عنده في هذا المجال. والسبب في ذلك يعود الى كونه معاصراً للأحداث التي دونها وهو بذلك يعد مصدراً لتلك المدونات لكن هذا لايمنع من استخدامه لمدونات بعض المؤرخين المسلمين، كما وأن المنهج الذي اعتمده ميخائيل في تأريخه وهو منهج غالب رجال الدين المسيحيين الذي يكون أقرب الى السجلات الكنسية اليومية والتي لا تعير اهتماماً كبيراً بمصدر الرواية او صاحبها ربما ادى الى اغفاله لمصدر روايته.

أما بخصوص مادونه ميخائيل السرياني بشكل عام ضمن كتابه فنحن لانستبعد ان يكون قد اعتمد على مصادر اسلامية لم يصرح بها، ان مايدفعنا الى هذا الاعتقاد هو إجادة ميخائيل للغة العربية[١١٩] الأمر الذي سهل عليه دون شك الإطلاع على المصادر الاسلامية والاستفادة منها، ونستدل على ما ذهبنا اليه ايضاً من خلال استخدام ميخائيل السرياني للتقويم الهجري وهو يؤرخ لبعض الأحداث[١٢٠] التي تخص التاريخ الاسلامي الذي ربما يدل على اعتماده مصادر اسلامية لكونها تؤرخ على اساس التقويم الهجري في التدوين دون غيره، وإلاّ فما المسوغ في اعتماد التقويم الهجري من قبل مؤرخ مسيحي يكتب بالسريانية معتمداً بالدرجة الأساس على التقويم اليوناني[١٢١] مع التقويم الميلادي، ناهيك عن أن خطابه التاريخي موجّه الى متلقٍ

(١١٨) ابن العميد: اخبار الأيوبيين، مقدمة المحقق، ص٥

(١١٩) كان ميخائيل السرياني يجيد اللغة العربية الى جانب الأرمنية.
Weltecke: the world chronicale, JAAS, 1997, vol.11, No.2, p. 23, Dickens: Medieval Syriac, p.33

(١٢٠) ينظر على سبيل المثال: ص ص ١٨٤، ١٨٧، ٣٤٤.

(١٢١) الفرق بين التقويم اليوناني وبين التقويم الميلادي ٣١١ سنة. الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ج٢، هامش٤، ص ١٤.

مسيحي ليس مهتماً بالتقويم الهجري بقدر اهتمامه بالتقويم الميلادي. كذلك بعد استقراء تاريخ ميخائيل وقفنا على رواية عن الحقبة التي سبقت العصر الأيوبي يقول فيها انه وجدها في كتب المسلمين[١٢٢]، هكذا دون أن يشير الى اسماء تلك الكتب أو مؤلفيها. وفي موضع آخر يقول السرياني في حوادث تعود الى سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م) أنه نقل معلوماته عن كتاب مكتوب بالعربية[١٢٣] لاشك انَّ فيما سبق اشارة ضمنية نستدل بها على ان ميخائيل السرياني نقل عن المصادر الاسلامية بعض رواياته لكنه لم يصرح باسمائها ربما لأن ذكرها ليس ذا أهمية لمتلقيها المسيحي.

أما الرهاوي المجهول فهو الآخر لم ينوه الى المصادر المدونة التي اعتمد عليها في تدوين أخبار الأيوبيين،لكنه ربما اعتمد على بعض المصادر الاسلامية حيث يذهب احد الباحثين الى ان الرهاوي استخدم مصدراًعربياً مسلماً[١٢٤] دون ان يسعفنا بأي معلومات تدعم رأيه، لكن الوسط الذي عاش فيه الرهاوي متنقلاً بين مدينته الرها ودير مار برصوم ربما مكنه من الاطلاع على بعض المصادر الاسلامية والاستفادة منها. هذا ومن المرجح ان الرهاوي لم يحظَ بتاريخ سلفه ميخائيل السرياني[١٢٥] ليكون مصدراً في تدوين معلوماته والدليل على ذلك الاختلاف الكبير بين الكتابين في الكثير من التواريخ[١٢٦]، وربما يكون الرهاوي وهو راهب ينتسب الى دير مار برصوم قد استفاد من وثائق ميخائيل نفسها المحفوظة في مكتبة الدير السالف[١٢٧].

---

(١٢٢) ج٣، ص ١٣٩

(١٢٣) تاريخ،ج٣، ص ١٨٤

(١٢٤) هرمان تويلي: التأريخ السرياني الرسمي، سلسلة ينبيع سرياني، مركز الدراسات والأبحاث المشرقية، بيروت، ٢٠٠٥، ج١، ص٣٢٥

(١٢٥) فية: الفكر التاريخي عند السريان، مجلة الفكر المسيحي، ع٥٨، ١٩٨٩، ص ٤١"
Brock: Syriac historians, P. 309

(١٢٦) الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ج٢، مقدمة المترجم، ص ٩.

(١٢٧) هرمان تويلي: التأريخ السرياني، ص ٣٢٥.

وبخصوص ابن العميد فالحال مختلفة لأن تاريخ ابن العميد مكتوب بالعربية وأن مؤلفه عاش في مصر وهو ليس من رجال الدين، زد على ذلك انه كان موظفاً حكومياً يعمل في ديوان الجيش، الأمر الذي أهله للاطلاع على الوثائق والسجلات الحكومية فجاء اسلوبه في التدوين مختلف تماما عمَّن سبقه من المؤرخين السريان وقريب جداً من أساليب المؤرخين المسلمين، وهنا اشاراة وردت لدى احد الباحثين ان ابن العميد اعتمد على نتاج عدد من المؤرخين المسلمين لاسيما المعاصرين له لاسيما مادونه ابن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) في كتابه التاريخ الصالحي[١٢٨] يصل الى حد النقل الحرفي من الكتاب المذكور[١٢٩]. لكننا وبعد مقارنة روايات ابن العميد مع مادونه ابن واصل في التاريخ الصالحي لم نجد ما يثبت هذا القول" ووفق ماسبق فنحن لانعتقد ان يكون ابن العميد قد نقل عن ابن واصل لكونهما عاشا في نفس الحقبة تقريباً. فضلاً عما سبق فهناك من يرى ان كتابات ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م) تعد من المصادر التي اعتمد عليها ابن العميد في تدوين تاريخ الأيوبيين[١٣٠]

وبالنسبة للمصادر التي اعتمد عليها ابن العبري فلا شك انه عول على المصادر السريانية بالدرجة الاساس وفي مقدمتها تاريخ ميخائيل السرياني[١٣١] ناقلاً عنه

---

(١٢٨) قام الدكتور سهيل زكار بتحقيق جزء من التاريخ الصالحي ونشره في الموسوعة الشامية.ج٢١، ص ص ٤٩٢-٦٠٧

(١٢٩) شاكر مصطفى: التاريخ، ج٢، ص ٤٥٤"

Calaud cahen: al- makin, EIN,vol.6, p. 142

(١٣٠) محمد رحيم: مصادر ابن العميد، مجلة رؤى، ع١٢، بحث منشورعلى شبكة الإنترنيت www.adabihail.com

(١٣١) البير ابونا: أدب، ص ٤٥٧" يوسف متي اسحق: مصادر ابن العبري، مجلة المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية)، مج١١، ص٩٧"

Noldeke: sketches, p. 255

روايات كثيرة حيث ان ابن العبري غالباً مايصرح بإسم ميخائيل[١٣٢] وهو ينقل عنه مروياته التي تكاد تكون حرفية احياناً[١٣٣].

أما المصادر الاسلامية فقد اعتمد ابن العبري عليها بشكل واسع يأتي في مقدمتها كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير[١٣٤]، الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد ميخائيل السرياني حيث ينقل ابن العبري احياناً روايات حرفية عنه[١٣٥]، فمن الوضح ان ابن العبري قد وقع تحت تأثير روايات ابن الأثير بشكل مثير للانتباه، هذا ويأتي أبو شامة في المرتبة الثانية بعد ابن الأثير فقد اعتمد عليه ابن العبري في عدة مواضع دون الاشارة الى اسمه اسوةً بابن الأثير، ان النقولات المبكرة لابن العبري عن أبو شامة تعود الى أحداث سنة (٥٦٤هـ/ ١١٦٨م) عندما نقل عنه رواية سبب وفاة اسد الدين شيركو عم صلاح الدين حيث جاءت مطابقة تماما لما ورد عند أبو شامة وهو يقول ان أسد الدين شيركو مات بداء الخناق[١٣٦]. فضلاً عما سبق فمن المرجح ان يكون ابن العبري قد اعتمد مصادراً اسلامية اخرى دونت تاريخ الأيوبيين كالعماد الأصفهاني مثلاً. نستدل على ذلك من رواية لابن العبري يصرح فيها بإسم الأصفهاني في معرض حديثه عن خروج الصليبيين من القدس بأموالهم دون ان يتعرض

---

(١٣٢) ينظر على سبيل المثال: تاريخ الزمان، ص ص ١٣٧، ١٨٣، ٢٠٦.

(١٣٣) على سبيل المثال ينقل ابن العبري عن ميخائيل السرياني رواية تكاد تكون حرفية عن المواجهات التي دارت بين صلاح الدين والصليبيين عند حصن يعقوب عام (٥٧٥هـ/١١٧٩م). ينظر تاريخ الزمان، ص ص ١٩٤-١٩٥ قارن مع ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٣، ص ٣٤٣

(١٣٤) Dickens: Syriac historian, p 17

(١٣٥) ينظر مثلاً: اخبار محاولة ابن المشطوب الهكاري الإنقلاب على الملك الكامل الأيوبي إبان الحملة الصليبية الخامسة. تاريخ الزمان، ص٢٥٣" قارن مع ابن الأثير: الكامل، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢، ج٩، ص ٦٥٥

(١٣٦) تاريخ الزمان، ص ١٨٢" قارن مع ابو شامة: كتاب الروضتين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢، مج١، ج٢، ص ٧٥.

لهم أحد بعد الاتفاق الذي ابرموه مع صلاح الدين سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)[١٣٧]. حيث جاءت رواية ابن العبري مشابهة كثيراً لما رواه الأصفهاني في سنا البرق الشامي.

٢- الروايات الشفوية:

الى جانب المصادر المدونة فقد اعتمد المؤرخون السريان على النقل الشفاهي عن بعض الأشخاص علماء كانوا او اشخاصاً عاديين ممن عاشوا الحدث التاريخي او سمعوه بدورهم من آخرين. لكنه ليس من السهل الوقوف على المصادر الشفوية التي اعتمد عليها المؤرخون السريان ما لم يصرحوا هم بذلك كما هي الحال بالنسبة لميخائيل السرياني والرهاوي المجهول اللذين لم يشيرا اطلاقاً الى أي مصدر شفاهي استقوا منه معلوماتهما خلال تدوينهما لأخبار بني أيوب، لكن هذا لايعني انهما لم يعتمدا على روايات شفوية لاسيما أن كلاهما رجلا دين يقضيان اغلب أوقاتهما داخل الكنائس التي تعد وجهة الكثير من المؤمنين المسيحيين لأداء واجباتهم الدينية، وهذا ربما مكّن السرياني والرهاوي المجهول من الاعتماد على ما نقله الناس لهما من أخبار عن الأحداث الدائرة خارج الكنيسة والمناطق البعيدة عن مؤسساتهم الدينية.

أما ابن العميد فبعد البحث والتقصي في مروياته عن بني أيوب لم نهتد الى أي سند تاريخي نستطيع من خلاله الإستدلال على نقول شفوية حصل عليها ابن العميد من أشخاص معينين، حيث لم ينوه هو كذلك الى اي معلومة تكشف عن اسم شخص يكون قد نقلت عنه رواية شفوية.

وبخصوص ابن العبري فالحال مختلفة تماماً، إذ لدينا من الشواهد التاريخية ما يثبت اعتماده على روايات شفوية في مواضع عديدة من كتابه تاريخ الزمان، حيث ينقل أخباراً عن شهود عيانٍ على بعض الأحداث لاسيما تلك التي تتعلق بهجمات المغول

---

(١٣٧) تاريخ الزمان، ص ٢١١" قارن مع سنا البرق الشامي (باختصار البنداري)، تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٣١٦.

على بلاد الشام والجزيرة. ففي معرض حديثه عن استيلاء القوات المغولية على مدينة ميافارقين سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م) يعتمد ابن العبري على رواية شفوية على لسان أحد اعيان المدينة[١٣٨] لم يكشف عن اسمه، وفي رواية اخرى[١٣٩] وهو ينقل خبر مقتل الملك الناصر يوسف الأيوبي سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٨م) يصرح ابن العبري انه سمع تفاصيل روايته من شخص كان ملازماً للملك الناصر يدعى محي الدين الفلكي المنجم[١٤٠]، وهذه الرواية تعد من أفضل الروايات التاريخية عن مصير ذلك الأمير الأيوبي لما تمتاز به من دقة وهي ترد على لسان شاهد عيان لذلك الحدث.

٣- المشاهدات الشخصية:

تعد المشاهدات الشخصية (شهادة العيان) من أوثق الروايات التاريخية وأكثرها مصداقية لما تمتاز به من المباشرة، فهي تنقل صورة الحدث التاريخي ساعة وقوعه بعين الراوي قبل أن يعتريها تشويهات الوسطاء، وهذا يضفي عليها جودة منهجية بالغة الأهمية ويجعلها سنداً تاريخياً يعتد به. ودون شك فإن المؤرخين السريان قيد البحث كانوا شهود عيان على الكثير من الأحداث التاريخية التي عاصروها كل حسب العصر والمكان الذي عاش فيه، إلا أنهم وفي أغلب الأحيان لم ينوهوا الى ذلك، فلم نجد لدى ميخائيل السرياني خلال تدوينه لأخبار بني أيوب أي اشارة نستدل من خلالها أنه كان شاهد عيان على الحدث، وهذا يجعل من الصعب التكهن بمشاهدته الشخصية للأحداث التي دونها.

أما الرهاوي المجهول فقد ترك لنا بعض الشواهد التي نستدل بها على أنه كان شاهد عيان على بعض الأحداث التي روى أخبارها لاسيما تلك التي تتعلق بمدينته الرها، ففي معرض حديثه عن حصار صلاح الدين للمدينة سنة (٥٧٩هـ/١١٨٣م)

---

(١٣٨) تاريخ الزمان، ص ٣١٦

(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٣١٧.

(١٤٠) لم نجد له ترجمة.

يورد تفاصيل دقيقة عن ذلك الحصار وما جرى داخل المدينة[١٤١] من احداث توحي بأنه كان قريباً منها فروايته رواية شاهد عيان على الأغلب لما فيها من دقة في التعبير والتفصيل. كما نقل الرهاوي رواية مطولة ذات تفاصيلٍ لانجدها عند غيره من المؤرخين السريان عن استيلاء صلاح الدين على مدينة القدس سنة (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) لكونه كان حاضراً داخل المدينة[١٤٢] وشاهد عيان على كل الأحداث التي دار رحاها أثناء حصار صلاح الدين للمدينة وفتحها.

وبخصوص ابن العميد، فمن المرجح أن يكون هو الآخر قد اعتمد على مشاهداته الشخصية في تدوين الكثير من رواياته لاسيما ما يتعلق منها بنهاية الدولة الأيوبية التي عاصرها وشغل فيها مواقع ادارية مكنته دون شك من الاطلاع على الكثير من مجريات الأحداث عن قرب. لكنه وعلى الرغم مما سبق فإن ابن العميد لم يترك أية اشارة صريحة تمكننا من الوقوف على رواية من مشاهداته الشخصية.

وبالنسبة الى ابن العبري فيعد شاهد عيان على بعض أحداث الغزو المغولي وقد عاش عن قرب مادار من مواجهات واحداث، ولاسيما تلك التي وقعت في بلاد الشام، حيث كان حينها مطراناً لحلب[١٤٣]، فهو بذلك شهد تفاصيل الهجوم المغولي على المدينة سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) وما صاحبه من دمار شمل كل السكان، وبهذا فإن روايته عن تلك الأحداث لها قيمة تاريخية من الطراز الأول كونها تحمل تفاصيل دقيقة ربما لاتوجد عند غيره من المؤرخين.

---

(١٤١) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٢٣.

(١٤٢) تاريخ الرهاوي، القسم المخطوط، ورقة ٢٠٠

(١٤٣) تاريخ الزمان، ص ٣١٦

الفصل الثاني: الأيوبيون في مصر الظهور والتكوين

المبحث الأول: تكوين الدولة الأيوبية

١ـ الأصول والظهور على مسرح الأحداث التاريخية:

تعد الأسرة الأيوبية من أبرز الأُسر الحاكمة في المشرق الإسلامي، إذ قامت بدورٍ بارز في تاريخ مصر وبلاد الشام والجزيرة الفراتية لما يقارب قرناً من الزمان، فبعد جهود في ميدان السياسة بذلها أشهر رجلين في الأسرة الأيوبية[١٤٤] هما أيوب وأخوه أسدالدين شيركوه[١٤٥] ابنا شادي[١٤٦] تمكن ولد الأول منهما صلاح الدين يوسف (٥٣٢-٥٨٩هـ/١١٣٨-١١٩٣م) من تأسيس دولة مترامية الأطراف امتدت من برقة غرباً حتى أعالي الجزيرة الفراتية شرقاً واليمن جنوباً.

صارت الأصول التي انحدر منها بنو أيوب فيما بعد موضع اهتمام المؤرخين الذين دونوا تاريخ الحقبة التي ظهر فيها الأيوبيون على مسرح الأحداث السياسية، وبقدر تعلق

---

(١٤٤) على الرغم من ان تسمية (الأسرة الأيوبية) تحمل في طياتها مشكلة تاريخية لكونها تقتصر في ابناء ايوب بن شادي حصراً إلا أننا ارتأينا استخدام هذه التسمية لكونها المتعارف عليها بين المؤرخين القدماء والمحدثين. ونحن نقصد به تمام أفراد تلك الأسرة التي انحدرت من جدهم الأعلى شادي. (الباحث).

(١٤٥) شيركوه: اسم كوردي يتكون من مقطعين شير بمعنى أسد وكوه تعني جبل، فيكون المعنى أسد الجبل.

(١٤٦) لقد اختلف المؤرخون في ضبط هذا الاسم مابين شاذي وشادي والاخير هو الصحيح، وهو اسم كوردي معناه سعيد أو فرحان.(الباحث)

الأمر بالمؤرخين السريان -قيد الدراسة- فان ما بين أيدينا من روايات عن أصل بني أيوب تعود بالدرجة الأساس الى آخرهم من حيث الترتيب الزمني وهو ابن العبري الذي قبل ان يبدأ بسرد تاريخ بني ايوب وأفعال رجالهم الأوائل منذ سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م) ترد لديه أربع إشارات متفرقة عن بني ايوب، اثنان منها عن اسد الدين شيركوه[١٤٧] وهو يسعى لتأسيس الحكم لابن نورالدين محمود في حلب مباشرة بعد اغتيال عماد الدين زنكي (٥٤١هـ/١١٤٧م)، وأخرى تعود الى ايوب الأخ الاكبر وخروج بعلبك[١٤٨] من يديه. والاشارة الرابعة تخص صلاح الدين يوسف بن أيوب وتتعلق ببواكير فتوته عندما غادر والده أيوب سنة (٥٤٦هـ/١١٥١م)وهو في الرابعة عشرة من عمره والتحق بعمه أسدالدين شيركوه في حلب الذي قدمه بدوره إلى نور الدين زنكي[١٤٩]

بعد هذه الإشارات المتفرقة في تاريخ الزمان السرياني والتي لم نجد لها مثيلا في كتاب ابن العبري الآخر تاريخ مختصر الدول، يبدأ ابن العبري بالحديث السردي عن أخبار الأيوبيين عند أحداث سنة (٥٥٩هـ١١٦٣م) ليس بالتفصيل الذي عليه الحال في المصادر الإسلامية، إلا انه مقارنة بالمصادر السريانية -قيد الدراسة- يكون هو الأكثر تفصيلا في هذا الصدد. ومن اجل إعطاء صورة أكثر وضوحا عن بني أيوب يتطرق ابن العبري إلى أصولهم والمكان الذي قدموا منه وذلك في معرض حديثه عن أسدالدين شيركوه و حملته الأولى على مصر بقوله: "وكان الأخوان شيركوه وأيوب ولدا شادي كرديين من دوين[١٥٠] "[١٥١] ويؤكد الرأي ذاته في كتابه المختصر[١٥٢] لكن بإضافة

(١٤٧) تاريخ الزمان، ص ص١٦٠-١٦١.

(١٤٨) بعلبك: مدينة كبيرة من مدن بلاد الشام تقع الى الشمال من مدينة دمشق على بعد اثني عشر فرسخاً (حوالي ٧٢كم). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٥٣.وهي الآن مركز قضاء بعلبك في الجمهورية السورية

(١٤٩) تاريخ الزمان، ص ١٦٧

(١٥٠) دوين: مدينة تقع في اقليم أران في آخر حدود اذربيجان قرب تفليس. (ياقوت الحموي: معجم البلدان ،ج٢،ص٤٩١)، وهي من اهم مدن أرمينيا الى الجنوب من اريوان على خط عرض

هامة وهي تسمية البطن الذي ينتمي إليه بنو أيوب بأنهم "من الأكراد الروادية[١٥٣] "[١٥٤] إن الروايتين السالفتين ذات أهمية تاريخية حيث تكمن أهميتهما في ان ابن العبري كمسيحي سرياني يمثل جانبا محايدا ديناً وعرقاً لا مصلحة له في ادعاء نسب دون غيره للأسرة الأيوبية.

أما ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول فلم ترد لديهما أي معلومات تتعلق بأصل بني أيوب ما خلا إشارة مقتضبة دونها الاخيرعن أسد الدين شيركوه وذلك في معرض حديثه عن ترتيبات نور الدين زنكي لاعداد حملة على مصر(٥٥٩هـ/١١٦٣م) وما تم من اتفاق مع الوزير الفاطمي المخلوع شاور[١٥٥]، حيث يقول "فأرسل معه ﴿أي مع شاور﴾ قائدا محتالاً وباسلا اسمه أسد الدين"[١٥٦]، هكذا دون أي تفاصيل أخرى. إن اغفال كلا المؤرخين السالفين عن تقديم أي معلومات تعريفية عن أصول بني

٤٥شمالا. دائرة المعارف الإسلامية، مادة (دوين) ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرون، طهران، د.ن،١٩٣٣، مج٧، ص٣٣٤.

(١٥١) تاريخ الزمان، ص ١٧٦.

(١٥٢) اعتمدنا تسمية (المختصر) لكتاب ابن العبري تاريخ مختصر الدول في متن هذه الدراسة.

(١٥٣) الروادية: بطن من الهذبانية، وهي قبيلة كبيرة من الاكراد التي كانت تستوطن في قرية تدعى اجدانقان من قرى مدينة دوين حيث ولد فيها ايوب بن شادي.ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨،ج٥، ص ص٤٩٤- ٤٩٥.

(١٥٤) تاريخ مختصر الدول، ص ٢١٢.

(١٥٥) شاور: هو ابو شجاع شاور بن مجير الدن السعدي، كان في خدمة صالح بن رزيك وزير الخليفة العاضد لدين الله تولى الصعيد بمصر ثم تمكن من الوصول الى الوزارة سنة (٥٥٨هـ/١١٦٢م) ثم تمكن ابو الأشبال ضرغام من طرده فاستنجد بنور الدين زنكي واعيد الى منصبه سنة (٥٥٩هـ/ ١٢٦٣م)، قتل سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م). ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص ٢٦٤

(١٥٦) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ١٩١.

أيوب يعود على الأرجح الى كون المؤرخين معاصرين لحكم الأسرة الأيوبية في نهاية القرن السادس الهجري الحادي عشر الميلادي ومن ثمَّ فإنهم لم يجدوا من الضرورة التطرق الى مسألة هي حينذاك معروفة، في حين أن ابن العبري -اللاحق زمانا- والذي عاصر نهاية الدولة الأيوبية وبداية الغزو المغولي ارتأى تقديم تعريف مناسب عن بني أيوب لقارئ ربما يجهل تفاصيلهم، كما وانه عاش حقبة انتقال السلطة حيث تتحول الدولة الأيوبية إلى المماليك وزوال الحكم الأيوبي في مصر، الأمر الذي ربما كان له تأثير في روايته فجاءت أكثر تفصيلا للحدث التاريخي، يضاف الى ذلك ان ابن العبري اكثر المؤرخين السريان تمتعا بصفات المؤرخ المتمرس وهو ما اثر بصورة إيجابية على مدوناته التي جاءت أكثر دقة واجود من السابقين عليه امثال ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول وابن العميد.

تجدر الإشارة هنا الى ان الاتفاق على الاصول الكوردية في أغلب المصادر الاسلامية[157] لبني ايوب لم تمنع من ظهور روايات شذت عن هذا الاتفاق[158] فقد نقل عن بعض الأمراء من بني ايوب روايات ادعوا فيها النسب العربي وقد

---

(١٥٧) ابن الأثير: الكامل، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت،٢٠٠٢ج٩، ص ٢٢١" ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ٣٧" السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٠، ج٧، ص ٣٤٠" اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مطبعة دائرة المعارف الاسلامية، حيدر آباد، ١٩٥٤،ج١، ص٣٧" النعيمي: في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ج١، ص١١٤" القرماني: أخبار الدول، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ص ١٩٤

(١٥٨) يذكر أبو صلح الأرمني بني أيوب (بالغز الاكراد)، وهذا خلط واضح لأن الغز ليسو كورداً بل هم اتراك، والراجح ان هذا الخلط من قبل الأرمني جاء بسبب كون قسم كبير من جيش أسد الدين شيركوه ومن بعده صلاح الدين كان من الأتراك الأمر الذي جعل الأرمني يخلط بين الكورد والأتراك. تاريخ أبو صلح الأرمني، تحقيق B. T. Evetts، المطبعة المدرسية، اوكسفورد، ١٨٩٤، ص ٣.

وجد هذا الادعاء له طريقا لدى بعض المؤرخين بدافع "حب الحظوة لديهم﴾ أي بني أيوب﴿لما صار الملك إليهم"[159] وخير مثال على هذا ما يرويه ابن ابي طي(ت٦٣٠هـ /١٢٣٣م) ان إسماعيل ابن سيف الإسلام طغتكين (ت٥٩٨هـ/١٢٠١م) وهو ابن أخ صلاح الدين "ادعى ...أنهم من بني مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية"[160].

إن مسألة ادعاء النسب العربي ونسبته الى إسماعيل بن طغتكين حاكم اليمن له مسوغ سياسي ويبدو انه تعبير عن حاجة فطن اليها إسماعيل وهو ينهض بمهام إدارة الدولة عن بني ايوب في اليمن العربية المعروفة باعتدادها بالأصول العربية، فقد يكون بذلك -والكلام عن إسماعيل- قد سعى الى درء واحد من موجبات عدم الولاء للحاكم فيما لو لم يكن من نفس جلدة المحكوم، فهو بذلك اختراع براكماتيكي بالمفهوم السياسي المعاصر أكثر منه شطط غير واعٍ.

تعقيبا على ما سبق فقد أورد ابن خلكان(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) عن ابن شداد قوله:" سمعت شيخنا ابن شداد يحكي عن السلطان صلاح الدين انه أنكر ذلك وقال: ليس لهذا أصل أصلا "[161]، واستنادا إلى كلام ابن شداد فان الانتساب إلى الأصل العربي من بعض الأمراء الأيوبيين قد لاقى انكارا من مؤسس الدولة الأيوبية ولم يكن أخوه الملك العادل سيف الدين (ت٦١٥هـ/١٢١٩م) اقل إنكارا منه لهذا الادعاء ولسان حاله يقول "كذب إسماعيل ما نحن من بني أمية أصلا "[162]

---

(١٥٩) المقريزي: المواعظ والاعتبار، تحقيق محمد زينهم ومديحه الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧، ج٣، ص١١٣

(١٦٠) في أبو شامة: الروضتين، مج١، ج٢، ص١٦٣.

(١٦١) ابن خلكان: وفيات الاعيان،ج٥، ص٤٩٦.

(١٦٢) ابن واصل: مفرج الكروب في إخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة،١٩٥٣،ج١،ص٤.

٢- بداية العلاقة بآل زنكي:

ان علاقة بني أيوب بآل زنكي تعود الى سنة (٥٢٦هـ/١١٣٢م) عندما انهزم عماد الدين زنكي (٥٢١-٥٤١هـ/١١٢٧-١١٤٦) أمام جيش الخليفة العباسي المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ /١١١٨-١١٣٤م) في المعركة التي دارت بين الجانبين[١٦٣] بالقرب من تكريت[١٦٤]، فلم يكن أمام عماد الدين سوى التقهقر الى تكريت وهناك قدم له حاكمها آنذاك نجم الدين ايوب بن شادي (ت٥٦٨هـ/١١٧٣م) المساعدة والعون وأنقذه هو وما تبقى من قواته والعودة بهم الى الموصل[١٦٥].

انفرد ابن العبري من بين المؤرخين السريان بذكر روايات مقتضبة في كتابه تاريخ الزمان السرياني ضمن تدوينه احداث المواجهة بين الخليفة المسترشد وعماد الدين زنكي سنة (٥٢٦هـ /١١٣٢م) حيث يقول ان الأخير "انهزم الى تكريت"[١٦٦] ولم يورد أي إشارة الى حاكمها نجم الدين ايوب وما قدمه من مساعدة لزنكي في خضم تلك الأحداث. لكن ابن العبري يروي لاحقا خبرا مفاده أنَّ الأخوان نجم الدين وأسد الدين شيركوه بعد تدهور علاقتهم مع مجاهد الدين بهروز عام (٥٣٢هـ ١١٣٧م) لجئا " الى الموصل فرحب بهما زنكي"[١٦٧] وبالرجوع الى المصادر الاسلامية للحقبة قيد الدراسة

---

(١٦٣) عن تفاصيل تلك المعركة ينظر: ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد،١٩٣٩،ج١٠، ص٢٥، عماد الدين خليل: عماد الدين زنكي، مطبعة الزهراء، الموصل،١٩٨٥،ص٥٢

(١٦٤) تكريت: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل على الضفة الغربية من نهر دجلة وهي الى بغداد اقرب بينهما ثلاثون فرسخاً (حوالي ١٨٠كم). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٨

(١٦٥) ابن الأثير: الكامل ،ج٩، ص٢٢١ " سهيل زكار: حطين، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢، ص٦١.

(١٦٦) ص١٤٥

(١٦٧) تاريخ الزمان، ص ص١٧٦-١٧٧

فإنها توكد ان المساعدة التي قدمها أيوب بن شادي لعماد الدين زنكي وانقاذه لهذا الجيش المنهزم وقائده كان سببا لنشوء تلك العلاقة الحسنة بين الطرفين[(١٦٨)].

وبعد مقتل عماد الدين زنكي سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م) تأخذ الروايات التاريخية عن اخبار بني ايوب طابع البروز والظهور شيئا فشيئا لدى ابن العبري كما وان دور ألأخوين نجم الدين ايوب وأسد الدين شيركوه يصبح اكثر وضوحا على الصعيدين السياسي والعسكري إذ ينفرد ابن العبري دون غيره من المؤرخين السريان بتدوين روايات مبكرة عن أسد الدين شيركوه اثر مقتل عماد الدين يصفه فيها برجاحة العقل والحنكة السياسية وما يقدمه من مشورة لنور الدين ابن عماد الدين لما يجب القيام به للسيطرة على زمام السلطة الزنكية[(١٦٩)]، وهنا نلمس في رواية ابن العبري المذكورة سالفاً اشارة مهمة الى ان أسد الدين شيركوه ومنذ فترة مبكرة كان قد شغل موقعا مرموقا عند نور الدين يكاد يضاهي مكانة مستشاره السياسي والعسكري.

وبعد الأطلاع على الاسلامية التي اعتنت بتلك الحقبة، اهتدينا الى رواية وردت لدى ابو شامة(ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م) نقلا عن ابن ابي طي (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) قريبة في مضمونها لما دوَّنه ابن العبري يقول فيها: "قد رأيت ﴿أي أسد الدين شيركوه﴾ ان أصيرك ﴿أي نور الدين﴾ الى حلب وتجعلها كرسي ملكك وتجتمع في خدمتك عساكر الشام، وانا اعلم ان الأمر يصير جميعه اليك لان ملك الشام يحصل بحلب،ومن ملك حلب استظهر على بلاد الشرق" [(١٧٠)] ويبدو من خلال ماسبق ان كتابات ابو شامة المعاصر لابن العبري قد تكون احدى المصادر التي اعتمد عليها الاخير حيث انه نقل عن ابو شامة بتصرف وحسب ما يقتضيه اسلوبه في الكتابه وقناعاته الشخصية.

---

(١٦٨) ابن الاثير: الكامل،ج٩، ص٢٢١ ،ابو شامة: الروضتين ،مج١ ،ج٢، ص١٦٦،المقريزي: كتاب المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ج٢، ص٣٧٩.

(١٦٩) تاريخ الزمان، ص١٦٠

(١٧٠) ابو شامة: الروضتين، مج١ ،ج١ ،ص١٩١،

وفي السياق ذاته اي بعد مقتل عماد الدين زنكي يقدم ابن العبري رواية اخرى يعرض فيها دور أسد الدين شيركوه العسكري خلال تصديه لغارة قام بها ريموند(٥٣٠-٥٤٤هـ/١١٣٦-١١٤٩م) صاحب انطاكية على اطراف حلب وحماة ويبدو انها كانت ردة فعل سريعة على سلطة نور الدين محمود الجديدة التي باتت قريبة جغرافيا من امارة انطاكية الامر الذي اقلق ريموند، وهنا يقوم أسد الدين شيركوه باسترجاع الغنائم التي كان صاحب انطاكية قد استولى عليها. [١٧١]

اما فيما يتعلق بصلاح الدين وبدايات ظهوره على مسرح الأحداث السياسية في بلاد الشام وماصاحبها من علاقات بين الأسرة الايوبية وآل زنكي، فأول اشارة اليه ترد عند ابن العبري دون غيره من المؤرخين السريان وذلك ضمن حوادث سنة (٥٤٦هـ/١١٥١م) حيث يسوق لنا رواية تقول " خرج صلاح الدين من عند نجم الدين ايوب ابيه وهو في بعلبك وسار يريد عمه أسد الدين شيركوه وهذا ذهب به الى نور الدين فرحب به ووضع له بعض المال لمعاشه"[١٧٢]. لقد اخطأ ابن العبري في تحديد مكان اقامة اسرة صلاح الدين فالمصادر الاسلامية تؤكد ان نجم الدين ايوب والد صلاح الدين كان قد ترك بعلبك في (جمادي الاخر٥٤١هـ/ تشرين الثاني ١١٤٦م) ليستقر به المقام في دمشق[١٧٣] بعد مقتل عماد الدين زنكي، وهذه الرواية هي أولى الاشارات التاريخية التي وردت لدى المؤرخين السريان عن حياة صلاح الدين المبكرة وكان في حينذاك في حدود الرابعة عشرة من عمره، وهذا يعني انه ربما دخل في المجال الاداري في فترة مبكرة من حياته.

تنقطع اخبار بني ايوب عند ابن العبري حتى عام (٥٥٩هـ /١١٦٣م) اذ يغفل عن ذكر اي دور لنشاط الايوبيين خلال المدة (٥٤٦-٥٥٩هـ /١١٥١- ١١٦٣م)

---

(١٧١) تاريخ الزمان.ص١٦١" قارن مع ابو شامة: الروضتين ،مج١،ج١،ص١٩٤.

(١٧٢) تاريخ الزمان.ص ص١٦٧-١٦٨

(١٧٣) ابو شامة: الروضتين، مج١،ج١،ص١٩٥" ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص١١٠" المقريزي: المقفى، ج٢، ص٣٧٩

ودورهم على الساحة السياسية لأحداث الشرق ألأدنى الاسلامي لتظهر فجأة خلال تدوين اخبار حملة أسد الدين شيركوه الاولى على مصر[١٧٤] التي سنتناولها بالتفصيل ضمن الصفحات الآتية:

٣- حملات أسد الدين شيركوه على مصر:

كانت حملات أسد الدين شيركوه على مصر(٥٥٩، ٥٦٢، ٥٦٤ هـ/١١٦٣، ١١٦٦، ١١٦٩م) بمثابة البداية الفعلية لتنامي سلطة الأسرة الأيوبية. فعلى الرغم من مشاركتهم في بعض احداث المشرق الاسلامي قبل ذلك بكثير الا ان معظم المؤرخين الذين دونوا تاريخ الحقبة التي ظهر فيها بني ايوب اتخذوا من تلك الحملات منطلقاً لسرد احداث التاريخ الايوبي وربما يعود ذلك الى كون بروز الايوبيين كقوة سياسية وعسكرية مرتبط تماماً بهذه الحملات ولاسيما الحملة الثالثة التي استلم على اثرها أسد الدين شيركوه مقاليد الوزارة في مصر ومن بعده صلاح الدين يوسف بن أيوب.

لم يكن المؤرخون السريان الذين دونوا تاريخ بني أيوب بمعزل عن هذا المنحى، فهم ايضاً اتخذوا من حملة أسد الدين شيركوه الاولى على مصر منطلقاً لسرد التاريخ الايوبي، وهذا الاتجاه في تدوين التاريخ كان سائدا بين المؤرخين حينذاك حيث ان الاهتمام بشخصية معينة او اسرة حاكمة يبدأ مع بداية دورها الفعلي في سير الاحداث التاريخية بوصولها الى واجهة السلطة، فضلا عما سبق فان المؤرخين السريان ربما وقعوا تحت تأثير اساليب المؤرخين المسلمين ممن كانت لهم الغلبة في الحضارة الاسلامية حينها، فجاءت مناهج المؤرخين السريان في تدوين التاريخ منسجمة وقريبة من مناهج المؤرخين المسلمين. واستناداً لماسبق نرى الرهاوي المجهول يتخذ من حملة أسد الدين شيركوه الاولى على مصر منطلقا لتدوين اخبار بني ايوب، الا انه لم يفعل كما فعل ابن العبري بتقديم تعريف بأيوب واخيه أسد الدين وأصلهما بل مضى في رواية الحدث

---

(١٧٤) تاريخ الزمان، ص ١٧٦.

مشيرا فقط الى أسد الدين شيركو واصفاً إيّاه بأنه كان " قائدا محتالا وباسلا "[(١٧٥)] اما ميخائيل السرياني فانه مختلف تماما حيث انه لم يقدم اي معلومات عن احداث تلك الحملة بل اتخذ من سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م)[(١٧٦)] منطلقا لتدوين تاريخ بني ايوب وهي السنة التي دخل فيها صلاح الدين دمشق.

أ- حملة أسد الدين الاولى (٥٥٩هـ/١١٦٣م):

جاءت الحملة النورية الاولى على مصر لأسباب عدة أهمها الضعف والانحلال الذي دبّ في الدولة الفاطمية ذلك انها بدت في اواسط القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي في دور الاحتضار مما حفّز نور الدين زنكي الى استغلال ذلك لصالحه، كما وكان للصراعات المحتدمة على منصب الوزارة في مصر والتي كان آخرها ما دار بين ابو شجاع شاور (ت٥٦٤هـ /١١٦٩م) وابو الاشبال ضرغام بن عامر (ت٥٥٩هـ /١١٦٣م) واحداً من الأسباب المباشرة للحملة الاولى، ولاسيما عندما تمكن الاخير من الاستحواذ على الوزارة المصرية سنة (٥٥٨هـ /١١٦٢م) الامر الذي دفع شاور الى اللجوء الى بلاد الشام مستنجداً بنور الدين زنكي (ت٥٦٩هـ /١١٧٣م) لعله يساعده في استرجاع منصبه[(١٧٧)]، شرط ان تكون مصروفات الحملة على عاتق شاور وتعهد الاخير على تقديم ثلث خراج مصر لنور الدين وان يكون له ممثلا في القاهرة[(١٧٨)].

---

(١٧٥) تاريخ الرهاوي: ج٢، ص ص١٩١-١٩٢.

(١٧٦) تاريخ، ج٣، ص٣٢٣.

(١٧٧) ابن الأثير:الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية، تحقيق عبدالقادر احمد طليمات،دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت، ص١٢٠" ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب،تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، د.ت، ج٢، ص٣١٦

(١٧٨) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١٨٤" محمد مؤنس عوض: العلاقات بين الشرق والغرب،عين للدراسات، القاهرة،٢٠٠٠،ص ١٩٠" السيد الباز العريني: الشرق الادنى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٧، ص٣١.

تباين اهتمام المؤرخين السريان بتدوين احداث الحملة الاولى لأسد الدين شيركوه على مصر، فميخائيل السريان لم يتطرق الى تلك الحملة نهائياً، في حين تحدث كل من الرهاوي المجهول وابن العبري باسهاب عن تفاصيل الحملة ومجريات احداثها بدءاً من استنجاد شاور بنور الدين وانتهاءاً بعودة أسد الدين الى دمشق

بدأت الحملة كما اسلفنا سنة (٥٥٩هـ /١١٦٣م) حيث جهز نور الدين قوة من الفرسان اسند قيادتها الى أسد الدين شيركوه، الذي كان قد غدا من ابرز أمراء جيشه إذ لم يكن لدى نور الدين قائداً اصلح منه للنهوض بالمهمة حسب رواية ابن العبري " فلما اراد نور الدين ان يرسل العساكر الى مصر لم ير هناك من يصلح لهذا الامر العظيم المقام الخطير غيره ﴿اي أسد الدين﴾ فارسله فملكها" [١٧٩] إن في رواية ابن العبري فيها استدلال صريح على ان أسد الدين شيركوه كان قد تبوأ مكانة مرموقة لدى نور الدين على الصعيد العسكري، كما وفيها أيضاً ما نستدل منه ان اسد الدين كان يتمتع بقدرات قتالية أهلته بأن يحتل موقعاً متقدماً بين قادة نور الدين لاسيما الأتراك

حدّد الرهاوي عدد قوات أسد الدين شيركوه بعشرة الاف مقاتل[١٨٠]، في حين جاءت رواية ابن العبري خالية من اي ذكر لعدد افراد جيش أسد الدين وبهذا ينفرد الرهاوي عن مؤرخي عصره سرياناً ومسلمين بهذه الرواية، والرهاوي لايشير الى مصدرها[١٨١].ولو تأملنا رواية الرهاوي لوجدنا فيها مبالغة واضحة لاسيما اذا ما

Lane pool: history of Egypt in middle ages, frank cass and co, London,1963,p.176

(١٧٩) تاريخ مختصر الدول، ص٢١٣.

(١٨٠) تاريخ الرهاوي:ج٢،ص ١٩١.

(١٨١) قارن مع ابن الاثير: الكاول،ج٩،ص١٨٤" ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص٩٧" ابو شامة: الروضتين، مج١،ج١، ص٣٥٦" ابن واصل: التاريخ الصالحي، في الموسوعة الشامية، تأليف وتحقيق سهيل زكار، دمشق،١٩٩٥،ج٢١، ص٤٩٥.

قارنا ما ذهب اليه الاخير مع مجمل قوات الحملة الثانية (٥٦٢هـ /١١٦٦م) التي تضمنت الفي مقاتل[١٨٢] في حين يصفها الحنبلي بـ "معظم جيش نور الدين "[١٨٣] فاذا كان تعداد الحملة الثانية الفي مقاتل وهو معظم جيش نور الدين فان عشرة آلاف مقاتل رقم مبالغ فيه لاسيما اذا علمنا انها كانت حملة استطلاعية كما يصفها ابن شداد بأنها " جيشاً للبلاد وتطلعاً على احوالها "[١٨٤]، فالأقرب الى الصحة هو انه كان مع أسد الدين حوالي الف فارس[١٨٥]، إذ ليس من المعقول ان يرسل نور الدين محمود الجزء الاكبر من قواته في مهمة قد تستغرق وقتاً طويلا ويترك بلاد الشام دون قوة عسكرية مناسبة للدفاع عنها بوجه الخطر الصليبي الذي كان يتحين الفرصة للإنقضاض عليه.

ويقدم الرهاوي المجهول في سياق عرضه لأحداث الحملة الاولى رواية اخرى فريدة من نوعها تشير الى ان نور الدين محمود وبهدف تأمين الطريق من الشام لأسدالدين وجيشه وصولاً الى مصر أعطى حاكم حصني الكرك[١٨٦] والشويك[١٨٧] والذي يسميه فيليبس

---

(١٨٢) ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٢٠٩" ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ج٢، ص٧٠.

(١٨٣) شذرات الذهب، داراحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، مج٢،ج٤، ص٢٠٣.

(١٨٤) سيرة صلاح الدين، ص٩٧.

(١٨٥) هذا ماذهب اليه الدكتور محسن محمد حسين أيضاً وهو الأقرب الى الواقع. ينظر جيش صلاح الدين، دار آراس، اربيل، ٢٠٠٣، ص٣٩" كذلك وردت عبارة (small army) للتعبير عن جيش أسد الدين في Michael Camberlain: the Crusader and Ayyubid, in Camb Hist of Egypt, Cambridge university press, 2008,vol:1,p213

(١٨٦) الكرك: قلعة حصينة جداً تقع على طرف الشام الجنوبي من جهة الحجاز بين ايلة (خليج العقبة) وبحر القلزم(البحر الاحمر) وهي على جبل عالٍ تحيط به الأودية الا من جهة واحدة. ياقوت الحموي: معجم البلدان،ج٣ ، ص٣٧٠ .وهي تقع الآن ضمن اراضي المملكة الاردنية.

بن غي[١٨٨] ذهباً وهدايا لكي يسمح للقوات التي يقودها أسد الدين شيركوه بالعبور الى مصر[١٨٩] إن هذه الرواية لم ترد عند أي من المؤرخين السريان الآخرين قيد الدراسة وكذلك المصادر الاسلامية فانها لم تشر الى مثل هذه الرواية بل إن ما بين ايدينا من نصوص تؤكد ان نور الدين زنكي قام بمهاجمة المناطق الصليبية في الشام لاشغال الصليبيين عن التعرض لقوات الحملة[١٩٠]

وفي رواية الرهاوي السالفة اشارة ضمنية الى ضعف موقف نورالدين العسكري، والا لماذا يقوم بدفع مبلغ من المال للصليبيين لقاء عدم التعرض لجيشه. كما ونستدل من نص الرهاوي ان حجم جيش أسد الدين لم يكن بالقدر الكافي لتأمين الحماية لنفسه الامر الذي دفع نور الدين الى هذا الاجراء. فضلاً عن ذلك فإن رواية الرهاوي المجهول تنعكس سلباً على واقع العلاقات بين الامارات الصليبية، حيث ان المصلحة الشخصية لصاحب الكرك دفعته لقبول مثل هذا الاتفاق لاسيما اذا ما علمنا ان أموري (٥٥٨_٥٦٩هـ /١١٦٢_١١٧٤م) ملك القدس الصليبي كان طرفاً في الصراع القائم على مصر[١٩١] فهو بهذا ساهم وبشكل مباشر من خلال

---

(١٨٧) الشويك: قلعة حصينة تقع على الجنوب من الكرك ، وهي على تل مرتفع مطل على غور الاردن من جهة الشرق أبو الفدا: تقويم البلدان ، تصحيح: رينو والبارون ماك كوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠ ، ص٣٤٧

(١٨٨) لم نجد له ترجمة.

(١٨٩) تاريخ الرهاوي:ج٢،ص ١٩٢.

(١٩٠) ابن الاثير: الباهر، ص ص ١٢٠-١٢١" ابن شداد: سيرة صلاح الدينوص١٩٧"ابو شامة: الروضتين، مج١، ج١، ص٣٥٧" ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٥، ص٥٠٠" ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص١٣٨.

(١٩١) ان فكرة السيطرة على مصر وضمها الى مملكة بيت المقدس تعود الى عهد جوديفري لتأمين الحدود الجنوبية للمملكة، كما وحاول بلدوين الثالث السيطرة على مصر سنة

السماح للقوات الاسلامية بالعبور الى مصر دون التعرض لها في تقوية الجانب الاسلامي الذي يعد العدو الإول للملك اموري.

على أية حال فان أسد الدين شيركوه تقدم على رأس جيشه حتى وصل مدينة بلبيس[192]. وهناك دارت مواجهة مع القوات المصرية بقيادة شقيق الوزير ضرغام أسفرت عن انتصار أسد الدين وتقدمه نحو القاهرة[193] حيث دارت بالقرب منها معركة فاصلة بين الجانبين كان النصر فيها حليفاً لأسد الدين وقتل فيها ضرغام[194] بعد ان تخلى عنه جيشه والتحق بشاور على حد قول الرهاوي "اما القوات المصرية، فحسب عادتهم، أخذو يخونون ويخرجون الواحد تلو الآخر الى شاور "[195]. كما وفي رواية الرهاوي إشارة الى دراية مسبقة عن طبيعة الجيش المصري " وأخذو يخونون... "،والتي ربما يقصد الرهاوي بها التقلبات المستمرة في ولاء الجيش المصري بين وزراء الفاطميين لاسيما خلال الحقبة التي سبقت حملات أسد الدين شيركوه. ويردف الرهاوي قائلاً ان اسد الدين " حلّ في جوار مصر ﴿القاهرة﴾ وكان شاور يخرج كل يوم للسلام عليه"[196] نستدل من كلام الرهاوي السالف ان العلاقات بين شاور واسد الدين كانت حسنة في بداية الأمر، لكنها لم تدم كثيراً، فبعد أن استقرت الأوضاع في القاهرة لصالح شاور وعودته الى منصب الوزارة في (رجب ٥٥٩هـ/ايار١١٦٣م)

(٥٥٥هـ/١١٦٦م). للمزيد ينظر: هنادي السيد محمود: مملكة بيت المقدس الصليبية، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٦٦

(١٩٢) وردت عند الرهاوي (بولباس): وهي مدينة تقع الى الغرب من القاهرة على بعد عشرة فراسخ (حوالي ٦٠كم) على طريق الشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٧٩

(١٩٣) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢١٢.

(١٩٤) الداوداري: كنز الدرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة،١٩٧٢،ج٧، ص٢٠٦" المقريزي:اتعاظ الحنفا، تحقيق محمد حلمي احمد،لجنة احياء التراث، القاهرة،١٩٩٦،ج٣،ص٢٧٠.

(١٩٥) تاريخ الرهاوي، ج٢،ص١٩٢.

(١٩٦) المصدر نفسه، ص١٩٤.

نكث كل تعهداته السابقة لنور الدين[١٩٧]، وفي هذا الصدد يقدم ابن العبري رواية مفادها ان شاور" أبى ان يدفع له ما وعده من ذهب "[١٩٨]، في حين أن الإتفاق بين نور الدين وشاور حسب رواية ابن الاثير هو ان يقدم له شاور ثلث دخل مصر وبعض الاقطاعات لأُمرائه، وأن يقيم أسد الدين في القاهرة ممثلا لنور الدين[١٩٩]، دون الاشارة الى تحديد مبلغ معيَّن. أما الرهاوي المجهول فيروي أنَّ ثمة خلافاً وقع بين أسد الدين شيركوه وشاور[٢٠٠] ادى الى حدوث مصادمات عسكرية بين الطرفين دون الاشارة الى اي معلومات تفسر سبب ذلك الخلاف.

نتيجة تدهورت العلاقة بين الجانبين أخذ الوزير شاور يطلب من أسد الدين شيركوه مغادرة مصر إلا ان الاخير رفض وتمركز في مدينة بلبيس، وهنا يقدم الرهاوي رواية يقول فيها ان أسد الدين بعد سيطرته على بلبيس راح ينهب المصريين ويضايق عليهم[٢٠١]، يبدو أن ما رواه الرهاوي يفتقر الى الصحة وذلك لسببين: الأول هو انه ليس هناك ثمة عداء بين أهالي بلبيس المسلمين وأسد الدين شيركوه، بل على العكس من ذلك فإن الأخير بأمس الحاجة الى تأييد الاهالي له وهو في ذلك الوضع الحرج حينذاك. والسبب الثاني هو انه لا المؤرخين السريان ولا المصادر الاسلامية[٢٠٢] التي أرّخت لتلك الحقبة لم تشر الى ما رواه الرهاوي المجهول، هذا مايدفعنا الى الإعتقاد بأن رواية الرهاوي السالفة غير صادقة.

---

(١٩٧) ابن الاثير: الباهر، ص١٢١" ابن واصل: مفرج الكروب،ج١، ص١٣٩"

Regine Pernoud: The crusaders, translated by Enid Grant, Oliver & Boyd LTD, London, 1963, p.208.

(١٩٨) تاريخ الزمان، ص١٧٧.

(١٩٩) ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص١٨٤" عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ج٢،ص٦٨٣" Lane pool: history, p.176

(٢٠٠) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص١٩٢.

(٢٠١) المصدر نفسه والصفحة.

(٢٠٢) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٧" تاريخ مختصر الدول، ص٢١٢. قارن مع: ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص١٨٥" ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص٩٨" ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص١٣٩" الذهبي: دول الاسلام، تحقيق حسن اسماعيل مردة، دار، صادر، بيروت، ج٢، ص٦٢.

يبدو ان سيطرة أسد الدين شيركوه على بلبيس وعدم انساحبه الى بلاد الشام أسفر عن بعض المواجهات العسكرية مع قوات شاور الذي اضطر على اثرها الى طلب العون من اموري ملك القدس الصليبي مقدما له عرضا مغريا لقاء مساعدته ضد أسد الدين[٢٠٣] حيث ان هذا العرض لاقى قبولاً من قبل اموري لاسيما اذا ما علمنا ان فكرة استيلاء نور الدين على مصر قد اقلقت الصليبيين لأنه إذا ماتم فانه سيشكل تهديدا على كيانهم في بلاد الشام لذلك فقد وجد الصليبيون في طلب شاور فرصة سانحة للسيطرة على مصر وقطع الطريق على نور الدين.

بعد وصول القوات الصليبية وانضمامها الى قوات شاور فرض الجانبان حصارا على بلبيس استمر مايقارب الثلاثة اشهر[٢٠٤] وفي تلك الاثناء كان نور الدين زنكي وبتكتيك عسكري قد قام ببعض العمليات العسكرية ضد الصليبيين في بلاد الشام اسفرت عن استيلائه على قلعة حارم[٢٠٥] في (رمضان ٥٥٩هـ/تموز١١٦٣م) واسر عدداً من الامراء الصليبيين[٢٠٦] وكانت لهذه العملية أثر بالغ في سير الاحداث السياسية والعسكرية في مصر وهو ما نستشفه من خلال ما رواه ابن العبري من ان ملك القدس "لما بلغه ان الفرنج انكسروا في حارم واعتقلوا رخص لشيركوه ان يغادر بلبيس"[٢٠٧].

اما الرهاوي المجهول فانه يقدم رواية مختلفة لا يعزو فيها الى ان سقوط حارم سبَّب حرجاً عسكرياً للقوات الصليبية المتواجدة في مصر واجبرهم الى طلب الصلح بل انه

---

(٢٠٣) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، دار الفكر،بيروت، ٢٠٠٣، ج٢، ص٨٨٧" ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص١٣٩.

(٢٠٤) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٧" قارن مع ابن الاثير: الكامل،ج٩، ص١٨٥.

(٢٠٥) قلعة حارم: حصن منيع من اعمال حلب الى الشرق من انطاكية. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ٢٠٥. ينظر الخارطة رقم (١)، ص١٦١.

(٢٠٦) ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص١٤٠" سيد علي الحريري: الأخبار السني، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص٨٦" العريني: الشرق الأدنى، ص٣٢.

(٢٠٧) تاريخ الزمان، ص١٧٧.

يشير الى ان أسد الدين شيركوه طلب "الايمان والقسم ليتركوهم يذهبون فارغين"[٢٠٨] ،ان هذا الميل الى الجانب الصليبي من الرهاوي يوحي لنا ان الاخير كان ميالا الى ايجاد اعذار مناسبة للصليبيين خلال المواجهات مع الجانب الاسلامي في حين نجد ابن العبري اكثر موضوعية في عرض الاحداث وفي هذا الصدد يروي وبوضوح ان الصليبيين هم من بادروا بطلب الصلح إثر الخسائر التي تعرضوا لها في الشام[٢٠٩]

ب – حملة أسد الدين الثانية (٥٦٢هـ/١١٦٧م)

اسفرت الحملة الأولى على مصر وما تبعها من تدخل اموري ملك القدس الصليبي في مصر عن نتائج مهمة لكلا الجانبين اهمها تلك التي تتعلق بالجانب العسكري فقد ايقن اموري ان سيطرة نور الدين زنكي على مصر ستشكل تهديدا واسع النطاق على مصير مملكته[٢١٠] اما نور الدين فقد تبين له الضعف السياسي والعسكري الذي كانت مصر تعانيه وما نجم عنه من تحالفات مشبوهه عقدها شاور مع الصليبيين، فضلا عن رغبة نور الدين في توحيد كل من مصر والشام ليجعل خصومه الصليبيين بين شقي الرحى فيكون بذلك قد سيطر على مفاتيح الشرق الادنى.

حظيت الحملة الثانية لأسد الدين شيركوه باهتمام متباين لدى المؤرخين السريان-قيد الدراسة- ففي الوقت الذي يقدم فيه الرهاوي المجهول رواية مقتضبة دون ان يعرض تفاصيل الاحداث بين الاطراف المتقاتلة بشكل مفصل نجد ابن العبري في تاريخ الزمان السرياني ينقل لنا رواية مطولة عن تلك الأحداث. اما كتابه المختصر فقد اهمل فيه تماماً اي ذكر للحملة الثانية لأسد الدين حيث نجده ينتقل مباشرة الى تدوين احداث الحملة الثالثة[٢١١]

---

(٢٠٨) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص١٩٣.

(٢٠٩) تاريخ الزمان، ص١٧٧.

(٢١٠) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٨٩٥.

(٢١١) تاريخ مختصر الدول، ص٢١٢.

خرجت القوات الزنكية بقيادة أسد الدين شيركوه في (ربيع الاخر ٥٦٢هـ /كانون الثاني١١٦٧م) ولم يقدم لنا المؤرخون السريان اي تقديرات لعدد افرادها في حين قدرتها المصادر الاسلامية بالفي مقاتل[٢١٢]، دخلت مصر واستقرت على الضفة الغربية لنهر النيل.

يتفق كل من الرهاوي المجهول وابن العبري على ان الوزير شاور بعث الى اموري ملك القدس يستنجد به على أسد الدين[٢١٣]. ولبى اموري نداء شاور " فساروا في جيوش كثيفة "[٢١٤] نحو مصر واجتمع بالجيش المصري الذي كان تحت قيادة شاور. ويبدو أنَّ اموري وقف على نزعات شاور المتقلبة فاراد ان يبرم معه اتفاقا ليضمن الحصول على مغانم مالية قبل ان يقدم على محاربة أسد الدين شيركوه، علما ان اياً من المصادر السريانية لم تشر الى مضمون هذا الاتفاق.

بعد ان قبل شاور شروط الجانب الصليبي توجهت قواته لقتال شيركوه ويبدو ان عددها كان يفوق ما كان مع أسد الدين من مقاتلين ، نستدل على ذلك من رواية لابن العبري عن جدل دار بين امراء أسد الدين حيث يقول: "فاشار الزعماء اليه ان يعود راجعا الى سورية مصرحين له بعجزهم عن مقاتلة الفرنج والمصريين جمعاً" [٢١٥] الا ان أسد الدين ابى ذلك وصمم على القتال وبهذا الصدد يقدم ابن العبري رواية أخرى عن خطة عسكرية محكمة لأسد الدين شيركوه[٢١٦] كي يتفادى الفارق العددي

---

(٢١٢) ابن الاثير: الكامل، ج٩،ص٢٠٧" ابن واصل: مفرج الكروب،ج١، ص١٤٨" الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤،ص٢٠٣.

(٢١٣) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص١٩٢" تاريخ الزمان، ص١٧٨.

(٢١٤) المصدر نفسه والصفحة.يقدر ابن العبري عدد قوات الصليبيين والمصريين مجتمعة بعشرة آلاف مقاتل. تاريخ الزمان، ص١٧٩

(٢١٥) المصدر نفسه، ص١٧٨.

(٢١٦) عن تفاصيل تلك الخطة ينظر: تاريخ الزمان، ص١٧٩.

مع عدوه، ومهما يكن من امر فان معركة طاحنة دارت بين الطرفين لم تسميها المصادر السريانية في حين تسميها المصادر الاسلامية بمعركة البابين[٢١٧] اسفرت عن انتصار لقوات أسد الدين.

إن ما تجدر الاشارة اليه هنا هو ان الرهاوي المجهول لم يشر اطلاقا الى احداث هذه المعركة ربما بسبب الخسارة التي تعرض لها الجيش الصليبي، حيث اننا لو تأملنا روايات الرهاوي السابقة لوجدناه غالبا ما يحاول التغاضي عن خسائر الصليبيين في حين يقدم تفاصيل عن انتصاراتهم.

أياً كانت رؤى الرهاوي المجهول فانه على اثر الانتصار الذي حققه أسد الدين شيركوه في معركة البابين توجه مباشرة نحو مدينة الاسكندرية[٢١٨] وتمركز فيها لاعادة تنظيم قواته حتى تنجلي صورة الوضع العسكري، لم يمضِ وقت طويل حتى جاء شاور بمعية اموري وضربوا حصارا على المدينة استمر ثلاثة اشهر وفق رواية الرهاوي[٢١٩].

لقد أهمل الرهاوي المجهول الاحداث التي تلت حصار الاسكندرية في حين نجد ابن العبري يقدم عرضا اكثر تفصيلا عمّا اسفر عنه حصار الاسكندرية من اتفاق، الا انه خلط بين ماتم الاتفاق عليه بين أسد الدين شيركوه والصليبيين وشاور من جهة واتفاق الاخير والصليبيين من جهة اخرى حيث جعلها اتفاقا واحدا[٢٢٠] في حين انهما اتفاقان منفصلان. ووفق هذا الاتفاق عاد كل من أسد الدين شيركوه واموري الى بلاد الشام

---

(٢١٧) ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٢٠٨" الاصفهاني: سنا البرق الشامي، باختصار البنداري، تحقيق فتحة النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩، ص٢٠" سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن،١٩٥٢، مج٨، ق٢، ص٢٦٨.

(٢١٨) الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي،ج٢،ص١٩٣" ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٧٨" قارن مع الاصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٢٠.

(٢١٩) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص١٩٣.

(٢٢٠) تاريخ الزمان، ص١٧٩" قارن مع ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٢٠٨.

ج ـ الحملة الثالثة لأسد الدين شيركوه (٥٦٤هـ /١١٦٩م)

غدت مصر ومنذ سنة (٥٥٩هـ /١١٦٣م) محط انظار كل من نور الدين زنكي واموري ملك القدس الصليبي الذي لا يزال تراوده فكرة الاستيلاء على مصر، فما ان حلت سنة (٥٦٤هـ /١١٦٩م) حتى كانت الفرصة مواتية لأموري بتجهيز حملة جديدة على مصر، وفي هذا الصدد فان الروايات التي قدمها كل من الرهاوي المجهول وابن العبري فيها تباين واضح ففي حين ان الرهاوي لا يقدم سوى اربع روايات منفصلة تتعلق بحملة اموري وما تلاها من حملة أسد الدين شيركوه، نجد ان ابن العبري يقدم لنا عرضا مفصلا في اكثر من صفحتين ضمن كتابه تاريخ الزمان السرياني[٢٢١] اما تاريخه المختصر فلا نجد فيه سوى رواية واحد مقتضبة لا تتعدى الثلاثة اسطر يورد فيها خبر استيلاء أسد الدين على مصر ووفاته[٢٢٢].

لقد عزا ابن العبري سبب خروج اموري نحو مصر الى دعوة تلقاها من اولئك الفرسان الصليبيين المقيمين في القاهرة[٢٢٣] يخبرونه ان مصر خالية من الجيوش وان السيطرة عليها في هذه الآونه هي أسهل ما يمكن ، ومع ان الملك كان يتطلع للاستيلاء على مصر" الا ان ما بين ايدينا من ادلة تؤكد ان الاخير لم يكن متحمسا هذه المرة لقيادة حملة عسكرية على مصر وهذا ما يؤكده ابن العبري بقوله "ان الملك الحكيم قال ان اموال مصر تاتينا عفوا صفوا فاذا زحفنا اليها فلا بد ان العرب بسبب حقدهم علينا

---

(٢٢١) ص ص١٨١-١٨٢.

(٢٢٢) ص٢١٢.

(٢٢٣) كان احد بنود الاتفاق الذي عقده شاور مع الصليبيين هو ان يكون للصليبيين جنود مقيمون في القاهرة لحراسة الابواب وجباية الضرائب وهؤلاء هم الذين طلبوا من اموري القيام بهجوم على مصر.للمزيد ينظر: كروسيه: الحروب الصليبية، ترجمة احمد ايبش، دار قتيبة، دمشق،٢٠٠٤ ، ص٦١"
Lane pool: History of Egypt, p.153

يستنجدون بنور الدين ويكتبون اليه في الحضور فيهب الينا المصريون والغرباء جميعا وينقلبون علينا"[٢٢٤] ويبدو ان الملك الصليبي لم يستطع فرض رايه على القادة والامراء الصليبيين الذين اصروا على غزو مصر فنزل عند رايهم

إن أول عمل عسكري قامت به القوات الصليبية في مصر كان احتلال مدينة بلبيس وذلك بداية (صفر ٥٦٤هـ/ تشرين الثاني ١١٦٩م) وبهذا الخصوص يقدم كل من الرهاوي وابن العبري روايتين متقاربتين عمّا قامت به القوات الصليبية من افعال بشعة داخل المدينة كان الرهاوي اكثرتفصيلا في نقلها، حيث ينقل لنا عدد القتلى الذين سقطوا في تلك الأحداث بقوله "قتل اكثر من اربعة الاف نسمة من سكانها وجعلها يباباً"[٢٢٥] لا نغالي اذا قلنا ان رواية الرهاوي فيها الكثير من الصواب وقد رسم فيها صورة حقيقية عن الصليبيين من خلال عرضه لما جرى في الحملة من اعمال غير انسانية تجاه سكان المدينة وتعد هذه الرواية الصادرة من مؤرخ مسيحي خير دليل على السلوك اللانساني للصليبيين تجاه سكان المدينة الأبرياء.

بعد ان سيطر الصليبيون على بلبيس توجهوا الى القاهرة في (١٠صفر٥٦٤هـ /١٣كانون اول ١١٦٩م) [٢٢٦] وفرضوا عليها حصارا استمر اكثر من شهر ونصف دون القيام باقتحام المدينة على الرغم من ضعف دفاعاتها، وهذا يدل على ان اموري لم يكن ينوي الاستيلاء على القاهرة بقدر ما كان حريصا على الحصول على مبلغ من المال كفدية، نستدل على ذلك من الرسالة التي بعثها شاور الى الملك الصليبي واورد ذلك ابن العبري إذ قال: " كتب شاورالى اموري يقول: أرى من الموافق ان تقبضوا من

---

(٢٢٤) تاريخ الزمان، ص١٨١" قارن مع ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٢١٦" ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص١٥٦.

(٢٢٥) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص١٩٤.

(٢٢٦) ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٢١٦" المقريزي: اتعاظ الحنفا،ج٣، ص٢٩٧" مصطفى الحياري: صلاح الدين، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٤، ص١٠٧

الذهب ما شئتم وتعودوا الى بلدكم وتقيموا لكم وكلاء يجبون لكم الجزية كالسابق اقتنع الفرنج وعقدوا الصلح "[٢٢٧]

اما موقف الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله (٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧١م) واهالي مصر من الهجوم الصليبي فقد اختلف فيه كل من ابن العبري والرهاوي فرواية الاخير تشير الى ان اهالي مصر استنجدوا بنور الدين زنكي لمساعدتهم، وقد ارسل هو بدوره جيشا بقيادة أسد الدين شيركوه[٢٢٨]، اما ابن العبري فيقول ان الخليفة العاضد ارسل الى نور الدين يطلب منه العون[٢٢٩]، في حين ان بعض المصادر الاسلامية تشير الى ان شاور ارسل نداء الى نور الدين لنجدته[٢٣٠]

في ضوء الروايات الثلاث السريانية والاسلامية يظهر ان كلا من الخليفة الفاطمي والوزير شاور واهالي مصر كانوا قد ارسلوا الى نور الدين زنكي وأسد الدين شيركوه في طلب المساعدة وان الرسل وصلت الى بلاد الشام كل على حدى، نستدل على ذلك برواية لابن الاثير مفادها انه عندما وصلت رسالة العاضد الى نور الدين وهو بحلب ارسل الى أسد الدين الذي كان حينئذ في حمص، فاذا بأسد الدين قد جاء الى حلب على اثر رسالة جاءته من مصر في المعنى ذاته[٢٣١]

مهما يكن من أمر، فان الصليبيين وبعد حصولهم على المبلغ الذي قدمه شاور والذي بلغ مائة الف دينار[٢٣٢]، وفق رواية ابن العبري[٢٣٣]، قد رجعوا الى

---

(٢٢٧) تاريخ الزمان، ص١٨١.

(٢٢٨) تاريخ الرهاوي،ج٢،ص١٩٤.

(٢٢٩) تاريخ الزمان، ص١٨١.

(٢٣٠) الاصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٣٨" ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص١٥٨

(٢٣١) الكامل، ج٩، ص٢٠٨.

(٢٣٢) يبالغ وليم الصوري في تقديره للمبلغ حيث يجعله مليون دينار.تاريخ الحروب الصليبية،ج٢وص٩٣١.

(٢٣٣) تاريخ الزمان، ص١٨١.

بلادهم، في حين ان الرهاوي لم يشر الى المبلغ واكتفى بالقول ان الفرنج "اخدوا ذهبا وعادوا الى بلادهم"[٢٣٤].

على اثر المستجدات وصل شيركوه الى مصر واستقر بالقرب من القاهرة حيث اخذت علاقته مع شاور تسير من سئ الى اسوء بعد ان ايقن الاخير انه سيبعد من منصبه، لذلك فقد اعد خطة محكمة للقضاء على أسد الدين وبهذا الخصوص يقدم لنا الرهاوي المجهول رواية مفصلة عن تلك الخطة مفادها ان شاور امر كل واحد من قادته بإقامة وليمة لأحد قادة شيركوه وعند حضورهم يقومون بقتل القادة الحاظرين عندهم وأعدّ شاور رجال لقتل أسد الدين[٢٣٥]، ويردف قائلا ان أسد الدين علم بذلك فلم يذهب الى الوليمة. ولم يقدم الرهاوي اي معلومات عن الكيفية التي كشف بها أسد الدين تلك المؤامرة، لكن ابن العبري ومن خلال رواية له يقول ان ابن شاور المدعو (الكامل) كان قد نهى والده عن تنفيد الخطة[٢٣٦]، فمن خلال مقارنة ما ذهب اليه ابن العبري مع رواية المصادر الاسلامية عن هذه الحادثة نرى ان الكامل ابن شاور ربما يكون هو الذي اعلم أسد الدين عن نوايا ابيه[٢٣٧]

إن توتر علاقة شاور مع أسد الدين شيركوه اودى بحياته، وبهذا الخصوص فان كلا من الرهاوي وابن العبري يقدمان روايتين مختلفتين عن ملابسات مقتل الوزير شاور. فقد اشار ابن العبري الى ان شاور جاء الى معسكر أسد الدين والتقى بصلاح الدين حيث قام الاخير باعتقاله حتى مجئ عمه أسد الدين وهذا بدوره

---

(٢٣٤) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص١٩٤.

(٢٣٥) المصدر نفسه والصفحة.

(٢٣٦) تاريخ الزمان، ص١٨٢.

(٢٣٧) ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٢١٩" ابو شامة: الروضتين، مج١،ج٢، ص٣٨" ابن واصل: مفرج الكروب: ج١، ص١٦١" ابو الفدا: المختصر،ج٢، ص١٢١.

استشار الخليفة في امره فامر بقتله[٢٣٨] في حين ان رواية الرهاوي تؤكد ان أسد الدين نفسه هو الذي قتل شاور بعد أن هيأ لذلك بعض حراسه وبعدها ركب شيركوه حصان شاور ودخل القاهرة[٢٣٩] من خلال الروايتين السالفتين نحن نرجح ماذهب اليه الرهاوي، كون الأقرب مقتضيات العمل العسكري تتطلب من شيركوه الاسراع بالتخلص من شاور.

مهما يكن من امر فبمقتل شاور تسلم أسد الدين منصب الوزارة الفاطمية في (١٧ ربيع الاخر٥٦٤هـ/ ١٨ كانون الثاني١١٦٩م) [٢٤٠] وفي فترة وزارة أسد الدين التي استمرت نحو شهرين ينفرد الرهاوي برواية مفادها ان أسد الدين شيركوه قام بفرض ضرائب اثقلت كاهل المصريين واخذ الاتاوات وان الاخير اتخذ بعض الاجراءات تجاه المسيحيين في مصر منها زيادة الخراج[٢٤١] والجزية[٢٤٢] عليهم وان لايمتطوا حصانا او بغلا ويشير كذلك الى أنه ونتيجة تلك السياسة من قبل اسد الدين اعتنق اكثر من اربعة عشر ألف مسيحي الدين الاسلامي[٢٤٣] ويبدو ان ما لدى الرهاوي المجهول من

---

(٢٣٨) تاريخ الزمان، ص١٨٢.

(٢٣٩) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص١٩٤.

(٢٤٠) ينظر نص كتاب الوزارة في ابن واصل: التاريخ الصالحي، في الموسوعة الشامية، ج٢١، ص٤٩٨.

(٢٤١) الخراج: هو الضريبة المفروضة على ملاك الأراضي وذلك بنسب معينة من محصول تلك الأرض. ابو يوسف: كتاب الخراج، تحقيق محمود الباجي، دار بو سلامة للطباعة، تونس، ١٩٨٤، ص ٢٩" محمد كامل حسن المحامي: الجزية في الاسلام، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص١٤

(٢٤٢) الجزية: وتسمى ضريبة الرأس وهي تؤخذ من غير المسلمين ممن يعيشون تحت حكم الدولة الاسلامية بعد ان سيطر المسلمون على مناطقهم كالمسيحيين واليهود والزردشتيين ايضا. للمزيد عن مفهوم الجزية ينظر: رفائيل بابو اسحق: احوال نصارى بغداد، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٠، ص٦٩" المحامي: الجزية ، ، ص ص ١٤-١٥

(٢٤٣) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص١٩٤-١٩٥.

مـسموعات او تـصورات تتـيح لـه هـذا الحـديث الـذي لا تـورده ولا تؤكـده المـصادر الاسلامية ولا السريانية اللاحقة لاسيما كتابات ابن العبري، كما وان واقـع الحـال ربما لايسمح لشيركوه لإتخاذ مثل هذه الاجراءآت كونه في بداية سلطته الـسياسية في مـصر وليس من المعقول ان يبدأ سلطته بأجراءآت تجعل العامة من الناس يكرهونه في الوقت الذي هو بحاجة الى دعمهم. وهنا نستطيع القول ان تفرد الرهاوي بسماع هذه الحكايات هي التي تجعله على طول خط سرده للأحـداث التاريخيـة اقـل موضـوعية في مروياتـه قياسا بابن العبري.

لم يـنعم أسـد الـدين شـيركوه بمنـصبه طـويلا اذ تـوفي فجـأة في (٢٢جمـادي الآخر٥٦٤هـ/٢٣اذار١١٦٩م) بعد مضي شـهرين علـى وزارته،وبهـذا الخـصوص يقـول الرهاوي المجهول ان أسد الدين امضى سنة وشهرين في منصب الوزارة[٢٤٤]، وهـذا غـير صحيح ،فان مابين ايدينا من شواهد تاريخية تؤكد ان أسـد الـدين شـيركوه مـات بعـد حوالي شهرين من توليه الوزارة الفاطمية.

إن ما تجدر الاشارة اليه هنا، هو ان هذا هو كل ما حدثنا به المؤرخون السريان عن بني ايوب في الحقبة التي سبقت تـسلم صـلاح الـدين منـصب الـوزارة في مـصر وبـدء نشاطه ومن ثمَّ حكمه لكل من مصر وبلاد الشام

(٢٤٤) المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٥.

المبحث الثاني: نشاط صلاح الدين السياسي والعسكري خلال الحقبة المصرية

١ ـ صلاح الدين واستلام الوزارة الفاطمية:

تولى صلاح الدين منصب الوزارة الفاطمية في (٢٥ جمادي الآخر ٥٦٤هـ/٢٦ اذار١١٦٩م) [٢٤٥] على اثر وفاة عمه أسد الدين شيركوه، لقد تطرق المؤرخون السريان الى كيفية اسناد هذا المنصب الى صلاح الدين بشيءٍ من التفصيل، حيث قدموا لنا ثلاث روايات الأولى منها للرهاوي المجهول والروايتان الاخيرتان لابن العبري.

يقول الرهاوي انه وبعد وفاة اسد الدين "سلِّمَ مملكة مصر الى ابن اخيه المدعو يوسف صلاح الدين بن ايوب"[٢٤٦]، هكذا دون انـي يورد اي تفاصيل اخرى عن كيفية اسناد المنصب وأسبابه، لكنه وفي السياق ذاته يصف صلاح الدين بالرجل الشهم والحكيم وأنه عندما شعر بان عدداً من الامراء يعارظون سلطته شرع بتوزيع بعض الأموال عليهم لكسب رضاه[٢٤٧]م.

اما ابن العبري فيقدم روايتين حول تولي صلاح الدين الوزارة الفاطمية الأولى ضمن كتابه تاريخ الزمان السرياني وهي مقتضبة وغير واضحة اختصرها بأقل

---

(٢٤٥) الأزدي: اخبار الدول المنقطعة، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٨٥" ابن الاثير: الباهر، ص ١٤٢" الاصفهاني: سنا البرق الشامي، ص ٤٣

(٢٤٦) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص١٩٥.

(٢٤٧) المصدر نفسه والصفحة.

من سطر واحد يقول فيها "وخلفه ابن اخيه صلاح الدين"[٢٤٨]، هكذا دون اي تفاصيل اخرى. اما الراوية الثانية فقد اوردها في تاريخ مختصر الدول وكانت اكثر تفصيلا إذ ينقل تفاصيل عن المنافشة التي جرت بين امراء الجيش النوري لتولي منصب الوزارة الا ان العاضد اختار صلاح الدين. وقد عزا ابن العبري سبب ذلك الى صغر سن الاخير وقلة خبرته[٢٤٩]، وسهول التحكم في قراراته وهو بذلك اي ابن العبري قد عول على رواية ابن الاثير[٢٥٠] الذي يعد احد المصادر الاساسية التي استقى منها معلوماته.

بعد استقراء روايات المؤرخين السريان والمؤرخين المسلمين عن تولي صلاح الدين الوزارة الفاطمية توصلنا الى ان اختيار الاخير لهذا المنصب كان لسببين الاول هو اعتقد العاضد ان صغر سن صلاح الدين سيمكنه من فرض رأيه عليه وصلة القرابة بالوزير السابق، والثاني هو ما كان يتمتع به صلاح الدين من دعم بعض الأمراء امثال ضياء الدين عيسى الهكاري الذي قام بدور محوري لاقناع بعض أمراء الجيش ويظهر هنا ان الانتماء القومي قد أدى دورا مهماً في دعم موقف صلاح الدين حيث نجد ان كلا من سيف الدين علي بن احمد الهكاري وقطب الدين خسرو بن تليل-وهو ابن اخ ابي الهيجاء الهذباني- فضلا عن عيسى الهكاري وكلهم من الكورد قد وقفوا الى جانب صلاح الدين في حين رفض عين الدولة الياروقي وهو من التركمان تولي صلاح الدين الوزارة وعاد الى بلاد الشام. نستدل على ماسبق من رواية لابن الاثير عن حوار دار بين عيسى الهكاري وقطب الدين خسرو بن تليل يقول فيها "على كل حال فيجمع بينك وبين صلاح الدين ان أصله من الاكراد، فلا تخرج الامر منه الى الاتراك"[٢٥١]

---

(٢٤٨) تاريخ الزمان، ص ١٨٢" قارن مع الأزدي: أخبار، ص١٨٥.

(٢٤٩) ص٢١٣.

(٢٥٠) الكامل، ج٩، ص٢٢٣" الباهر، ص١٤٢

(٢٥١) ابن الاثير: الباهر، ص١٤٢.

٢- الصعوبات التي واجهت صلاح الدين في بداية حكمه.

واجه صلاح الدين في بداية حكمه في مصر عدداً من المؤامرات جاءت نتيجة حتمية للاجراءات الإدارية التي اتخذها والتي اضرت كبار رجال الدولة الفاطمية عندما وجدوا ان امتيازاتهم تؤخذ منهم وتعطى لرجال صلاح الدين بالتدريج فكانت اولى تلك المؤامرات هي التي تزعمها مؤتمن الخلافة جوهر[٢٥٢] في (ذي القعدة ٥٦٤هـ /١١٦٩م) اي بعد حوالي أربعة اشهر من تولي صلاح الدين الوزارة عندما حاول الاتصال بالصليبين لمساعدته في القضاء على صلاح الدين[٢٥٣] إلا أنه تم القضاء عليها قبل ان تنفذ. ثم تلتها مؤامرة اخرى سنة (٥٦٧هـ /١١٧٢م) قادها عمارة اليمني[٢٥٤] (ت٥٦٧هـ/١١٧٢م) وقد جاءت كرد فعل نتيجة قضاء صلاح الدين على الخلافة الفاطمية الا انها ايضا لم يكتب لها النجاح[٢٥٥]

لم يقدم المؤرخون السريان اشارات كثيرة الى ما تعرض لصلاح الدين من مؤامرات وثورات سياسية او عسكرية في بداية حكمه، ما خلا روايتين لكل من الرهاوي المجهول ابن العبري. حيث يشير الأول وباختصار أن صلاح الدين في محاولاته للسيطر على السلطة في مصر كان هناك من لايرغب فيه من بين بعض العظماء وعبيد عمه اسد الدين[٢٥٦]، وفي المقابل وبتكتيك سياسي شرع صلاح

---

(٢٥٢) مؤتمن الخلافة: كان المسؤول عن ادارة قصر الخليفة العاضد لدين الله واليه ترجع الامور فيه. ابن الاثير: الكامل،ج ٩، ص٢٨٥.

(٢٥٣) الاصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٤٢" الحياري: صلاح الدين، ص١٢٦.

(٢٥٤) هو عمارة بن علي اليمني، مؤرخ وشاعر مشهور من اهل اليمن له عدة مصنفات منها اخبار اليمن واخبار الوزراء المصريين. للمزيد ينظر: الاصفهاني: خريدة القصر، تحقيق شكري فيصل، دمشق،١٩٦٤، قسم شعراء العراق، ص ص١٠١-١٠٤.

(٢٥٥) عن تفاصيل تلك المؤامرة ينظر: ابن واصل: مفرج الكروب،ج١،ص ص ٢٤٣-٢٤٤.

(٢٥٦) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص١٩٥.

الـدين " في توزيـع الغـني والكنـوز علـيهم وأفلـح شـيئاً فـشيئاً في تـذليل كـل العقبـات"[٢٥٧] أمـا ابـن العـبري فيقـدم روايـة يـشير فيهـا الى هجـوم قـام بـه النوبيون على بعض القرى في صعيد مصر ويردف قائلا ان صلاح الدين جهز حملة عسكرية اسند قيادتها الى اخيه توران شاه (ت٥٧٦هـ /١١٨٠م) حيث تمكن مـن القضاء عليهم، وينهي ابن العبري روايته بالاشارة الى عقـد الـصلح بـين الجـانبين شرط ان يدفع النوبيون الجزية[٢٥٨]

٣ـ انهاء الخلافة الفاطمية:

بعد أن استقر صلاح الدين في مصر وبعد مرور نحو ثلاث سنوات علـى توليـه منصب الوزارة وبفضل الدعم الذي حظي به من افراد اسرته[٢٥٩]، والاوامر التي جاءته من قبل نور الدين زنكي[٢٦٠] جاءت الخطوة الحاسمة المتمثلة بالغاء الخطبـة الفاطمية واعلان الخطبة للخليفة العباسي المستضئ بامرالله في (٧محرم٥٦٧هـ/١٠ ايلول ١١٧١م)[٢٦١]

---

(٢٥٧) المصدر نفسه والصفحة.

(٢٥٨) تاريخ الزمان، ص١٨٨.

(٢٥٩) كان افراد الاسرة الايوبية قد جاؤوا الى مصر في سـنة (٥٦٥هـ/١١٧٠م)، للمزيـد عـن دور الاسرة الايوبية في دعم صلاح الدين ينظر: جزيـل عبـد الجبـار الجومرد: الاسـرة الايوبيـة ودورهـا في تثبيت حكم صلاح الدين، مجلة التربية والعلم، ع٨، ١٩٨٩.

(٢٦٠) ابن الأثير: الباهر، ص١٤٣" البير أبونـا: تـاريخ الكنيـسة الـسريانية، دار المـشرق، بـيروت، ٢٠٠٣، ج٢، ص٢٩٣.

(٢٦١) ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٢٢٣" الـسبكي: طبقات الشافعية، ج٧، ص٣٦٥" الاصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٥٨" ابن الراهـب: تاريخ ابـن الراهـب، تحقيـق لـويس شـيخو، مطبعـة الآبـاء اليسوعيين، ١٩٠٣، ص٨٩.

Lane pool: history of Egypt, p.193

أغفل الرهاوي المجهول خبر انهاء الخطبة الفاطمية إذ لم ترد لديه أي إشارة بهذا الخصوص سوى خبر واحد في خضم حديثه عن الاختلاف المذهبي بين الخليفة العباسي والخليفة الفاطمي حيث يروي ان الاتراك ويقصد بهم القوات النورية والأيوبيين كونهم هم الذين يمثلون السلطة في مصر حينها "استأصلوا كرسي خليفة مصر لكي لا يبقى سوى خليفة واحد لجميع المسلمين "(٢٦٢) هكذا ورد الخبر دون اي توضيح ولا حتى تاريخ محدداً لذلك الحديث. ولا نغالي اذا قلنا ان الرهاوي غالبا ما تكون روايته غير مفصلة وناقصة واحيانا يقول انه سيورد تفاصيل حدث ما لاحقا ولا يفعل(٢٦٣)

أما ابن العبري فيقدم عرضا مفصلا عن الغاء الخلافة الفاطمية وما سبقها من دعوة نور الدين لصلاح الدين بهذا الخصوص وتخوف الاخير من قيام ثورة ضده حتى تمكن في النهاية من قطع الخطبة الفاطمية واعلانها للخليفة العباسي المستضئ بأمرالله(٢٦٤) في اول جمعة من شهر (محرم ٥٦٧هـ /ايلول ١١٧١م) بنسق تاريخي متسلسل حيث نجدها الصفة الغالبة على طريقة ابن العبري في التدوين وهي تعود دون شك الى سعة الافق الثقافي لدى ابن العبري واختلاطه المستمر برجال العلم ولاسيما خلال فترة اقامته بمراغة

وفيما يتعلق بوفاة الخليفة العاضد لدين الله فلدينا ثلاث روايات سريانية اثنتان منها للرهاوي المجهول والثالثة لإبن العبري وهي كالآتي:

يقدم لنا الرهاوي روايتين متابينتين عن وفاة الخليفة العاضد تقول الأولى منهما ان صلاح الدين دبر مكيدة للخليفة واغتاله(٢٦٥)، ان هذا الرواية فريدة

---

(٢٦٢) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٠١.

(٢٦٣) جاء في ص١٩٥ انه سيتحدث عن كيفية اعلان صلاح الدين الخطبة للخليفة العباسي ولم يفعل.

(٢٦٤) تاريخ الزمان، ص١٨٧" تاريخ مختصر الدول، ص٢١٥.

(٢٦٥) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص١٩٥" كذلك يقول يعقوب الفيتري: تاريخ بيت المقدس، ترجمة سعيد البيشاوي دار الشروق ،١٩٩٨، ص١٤٢

من نوعها حيث لم نهتدِ الى مثيل لها في المصادر الاسلامية المطلع عليها ولا يوجد لها ذكر لدى المؤرخين السريان، لكن هذا لا يمنع من ان تروج مثل هذه الرواية لاسيما في اوساط من هم غير متعاطفين مع صلاح الدين كالمؤرخ الصليبي وليم الصوري الذي يقول ان صلاح الدين "طرح مولاه ارضا بهراوة كان يحملها بيده وقتله"(٢٦٦) ولا نستبعد ان تكون هذه الرواية مصنوعة من قبل الموالين للبيت الفاطمي ومن ثمَّ وجدت لها طريقا الى الوسط الذي كان يعيش فيه وليم الصوري او الرهاوي المجهول، وليس من المستبعد ان يكون الرهاوي المجهول قد نقل روايته عن وليم الصوري

اما الرواية الثانية التي قدمها الرهاوي بهذا الخصوص فتقول ان الخليفة العاضد عندما سمع بنية صلاح الدين في الغاء خطبته "لحس ختم الخاتم الذي تكمن فيه قوة قتاله وفارق الحياة "(٢٦٧)، وبعد الإطلاع على المصادر الاسلامية المتاحة وجدنا ان رواية الرهاوي السالفة وردت لدى عدد من المؤرخين المسلمين(٢٦٨) وهي تصور لنا ان العاضد انتحر عند سماعه نبأ قطع الخطبة الفاطمية، في حين اتفقت مصادر اسلامية اخرى(٢٦٩) على ان العاضد لدين الله كان مريضا قبيل قطع خطبته التي جاءت متزامنة مع قرار صلاح الدين اعلان الخطبة للعباسيين

---

(٢٦٦) تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٩٣٦.

(٢٦٧) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٠١.

(٢٦٨) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان،ج٨، ق١، ص٢٩٠" النويري: نهاية الارب، تحقيق محمد محمد امين و محمد حلمي محمد احمد، مركز تحقيق التراث، القاهرة،١٩٩٢" الداوداري: كنز الدرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة،١٩٧٢، ج٧، ص٤٨.

(٢٦٩) ابن الاثير: الكامل،ج٩، ص٢٤٤" ابو شامة: الروضتين، مج١،ج٢، ص١٣٠"ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص٢٠١" ابو الفدا: المختصر،ج٢،ص١٢٨" ابن اياس: بدائع الزهور، مطابع الشعب، د.م، ١٩٦٠، ج١، ص٥٤.

وبعد الرجوع الى المصادر الاسلامية التي أرخت للحقبة قيد الدراسة حول هذه القضية اهتدينا الى رواية لابي شامة يقول فيها " اخبرني الامير ابو الفتوح ابن العاضد، وقد اجتمعت به وهو محبوس مقيد سنة ثمان وعشرين وستمائة ﴿١٢٣١م﴾ بقلعة الجبل[٢٧٠] بمصر، أن اباه في مرضه استدعى صلاح الدين فحضر، قال واحضرنا يعني اولاده وهم جماعة صغار فاوصاه بنا فالتزم اكرامنا واحترامنا "[٢٧١] ان قيمة هذه الرواية تكمن في انها وردت على لسان احد ابناء العاضد وسمعها منه ابو شامة مباشرة ومنها نستدل ان الخليفة العاضد كان فعلا مريضا قبل الغاء الخطبة الفاطمية من قبل صلاح الدين وان مرضه كان ينذر بوفاته لذلك اوصى صلاح الدين باولاده وبهذا فان رواية وفاة العاضد وفاة طبيعية هي أقرب الى الصواب.

أما الرواية الثالثة فهي لابن العبري كما أسلفنا حيث انه وفي كلا مصنفيه لم ينوه الى أي شئ مما ذهب اليه الرهاوي المجهول، فقد جاءت روايته خالية من اي اشارة الى كون العاضد قتل أو انتحر، بل ان روايته تؤكد أن العاضد إنما توفي وفاة طبيعية بعيدة قطع الخطبة الفاطمية[٢٧٢]، وهو بذلك - أي ابن العبري- يتفق مع ما اوردته أغلب المصادر الاسلامية بهذا الخصوص.

---

(٢٧٠) قلعة الجبل: قلعة حصينة تقع على جبل المقطم المهيمن على مدينة القاهرة في مكان ستراتيجي يشرف تماماً على المدينة، بناها الأمير قراقوش الأسدي بأمر من صلاح الدين لتكون مقراً له ولجنوده. للمزيد ينظر: سعداوي: التاريخ الحربي المصري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧، ص٨٦.

(٢٧١) الروضتين، مج١، ج٢، ص١٢٥.

(٢٧٢) تاريخ الزمان، ص١٨٧" تاريخ مختصر الدول، ص٢١٥.



الفصل الثالث
المؤرخون السريان والتوسع الأيوبي تجاه بلاد الشام والجزيرة

المبحث الاول: دخول صلاح الدين بلاد الشام

١. موقف آل زنكي والصليبيين من توجهات صلاح الدين التوسعية

لم تستمر نيابة صلاح الدين لنور الدين زنكي طويلاً في مصر اذ توفي الأخير في (شوال ٥٦٩هـ/ايار١١٧٤م) أي بعد حوالي سنتين من الغاء الخلافة الفاطمية، وبذلك انفرد صلاح الدين بالسلطة في مصر ولم يبقَ على الساحة السياسية منافس قوي يخشاه صلاح الدين وهو يراقب عن كثب مجريات الاحداث السياسية في بلاد الشام عموما ودمشق خصوصا على اثر وفاة نور الدين زنكي وما تلاها من اضطراب الوضع السياسي جراء التنافس الذي احتدم بين أمراء دمشق وحلب[٢٧٣] على وصاية الملك الصالح اسماعيل ابن نور الدين ذي الاحد عشر عاما الذي خلف اباه حاكما لبلاد الشام.

وفيما يتعلق بالمؤرخين السريان ورواياتهم التاريخية بخصوص موقف صلاح الدين من تسلم الملك الصالح اسماعيل (٥٦٩-٥٧٧هـ/١١٧٤-١١٨١م) للسلطة بعد وفاة ابيه، فان ميخائيل السرياني الذي إتخذ من حملة صلاح الدين على دمشق سنة (٥٧٠هـ/١١٧٥م)[٢٧٤] منطلقا لسرد أحداث التاريخ الأيوبي لايقدم في روايته ما

---

(٢٧٣) أثار وفاة نور الدين زنكي صراعا بين أُمراء حلب بزعامة شمس الدين علي ابن الداية وأُمراء دمشق بزعامة شمس الدين محمد ابن المقدم، وكان سبب هذا الصراع هو كيفية ادارة الدولة، فابن الداية أراد العمل تحت إمرة صلاح الدين، في حين أن إبن المقدم كان يميل الى الزنكيين.للمزيد حول هذا الصراع ينظر: إبن الاثير: الكامل،ج٨، ص ص٢٧٤-٢٧٥.

(٢٧٤) تاريخ، ج٣، ص٣٢٦.

يشير الى اعتراف صلاح الدين بسلطة الملك الصالح من خلال اعلان الخطبة وسك النقود باسمه[٢٧٥]، كذلك الحال بالنسبة للرهاوي المجهول فهو ايضا يتجاهل اي معلومات بهذا الخصوص[٢٧٦]، أما ابن العبري الأبعد زمنا فيشير وبوضوح في كلا مصنفيه ان صلاح الدين الايوبي اعترف رسميا بالملك الصالح اسماعيل من خلال اعلان الخطبة له وضرب النقود باسمه[٢٧٧] حيث كانت السمة الشائعة عصرئذ لإعلان الولاء السياسي

لم تمضِ أكثر من ستة اشهر على وفاة نور الدين زنكي حتى شرع صلاح الدين بإعداد حملة عسكرية على بلاد الشام، ان هذا التغير في موقف صلاح الدين تجاه الملك الصالح جاء نتيجة تطور الاحداث السياسية والعسكرية في بلاد الشام واقليم الجزيرة التي يبدو انها أزعجته، فمن جهة قام سيف الدين غازي (ت٥٧٦هـ/١١٨٠م) صاحب الموصل بالإستيلاء على بعض ممتلكات نور الدين في بلاد الجزيرة[٢٧٨]، ومن جهة ثانية فقد قام اموري ملك بيت المقدس الصليبي بفرض حصار على بانياس[٢٧٩]، مستغلا الضعف الذي دبَّ في الجانب الإسلامي حيث أسفر هذا الحصار عن عقد هدنة مع أُمراء دمشق شرط أن يدفعوا له مبلغا من المال وإطلاق سراح عدد من أسرى الصليبيين[٢٨٠]، لم تلق

---

(٢٧٥) تاريخ، ج٣، ص٣٢٦" في حين ان أغلب المصادر الاسلامية تشير الى ان صلاح الدين اعترف رسميا بسلطة الملك الصالح اسماعيل.عن ذلك ينظر نص رسالة صلاح الدين الى الملك الصالح في: القاضي الفاضل: رسائل القاضي الفاضل، تحقيق علي نجم عيسى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥، ص ص٤٨-٥١" كذلك ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص٢٧٤" ابن العديم: زبدة الحلب، تحقيق سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٨، ج٣، ص٩

(٢٧٦) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ص٢٠٦-٢٠٧

(٢٧٧) تاريخ الزمان، ص١٨٩" تاريخ مختصر الدول، ص٢١٦" قارن مع ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٢٧٤" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٤

(٢٧٨) ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٣، ص٣٢٦" ابن الاثير: الباهر، ص ص١٧٥-١٧٦

(٢٧٩) بانياس: حصن منيع يقع الى الجنوب الغربي من دمشق. ابو الفدا: تقويم البلدان، ص٢٤٩.

(٢٨٠) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢،ص٩٧٠" ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٩٠

هذه الهدنة قبولا من لدن صلاح الدين " وبعث الى الدمشقيين ينكر عليهم ذلك وأبدى استعداده لقصد الصليبيين والدفاع عن بلاد الملك الصالح "[281]

لقد حظيت حملة صلاح الدين على بلاد الشام سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) باهتمام كبير من لدن المؤرخين السريان ومن المرجح ان هذا الاهتمام جاء نتيجة بروز صلاح الدين كقوة عسكرية جديدة على مسرح الاحداث في بلاد الشام واحتكاكه المباشر مع الإمارات الصليبية فضلا عن توجهاته التوسعية الرامية الى تأسيس دولة موحدة تضم كلا من بلاد الشام ومصر الأمر الذي اقلق الصليبيين، ومن المرجح أيضاً ان يكون للموقع الجغرافي دور في ازدياد اهتمام كل من ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول بتدوين اخبار صلاح الدين لكونه بات قريبا من مكان إقامة كلا المؤرخين السالفين.

أما فيما يتعلق بسبب حملة صلاح الدين على دمشق فان ميخائيل السرياني يرى انها جاءت رد فعل نتيجة استيلاء سيف الدين غازي على بعض ممتلكات نور الدين زنكي[282]، ويعقب السرياني على ذلك بانها لم تكن سوى مناورة سياسية تهدف الى الاستيلاء على دمشق نستدل على ذلك من قوله إن صلاح الدين توجه الى دمشق "بحجّة اغتصاب صاحب الموصل حران[283] والرها من نور الدين، مشيعا انه جاء لنجدة ابن سيده وبهذه الحجة استطاع ان يسيطر على دمشق"[284] اما الرهاوي المجهول فانه يتفق مع ميخائيل السرياني في هذه الرؤية حيث يقول إنَّ صلاح الدين توجه الى دمشق "متظاهرا بالرغبة في مساعدة ابن نور الدين وتوطيد الملك له ولكن ذلك لم يكن الا تظاهرا، والاصح انه كان يتدخل في كل الشؤون "[285]. في حين ان ابن

---

(٢٨١) ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص ص٢٧٦-٢٧٧.

(٢٨٢) تاريخ، ج٣، ص٣٢٦.

(٢٨٣) حران: مدينة تقع في ديار مضر الى الجنوب الغربي من الرها على طريق الموصل والشام. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٣٥ .وهي الان تقع ضمن اراضي الدولة التركية.

(٢٨٤) تاريخ، ج٣، ص٣٢٦.

(٢٨٥) تاريخ الرهاوي،ج٢،ص٢٠٧.

العبري والذي يبدو انه وقع تحت تاثير رواية ابن الاثير بهذا الصدد، فجاءت روايته لترسم صورة اكثر حزماً لصلاح الدين دون ان تحتوي على ما يشير الى ان الاخير اتخذ الذرائع والحجج، بل تقدمه وهو يرى أنه أجدر من على الساحة السياسية لإدارة مملكة نور الدين ولسان حاله يقول " لو عرف نور الدين ان بينكم من هو انشط مني لولاه مصر، والآن فاني قادم اليكم اذ يترتب عليَّ ان أُدبر مولاي وابن مولاي "[٢٨٦].

وبخصوص عدد قوات جيش صلاح الدين فان المصادر السريانية لا تقدم لنا تقديرات دقيقة إلا ان ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول يرويان ان صلاح الدين حشد جيشا عرمرماً[٢٨٧]، وجلب اموالا طائلة من مصر[٢٨٨]، ومن الواضح ان هذه الرواية فيها مبالغة وتضخيم ونستدل على ذلك من رواية لابن الاثير المعاصر لصلاح الدين حيث قدر قوات الاخير بسبعمائة مقاتل فقط[٢٨٩]، هذا ومن المؤكد ان لفظة عرمرم لا تطلق على سبعمائة مقاتل كذلك بالنسبة لجلب صلاح الدين (اموالاً طائلة) فهي ايضا رواية بعيدة عن الدقة والموضوعية بل على العكس من ذلك فقد كان لدى صلاح الدين مشكلة مالية حينها وليس ادلُّ على ذلك من الحوار الذي دار بين صديق بن جاولي[٢٩٠] صاحب بصرى[٢٩١] والقاضي الفاضل[٢٩٢] (ت٥٩٦هـ/

---

(٢٨٦) تاريخ الزمان،ص١٨٩" قارن مع ابن الاثير:ج٩،ص٢٧٤.

(٢٨٧) ورد عند الفيروزآبادي (عرمرم) بمعنى الجيش الكثير العدد والقوي الشوكة. القاموس المحيط، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٣، ص١٠٤٨.

(٢٨٨) تاريخ، ج٣، ص٣٢٦" تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٠٦.

(٢٨٩) الكامل، ج٩، ص٢٨٣.

(٢٩٠) لم نجد له ترجمة.

(٢٩١) بصرى: مدينة تقع الى الجنوب من دمشق والى الغرب من صرخد على بعد عشرة اميال (حوالي ٢٠كم).ابو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٣٧.

(٢٩٢) هو أبو علي عبد الرحيم بن علي البيساني ولد سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م) اديب وكاتب حظي بقدر كبير عند امراء بني أيوب لاسيما صلاح الدين حيث عمل في ديوان الإنشا ولازمه مدة طويلة،

١١٩٩م) عند وصول صلاح الدين الى المدينة، حيث تعجّب صاحب بصرى من قلة عساكر صلاح الدين، واستفسر من القاضي الفاضل هل لديكم مال؟ لتجنيد المزيد من الجند. إلا انه لم يكن مع صلاح الدين سوى عشرة الاف دينار" فضرب صاحب بصرى على رأسه وقال: هلكتم وأهلكتمونا "[٢٩٣] نستشف من الحوار السالف ان صلاح الدين كان يعاني لا من قلة الجند فحسب بل من قلة المال أيضاً، وهذا ما يثبت خلاف ما ذهب اليه كل من ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول.

تمكن صلاح الدين في النهاية من السيطرة على دمشق في (ربيع الاول ٥٧٠هـ/ تشرين الاول ١١٧٤م) بشكل سلمي دون ان يواجه مقاومة تذكر، حيث دخل المدينة معلناً انه ما جاء الا لخدمة ابن سيده[٢٩٤] ثم توجه بعدها الى حمص وحماه حيث تمت له السيطرة عليهما[٢٩٥] ومن هناك سار صوب حلب وضرب عليها حصارا قدر الرهاوي المجهول مدته بخمسة اشهر[٢٩٦] في حين ان ادق الروايات الاسلامية والمعاصرة لتلك الاحداث تؤكد ان الحصار استمر أقل من شهرين[٢٩٧]

ومن أهم مؤلفاته رسائله المعروفة برسائل القاضي الفاضل.للمزيد ينظر: السبكي: طبقات الشافعية، ج٧، ص ص ١٦٦-١٦٨" .سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٢٨-٣٩.

(٢٩٣) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص١٩.

(٢٩٤) ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص٢٨٢" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢،ص١٩" الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٨١"

Gibb: the rise of Saladin, in setton: A history of the crusades,vol:2,p.567

(٢٩٥) الرهاوي: تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٠٧" ابن العبري: تاريخ الزمان، ص١٩٠" كمال بن مارس: العلاقات الاقليمية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٤، ص١٤٦.

(٢٩٦) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٠٧.

(٢٩٧) ابن شداد: سيرة صلاح الدين،ص ص١١٦-١١٧" الأصفهاني: سنا البرق الشامي،ص٨٣.

إن ما تجدر الاشارة اليه هنا، هو أن المؤرخين السريان المعاصرين لصلاح الدين اغفلوا تماما أي إشارة الى الاتفاق الذي تم بين امراء حلب بزعامة سعد الدين كمشتكين(٢٩٨) والاسماعيلية(٢٩٩) لاغتيال صلاح الدين في (جمادي الاخر ٥٧٠هـ/ كانون الثاني ١١٧٥م) وأوشكوا على قتله لولا أن المحاولة فشلت(٣٠٠) ان عدم تطرق المؤرخين السريان الى مثل هذا الحدث المهم، والذي يخص احد ابرز ملوك بني ايوب ربما يرجع الى البعد الجغرافي عن الحدث، لاسيما ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول كون احدهما مقيمين في الرها و الآخر في دير مار برصوم القريب من ملطية البعيدين نسبياً عن بلاد الشام، ربما كان هذا هو السبب الى عدم اطلاعهم على محاولة الاغتيال وبالتالي عدم تدوينها.

---

(٢٩٨) سعد الدين كمشتكين: هو اسم تركي مكون من مقطعين (گمش Gumus) تعني فضة و(تكينtekin) بمعنى الخير او الميمون (عبد اللطيف بندر أوغلو وآخرون: المعجم التركي العربي، مؤسسة ايف للطباعة، بيروت، ١٩٨٣، ج٢، ص٣٠٦). وهو سعد الدين من قادة نور الدين زنكي ونائبه في حلب ومن بعده اصبح مدبراً لأبنه الصالح اسماعيل توفي سنة(٥٧٤هـ)، الأصفهاني: البرق الشامي، ص ٥١" الصفدي: الوافي، ج٢٤، ص٢٧٦.

(٢٩٩) الاسماعيلية: احدى فرق الشيعة ظهرت بعد وفاة الامام جعفر الصادق (١٤٨هـ/ ٧٦٥م) بسبب خلاف حول شرعية من يخلف الامام، وكان جعفر الصادق قد نص على امامة ابنه البكر اسماعيل من بعده بيد أن اسماعيل توفي سنة (١٤٣هـ/ ٧٦٠م) في حياة ابيه فنقل جعفر الصادق الامامة الى ابنه الآخر موسى الكاظم، إلا أن بعض الشيعة لم يعترفوا بذلك ورأوا بقاء الإمامة في نسل اسماعيل ابن جعفر الصادق فعرفو فيما بعد بالاسماعيلية. الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسين فاعور، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠١، ج١، ص ص ١٩٦-١٩٧. سعد رستم: الفرق والمذاهب الاسلامية،الأوائل للنشر، دمشق، ٢٠٠٦، ص٢٨١.

(٣٠٠) عن تفاصيل تلك المحاولة ينظر:الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٨٣" محمد عبد الله المقدم: الاغتيالات زمن الحروب الصليبية، دار العلم العربي، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٥١

Bernard Lewis: Saladin and the assassin, BOSAS,1953,vol:15,no:2,pp.239-24

إن استمرار صلاح الدين في حصاره لحلب، دفع الحلبيين هذه المرة الى اللجوء الى ريموند الثالث صاحب طرابلس، ومرة أُخرى فإن المصادر السريانية لم تشر الى هذا الاتفاق بشكل صريح. إلا أن ابن العبري يقدم رواية مفادها ان الصليبيين بعثوا سفراء الى صلاح الدين يحثونه على فك الحصار عن حلب[301] وهذا يدل على انه ثمة تفاهم حلبي صليبي والا لماذا يطلب قائد صليبي من صلاح الدين رفع الحصار عن حلب كذلك فإن من الواضح ان ريموند قد اختار الطرق الدبلوماسية اول الامر الا انه وحسب المصادر الاسلامية كان قد اتفق مع الحلبيين على مهاجمة حمص لاجبار صلاح الدين على رفع الحصار والتوجه الى حمص وفعلا اضطر صلاح الدين الى رفع الحصار والتوجه لنجدة حمص[302]. لقد جاء اتفاق ريموند مع امراء حلب نتيجة ادراكه خطورة قيام وحدة سياسية وعسكرية بين دمشق والقاهرة وحلب كذلك من الواضح ان الموقع الجغرافي لحلب وقربها من امارة انطاكيا أدّى دوراً مهماً في دفع ريموند لنجدة امراء حلب ليس لشئ سوى ليسد الطريق امام صلاح الدين والتقليل من تنامي قوته حسب وصف وليم الصوري[303]

لم يبقَ امام أمراء حلب سوى سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجدون به، وبهذا الخصوص يقدم ابن العبري رواية مفادها ان الحلبيين أرسلوا الى صاحب الموصل نداء استغاثة وتحذير يقولون له " اذا تركت صلاح الدين يحتل حلب فكن على ثقة بأنه لن يترك لك الموصل "[304] ان رواية ابن العبري السالفة تشير وبوضوح الى ان قوة صلاح الدين اخذت تهدد كيان الاسرة الزنكية برمتها ، وكرد فعل على توجهات

---

(٣٠١) تاريخ الزمان، ص١٩١.

(٣٠٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٢٩" النويري: نهاية الارب، ج٢٨، ص٣٧٦" الحنبلي: شفاء القلوب، تحقيق ناظم رشيد، دار الحرية،بغداد،١٩٧٩، ص٨٦".

(٣٠٣) تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٩٢٨.

(٣٠٤) تاريخ الزمان، ص١٩١.

صلاح الدين قام سيف الدين غازي بارسال قوة عسكرية[٣٠٥] بقيادة اخيه عز الدين مسعود الى بلاد الشام لمواجهة صلاح الدين وفي هذا الصدد يروي ميخائيل السرياني ان الاخير بعث الى القوات الزنكية يقدم عرضا سلميا للصلح وانه لا يريد خوض معركة تضر بكلا الجانبين[٣٠٦]. الا ان الجانب الزنكي رفض العرض فدارت بين الطرفين معركة عنيفة[٣٠٧] في (رمضان٥٧٠هـ /نيسان ١١٧٥م) اسفرت عن انتصار صلاح الدين وهزيمة القوات الزنكية[٣٠٨]

ووردت في الموضوع نفسه رواية لميخائيل السرياني يثني فيها على سياسة صلاح الدين اثناء هزيمة الجيش الزنكي حيث يقول انَّ صلاح الدين "هتف بصوت عال وقال لجيشه: لا تقتلوا أحدا،انهم اخوتنا. واطلق الاسرى بعد ان زودهم بالمال"[٣٠٩] ان ما قدمه ميخائيل السرياني يشير الى سياسة حكيمة من قبل صلاح الدين حينذاك حيث كان بأمس الحاجة الى كسب تأييد الناس، فمن خلال هذا التوجه اوحى صلاح الدين الى الجمهور بأنه ليس طامعا بجاهٍ او مال بقدر ما يريد وحدة صف الجبهة الاسلامية بوجه الصليبيين

لقد اسفر الانتصار الذي حققه صلاح الدين في معركة قرون حماه عن اجبار امراء حلب والملك الصالح اسماعيل عقد الصلح معه[٣١٠]، وبموجبه رفع صلاح الدين الحصار

---

(٣٠٥) ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٣، ص٣٢٧" الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي،ج ٢، ص٢٠٨" قارن مع ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص٢٨٨" ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص١١٧.

(٣٠٦) تاريخ، ج٣، ص٣٢٧.

(٣٠٧) لم يذكر ميخائيل السرياني ولا الرهاوي المجهول معركة قرون حماه باسمها الصريح واكتفوا بالاشارة الى ان معركة دارت بالقرب من حلب. ينظر تاريخ، ج٣، ص٣٢٧" تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٠٨.

(٣٠٨) ابن الاثير: الكامل،ج٩، ص٢٨٨" الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٨٦" ابو الفدا: المختصر، ج٢، ص١٣٧.

(٣٠٩) تاريخ، ج٣، ص٣٢٧.

(٣١٠) للمزيد حول اتفاقية الصلح ينظر ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص١١٩" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٣٤" الحياري: صلاح الدين، ص١٩٠" بن مارس: العلاقات، ص١٤٦"

عن مدينة حلب في بداية (شوال ٥٧٠هـ /أيار١١٧٤م) وتوجه صوب حماه(٣١١)، كذلك فان هذا الانتصار ساعد صلاح الدين على تثبيت مركزه تماما في بلاد الشام سياساً وعسكرياً، لاسيما بعد ان تلقى اعترافا رسميا من الخلافة العباسية(٣١٢)، عندما ارسل له الخليفة المستضئ بأمر الله (٥٦٦-٥٧٥هـ /١١٧٠ -١١٧٩م) الخلع والتشريفات ومرسوما بحكم مصر وبلاد الشام(٣١٣). وبهذا اصبح صلاح الدين حاكما شرعيا للشام ومصر

يبدو ان الجانب الصليبي وبعد أن رأى ما حققه صلاح الدين من انتصارات على الساحة العسكرية في الشام فضلوا الدخول في هدنة معه حيث كان صلاح الدين هو الآخر بحاجة اليها ليتفرغ للجانب الزنكي وامراء حلب. ونتيجة توجهات الطرفين فقد توصلا الى عقد هدنة في بداية (محرم٥٧١هـ /تموز ١١٧٥م)(٣١٤) تلك الهدنة التي لم تجد لها هتماماً يذكر لدى المؤرخين السريان ما خلا الرهاوي المجهول الذي اورد اشارة واحدة عنها بقوله "وعاد ﴿صلاح الدين ﴾الى دمشق وعقد الصلح مع الفرنج"(٣١٥) هذا ولم يقدم لنا الرهاوي اي معلومات اخرى تتعلق بهذه الهدنة

Ehrenkreutz: Saladin, university of new york .u.s.a,1972,p.13

(٣١١) ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٢٨٨" الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٨٨.

(٣١٢) كان صلاح الدين قد بعث رسالة الى الخلافة العباسية يشرح فيها الاوضاع في بلاد الشام ويطلب تقليدا بحكم مصر وبلاد الشام فجاء رد الخلافة بالقبول. للمزيد ينظر نص الرسالة عند القاضي الفاضل: رسائل القاضي الفاضل، ص٨٣

(٣١٣)الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص ص٨٨-٨٩" ابوشامة: الروضتين، مج٢،ج١،ص٢٥٢" القلقشندي: مآثر الأنافة، تحقيق عبد الستار احمد فراج، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٤، ج٣، ص ص٨٦-٨٧.

(٣١٤) ابن الاثير: الكامل، ج٩،ص٢٨٨" الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٨٨" التكريتي: الايوبيون في شمال الشام والجزيرة، دار الرشيد للنشر، بغداد،١٩٨١، ص١٠١

(٣١٥) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٠٨.

لم ينتهِ الصراع الايوبي الزنكي بانتصار صلاح الدين في معركة قرون حماه وعقده صلحا مع الملك الصالح. بل ان سيف الدين غازي عندما تبادر الى اسماعه اخبار هزيمة اخيه عز الدين مسعود واعتراف الخلافة بصلاح الدين حاكما شرعيا لبلاد الشام ومصر، ارسل يهدده حسب ولسان حاله يقول: " ارجع البلدان التي انتزعتها من ابن عمي الصغير في حلب، وإلا تهيأ للحرب" (٣١٦)، ويستطرد الرهاوي في روايته مضيفاً ان صلاح الدين اجاب سيف الدين غازي " أنا عبد لإبن نورالدين، ولأجله خرجت من مصر لكي أوطد الملك له" (٣١٧)، على مايبد، فإن تلك الاتصالات لم يكن لها أن تمن وقوع الحرب بين الجانبين حيث قاد سيف الدي غازي بنفسه حملة عسكرية لمواجهة صلاح الدين، اختلف المؤرخون السريان في تقدير عدد مقاتليها اختلافا كبيرا فميخائيل السرياني يقدر قوات سيف الدين غازي بستين الف مقاتل(٣١٨) في حين أن الرهاوي المجهول يرفع العدد ويجعله أكثر مئة الف مقاتل(٣١٩)، اما ابن العبري فجاء تقديره مطابقا لما ورد في المصادر الاسلامية(٣٢٠)،حيث يروي ان جيش سيف الدين كان مكونا من عشرين الف مقاتل(٣٢١)

وبعد ان وصلت قوات سيف الدين غازي سعى امراء حلب الى ابرام تحالف مع الصليبيين ضد صلاح الدين حيث يروي ميخائيل السرياني ان اهل حلب طلبوا من "صاحب انطاكية ان ينجدهم "(٣٢٢) ولم يسعفنا بأي معلومات عن رد الجانب الصليبي

---

(٣١٦) المصدر نفسه والصفحة.

(٣١٧) المصدر نفسه والصفحة.

(٣١٨) تاريخ، ج٣، ص٣٢٧.

(٣١٩) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٠٨.

(٣٢٠) الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٩٤" ابو شامة: الروضتين، مج١، ج٢، ص ٢٦١" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٣٨.

(٣٢١) تاريخ الزمان، ص١٩٢.

(٣٢٢) تاريخ، ج٣، ص٣٢٧.

على هذا المطلب، إلا أنه وكبادرة حسن نية قام الحلبيون باطلاق سراح عدد من الامراء الصليبيين الاسرى في حلب[٣٢٣] ويبدو ان الجانب الصليبي لم يرغب هذه المرة الدخول في الصراع الدائر بين الزنكيين وصلاح الدين ربما التزاما منهم بالهدنة التي عقدها الاخير في العام الماضي، ان ما يدفعنا الى هذا القول هو انه وبعد استقراء ما دونه المؤرخون المسلمون والسريان لم نقف على اشارة تدل على مشاركة قوات صليبية او المبادرة بأي عمل عسكري ضد صلاح الدين خلال المواجهات التي دارت بينه وبين الزنكين عام (٥٧١هـ /١١٧٦م)

إشتبك الطرفان في رحى معركة عنيفة بتل السلطان[٣٢٤] في (١٠ شوال ٥٧١هـ /١٢ نيسان ١١٧٦م) لم تكن فيها قوات سيف الدين غازي اوفر حظا من المعركة السابقة حيث كانت الغلبة لجيش صلاح الدين[٣٢٥] وفي هذا الصدد يقدم ميخائيل السرياني رواية تقول إن "صلاح الدين سبق ورشاهم ﴿أي قادة سيف الدين﴾ "[٣٢٦] ربما لخيانة سيده، وهذا كان سبباً لخسارة سيف الدين للمعركة، أما الرهاوي فيعزو سبب الخسارة الى وقوع خيانة في صفوف جيش سيف الدين غازي[٣٢٧]، في حين ان ابن العبري وفي كلا مصنفيه لم يورد أي اشارة الى ما ذهب اليه كل من السرياني والرهاوي المجهول، كما وانفرد برواية مفادها ان صلاح الدين اطلق سراح عدد من الامراء الزنكيين الذين وقعوا في الاسر بعد ان عاملهم معاملة حسنة وأرسلهم الى

---

(٣٢٣) ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٣، ص٣٢٧" قارن مع الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٩٦" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٣٨.

(٣٢٤) تل السلطان: موضع يقع الى الشمال من حلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٤٢.

(٣٢٥) الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٠٩" ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص١١٩"النويري: نهاية الارب، ج٢٨، ص٣٧٨".

(٣٢٦) ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٣، ص٣٢٧. لم تذكر المصادر الاسلامية اي شئ عن ما أورده المؤرخون السريان بهذا الصدد. عن ذلك ينظر:ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص٢٩٥" ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص ص١١٨-١١٩: ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص ص٣٨-٣٩.

(٣٢٧) تاريخ الرهاوي،ج٢، ص٢٠٩.

حلب[٣٢٨]، وللمرة الثانية ينتهج صلاح الدين هذه السياسة التي تدل على بعد نظره وانه كانت له اهداف بعيدة المدى في المنطقة حيث يرجو من وراء هذه السياسة كسب ود جمهور المسلمين ليبرهن لهم انه القائد الامثل لقيادة الجبهة في مثل تلك الظروف

استغل صلاح الدين هذا الانتصار فقام ببعض العمليات العسكرية أسهب الرهاوي في سرد أحداثها، حيث انه تمكن في النهاية من السيطرة على عدد من الحصون والقلاع شمال حلب كمَنبج[٣٢٩] وتل باشر[٣٣٠] وعينتاب وعزاز[٣٣١]، بهدف اضعاف الحلبيين[٣٣٢]، بعد ذلك توجه الى حلب وضرب عليها حصارا نهاية عام (٥٧١هـ/ ١١٧٦م). وكنتيجة لعمليات صلاح الدين العسكرية ضد حلب يروي ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول ان الامراء الحلبيين استنجدوا ثانية بالصليبيين وان القائد الصليبي رينو دي شاتيون (ت ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) قاد حملة عسكرية ضد صلاح الدين وهاجم دمشق فاضطر الاخير الى اعادة قلعة عزاز الى الملك الصالح اسماعيل وعقد الصلح مع حلب[٣٣٣] في حين ان المصادر الاسلامية المطلع عليها لا تشير الى وجود اتفاق صليبي حلبي متزامن مع حصار صلاح الدين فضلا عن انها تؤكد ان الصلح جاء بطلب من الملك الصالح وامرائه نتيجة عدم قدرتهم على الصمود بوجه صلاح الدين[٣٣٤]

---

(٣٢٨) تاريخ الزمان، ص١٩٢.

(٣٢٩) منبج: مدينة كبيرة تقع الى الغرب من نهر الفرات على بعد ثلاثة فراسخ (حوالي ١٨كم) والى الشمال من حلب بينهما عشرة فراسخ (حوالي ٦٠كم). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٠٥. وهي تقع الآن في محافظة حلب السورية.

(٣٣٠) تل باشر: قلعة حصينة واقعة شمال مدينة حلب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٠.

(٣٣١) عزاز: بلد صغيرة لها قلعة تقع شمالي حلب. ياقوت الحموي:معجم البلدان،ج٤،ص١١٨

(٣٣٢) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٠٩-٢١٠.

(٣٣٣) تاريخ، ج٣، ص٣٢٨، تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢١٠.

(٣٣٤) ابن الاثير: الكامل، ج٨، ص ص٢٩٧-٢٩٨" ابو شامة: الروضتين، مج١، ج٢، ص٢٦٥" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ض٤٦" النويري: نهاية الارب، ج٢٨.ص٣٨٢" الداوداري: كنز الدرر، ج٧، ص٦٠.

ان ما قدمه كل من ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول عن استنجاد امراء حلب بالصليبيين ليس له سند تاريخي في المصادر الاسلامية المعاصرة والقريبة من صلاح الدين حينها، فلو كان ما ذكره المؤرخان السريانيان صحيحاً لأشار اليه عماد الدين الأصفهاني الذي كان حاضرا مع صلاح الدين وقت الحصار حيث انه لم يتطرق الى مثل هذا الاتفاق الحلبي الصليبي(٣٣٥).

٢ ـ معركة الرملة في نظر المؤرخين السريان

عاد صلاح الدين الى مصر بعد ان تمكن من فرض سلطته على الجزء الاكبر من بلاد الشام، الا انه لم يلبث ان عقد العزم على القيام بعمل عسكري ضد الصليبيين في بلاد الشام، بعد ان علم بانهيار التحالف الصليبي البيزنطي.وانشغال الصليبيين بحصار حارم(٣٣٦)، فأعد لهذا الغرض جيشا قاده بنفسه متوجها الى عسقلان التي وصلها في (٢٩جمادي الاولى ٥٧٣هـ/٢٣تشرين ثاني ١١٧٧م)(٣٣٧)

إن أولى الروايات السريانية واكثرها تفصيلاً عن معركة الرملة هي تلك التي قدمها ميخائيل السرياني، حيث تحتوي على عرض مفصل عن وقائع المعركة التي دارت رحاها بين صلاح الدين والقوات الصليبية بقيادة بلدوين الرابع (٥٦٩ـ٥٨٠هـ /١١٧٤ـ١١٨٥م)، وعلى الرغم من التفاصيل التي يقدمها ميخائيل السرياني لكنه يبالغ بشدة في تقديره لعدد مقاتلي جيش صلاح الدين حيث جعله ستة وعشرين الف

---

(٣٣٥) الأصفهاني: سنا البرق الشامي،ص٩٤.

(٣٣٦) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٩٩٨" رنسيمان: الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني،دار الثقافة، بيروت، ج٢، ص٦٧١.

(٣٣٧) ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٣، ص٣٣٩" الاصفعاني: البرق الشامي، تحقيق مصطفى الحياري، مؤسسة عبد الحميد شومان.عمّان،١٩٨٧، ج٣، ص٣٧"

Stevenson: the crusaders,slim press, Beirut,1968,p.217

مقاتل[٣٣٨]، اما الرهاوي المجهول فهو الاخر يقدم رواية اكثر مبالغة حيث يرفع عدد المقاتلين الى خمسة واربعين الف مقاتل[٣٣٩].ان هذه المبالغة في تقدير عدد قوات الجيش الاسلامي من قبل المؤرخين السريان ليس الا لزيادة قيمة النصر الذي حققته القوات الصليبية ذات العدد القليل[٣٤٠] على جيش اسلامي هائل حسب تقديرهم

وفي السياق ذاته يقدم ميخائيل السرياني رواية غريبة عن صلاح الدين هي الاولى من نوعها ضمن النصوص السريانية ذات العلاقة بموضوع البحث ،حيث يقول في معرض حديثه عن اول صدام عسكري صليبي - اسلامي ان صلاح الدين " قتل اول افرنجي قبض عليه ولطخ ثيابه بدمه فتطهر "[٣٤١]. لا نعلم من اين استقى ميخائيل السرياني هذه المعلومات التي هي بعيدة كل البعد عن الحقيقة التاريخية وتوحي كذلك الى جهل ميخائيل بالدين الاسلامي لان الدم في الاسلام نجس ويناقض الطهارة[٣٤٢] وان الطهارة بحد ذاتها تستوجب الغسل من الدم هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فما الحكمة من هذا الفعل من قبل صلاح الدين الذي كان شديد التدين ويراعي قواعد الشريعة ومبادئ الدين الاسلامي

أما بالنسبة للهزيمة التي تعرض لها صلاح الدين في معركة الرملة فالمصادر السريانية تبالغ في تصويرها بشكل كبير حتى تروي انه لم ينجُ من جيش صلاح الدين الا عدد قليل[٣٤٣]،وعن سبب تلك الهزيمة فقد اتفق كل من ميخائيل

---

(٣٣٨) تاريخ، ج٣، ص٣٣٩.

(٣٣٩) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢١٧.

(٣٤٠) قدر وليم الصوري عدد القوات الصليبية بثلاثمائة وخمس وسبعين فارساً فقط، تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٠٠٢. للمزيد عن عدد القوات الصليبية ينظر:

Stevenson: the crusaders,p.218, not3

(٣٤١) تاريخ، ج٣، ص٣٣٩.

(٣٤٢) يقول النووي في هذا الصدد (والصحيح عند الجمهور نجاسة الدم والفضلات) ينظر: المجموع، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠، ج١، ص٢٣٤.

(٣٤٣) ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٣، ص٣٣٩.

السرياني وابن العبري على ان هبوب عاصفة رملية قوية باتجاه الجيش الاسلامي كان السبب فيما لحق بالمسلمين من هزيمة[٣٤٤] في حين أن أفضل الروايات الاسلامية بهذا الخصوص والتي يقدمها ابن شداد (٦٣٢هـ/١٢٣٤م) نقلا عن صلاح الدين نفسه تقول ان سبب الهزيمة يعود الى اجراء بعض التغيرات العسكرية في صفوف الجيش وبينما هم مشغولون بتلك التغيرات باغتهم الصليبيون بهجوم سريع ومفاجئ لم يتمكن صلاح الدين على اثره من اعادة تنظيم صفوفه الامر الذي ادى الى خسارته تلك المعركة[٣٤٥] ومن الجدير بالذكر هنا هو ان المؤرخين السريان من خلال معالجتهم لاحداث معركة الرملة يرجعون انتصار الصليبيين الى العناية الالهية ومسألة هبوب عاصفة رملية كان تعبيرا عن رضا الله عن الصليبيين ان هذا التفسير الديني للاحداث التاريخية ليس غريبا عن المؤرخين السريان اذا ما علمنا انهم جميعا رجال دين غالبا ما يميلون الى تفسير الاحداث التاريخية دينيا[٣٤٦] انطلاقاً من قناعات دينية وفق مبدأ الثواب الإلهي وعقابه

تمكن صلاح الدين من الخروج بسلام من فلسطين والتوجه صوب القاهرة التي وصلها في (١٥جمادي٥٧٣هـ/٨ كانون الثاني ١١٧٧م) بعد مشاق وصعوبات من قلة الماء والسير في الصحراء[٣٤٧]

كانت معركة الرملة تجربة قاسية لصلاح الدين فهي اول هزيمة كبرى له ولقواته وعلى الرغم من كثرة العساكر التي قادها فإنه اخطأ في تكتيكه العسكري عندما

---

(٣٤٤)المصدر نفسه والصفحة" ابن العبري: تاريخ الزمان،ص١٩٤.

(٣٤٥) سيرة صلاح الدين، ص١٢١.

(٣٤٦) عن ذلك ينظر: ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٣، ص٣٣٩" الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ص ٢١٧-٢١٨" ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ص١٩٣-١٩٤.

(٣٤٧) الاصفهاني: البرق الشامي، ج٣، ص ص٤١-٤٢" البدليسي: شرفنامة، ص ١٨٢" كب: صلاح الدين، ترجمة يوسف ايبش، دار بيسان،١٩٩٦، ص ١٢٩" عاشور: صلاح الدين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ١٩٦٥، ص١٢٩.

سمح بتشتتها في مجموعات سعياً وراء مكاسب مادية دون خطة محددة" اضافة الى ذلك فمن الواضح انه كان هنالك ضعف في استخباراته العسكرية خصوصاً في مراقبة تحركات الملك بلدوين[٣٤٨]

٣ـ تكثيف الجهود لبناء الجبهة الاسلامية الموحدة:

غادر صلاح الدين مصر صوب بلاد الشام في ربيع عام (٥٧٨هـ/١١٨٢م) على اثر بعض الاحداث التي جرت هناك[٣٤٩]، فضلا عن سياسته الرامية الى توحيد مصر والشام وبلاد الجزيرة حيث شكلت أحد أهدافه الرئيسة وراء مغادرته مصر، ولاسيما أن مدينتا حلب والموصل مازالتا خارج سلطته وشكلتا عائقا امام بناء جبهة موحدة لذلك وجد صلاح الدين من الضروري تكثيف الجهود للسيطرة على حلب، وضرب الحصار على الموصل ثلاث مرات حتى دانت له بالولاء فاصبح بذلك سيدا على مصر والشام وبلاد الجزيرة، لتحقيق هدف أسمى تشير كافة الادلة انه قد وضعه نصب عينيه منذ فترة مبكرة من ارتقائه للسلطة الا وهو تحرير القدس من الصليبيين

وبقدر تعلق الامر بمرويات المؤرخين السريان عن نشاط صلاح الدين العسكري في بلاد الشام والجزيرة خلال المدة (٥٧٨ ـ٥٨١هـ/١١٨٢-١١٨٥م) فلدينا روايات لابأس بها عن تلك الاحداث. اقدمها زمنا ما دونه ميخائيل السرياني فبخصوص حملة صلاح الدين على بعض مدن الجزيرة يستعرض السرياني مجريات احداثها بعجالة واضحة دون تقديم معلومات وافية لفهم مجريات الحدث التاريخي فجاءت روايته مختصرة، وقد اشار فيها الى ان مظفر الدين كوكبوري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) حاكم حران آنذاك " انضم الى صلاح الدين

---

(٣٤٨) الحياري: صلاح الدين، ص٢١٢.

(٣٤٩) ابرز تلك الاحداث كانت وفاة الملك الصالح اسماعيل واستخلاف عزالدين مسعود صاحب الموصل مكانه ومحاولة رينو دي شاتيون حاكم الكرك غزو المدينة المنورة. ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص ص٣٣٢-٣٣٣.

وصار سببا لسيطرته على مابين النهرين"[٣٥٠] اما رواية الرهاوي المجهول فانها تحفل بتفاصيل اوفر والسبب في ذلك ربما يعود الى كون الاخير قريباً من مسرح الاحداث فهو من سكان مدينة الرها احدى المدن التي كانت ضمن خطة صلاح الدين للسيطرة عليها، وجاءت رواية الرهاوي قريبة من رواية ميخائيل السرياني فهو يقدم خلالها مظفر الدين كوكبوري على انه هو الذي استدعى صلاح الدين الى مهاجمة مدن الشرق بقوله " قام مظفر الدين ومضى الى حماه عند صلاح الدين واضطره الى المجئ الى الشرق"[٣٥١]. وهو بهذا يتفق تماما مع ما ذهب اليه المؤرخون المسلمون عن موقف مظفر الدين كوكبوري الداعم لصلاح الدين[٣٥٢] ممن دونوا تاريخ تلك الاحداث[٣٥٣]. فضلا عما سبق فان الرهاوي ينفرد بالقول ان الاستيلاء على مدينة الرها جاء نتيجة خيانة احد امراء المدينة ويدعى همام[٣٥٤]، الامر الذي اجبر حاكم الرها عزالدين مسعود الزعفراني الى تسليم المدينة لصلاح الدين، وبالعودة الى رواية عماد الدين الاصفهاني التي تعد افضل الروايات الاسلامية عن حصار الرها كون الاخير كان حاضرا مع صلاح الدين حينذاك لم نجد اي ذكر لخيانة بدرت من أحد أمراء الرها[٣٥٥]، لكننا لانقلل من قيمة رواية الرهاوي لكونه هو ايضا شاهد عيان على تلك الاحداث، فربما يكون العماد الاصفهاني قد غض الطرف عن

---

(٣٥٠) تاريخ، ج٣، ص٣٥٢.

(٣٥١) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٢٣.

(٣٥٢) يشير المؤرخ محمد بن تقي الدين ابن شاهنشاه الأيوبي الذي كان مصاحباً لصلاح الدين آنذاك الى ان مظفر الدين كوكبوري اجتمع بالسلطان وأعلن له بأنه تحت تصرفه ضد آل زنكي. ينظر: مضمار الحقائق، تحقيق حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٨، ص١٠٥

(٣٥٣) ابن الاثير: الكامل، ج٩،ص٢٤١" ابو شامة: الروضتين، مج٢، ج٣، ص٧٥" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص١١٧

(٣٥٤) لم نجد له ترجمة.

(٣٥٥) البرق الشامي، ج٥، تحقيق فالح صالح حسين، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمّان،١٩٨٧، ص٢٧.

ذلك ليظهر ان حاكم المدينة استسلم طوعا لصلاح الدين. ويستطرد الرهاوي في روايته عن سيطرة صلاح الدين على مدن الرقة[٣٥٦] والخابور[٣٥٧] الواحد تلوة الاخرى[٣٥٨] اما الرواية التي قدمها ابن العبري في كلا مصنفيه[٣٥٩] فليس فيها ثمة جديد عما سبق.

يبدو أنَّ صلاح الدين استغل تلك الانتصارات فسار نحو المدينة الاهم وهي الموصل وضرب عليها حصارا في (رجب٥٧٨هـ/تشرين الاول١١٨٢م) وبهذا الصدد لم يقدم ميخائيل السرياني اى معلومات عن حصار صلاح الدين للموصل ما خلا سبب فكه الحصار حيث يعزوه الى غزارة الامطار[٣٦٠]، ان ما رواه السرياني لم يتطرق اليه اي من المؤرخين السريان في حين أن المؤرخين المسلمين يؤكدون على ان سبب ترك صلاح الدين للموصل انما كان نتيجة مناعة تحصيناتها والمقومة التي ابداها المدافعون، فضلا عن تدخل الخليفة العباسي في تهدئة الامور ين الجانبين[٣٦١]، اما الرهاوي فانه يسعى الى تقديم تفسيرات جديدة تختلف تماما عما ذهب اليه السرياني والمؤرخون المسلمون حيث يروي انه كانت هناك مؤامرة ضد صلاح الدين قام بها احد اولاد عمه اسد الدين اضطرته الى ترك الموصل والعودة مسرعا الى بلاد الشام[٣٦٢]. وبعد استقراء المصادر الاسلامية المتاحة لم نهتدِ الى رواية من هذا القبيل. ويبدو ان الرهاوي قد اخطأ في روايته بدليل ان صلاح الدين وبعد رفع الحصار لم يرجع مباشرة

---

(٣٥٦) الرقة: معناها كل ارض الى جانب الوادي ينبسط عليها الماء، وهي مدينة تقع على الضفة الشرقية لنهر الفرات ضمن بلاد الجزيرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ص ٥٨-٥٩.

(٣٥٧) الخابور: من اعمال الموصل وهو نهر عليه مجموعة من القرى تقع في جبال شمال مدينة الموصل. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٣٥

(٣٥٨) تاريخ الرهاوي،ج٢، ص٢٢٤.

(٣٥٩) تاريخ الزمان، ص١٩٨"تاريخ مختصر الدول، ص٢١٩.

(٣٦٠) تاريخ، ج٣، ص٣٥٢.

(٣٦١) الاصفهاني: البرق الشامي، ج٥، ص٣٥" ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٢٤٥" ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص١٢٧.

(٣٦٢) تاريخ الرهاوي،ج٢،ص٢٢٥.

الى بلاد الشام على حد زعم الرهاوي بل انه توجه الى سنجار وضرب عليها حصارا استمر حتى (رمضان٥٧٨هـ/كانون الاول١١٨٢م) [٣٦٣] استسلمت المدينة على اثره له

استمر صلاح الدين قدما في سياسته الرامية الى فرض سلطته على كل بلاد الشام فما ان حل عام (٥٧٩هـ/١١٨٣م) حتى توجه بانظاره مرة اخرى الى حلب التي كانت لاتزال تحت سلطة آل زنكي فضرب عليها حصارا في شهر محرم من العام نفسه[٣٦٤].وبهذا الخصوص فان حملة صلاح الدين لم تلق اي اهتمام من ميخائيل السرياني في حين ان الرهاوي المجهول وابن العبري قدما رواية لا بأس بها عن تلك الحملة[٣٦٥] ان ما تجدر الاشارة اليه هنا هو ان رواية ابن العبري تحمل بين ثناياها معلومات مفادها ان صلاح الدين لما تعذر عليه السيطرة على المدينة بالقوة "شاور زعمائها سرا واستمالهم بالعطاء فاشاروا على عماد الدين بالتسليم"[٣٦٦] بعد الرجوع الى المصادر الاسلامية ولاسيما كتابات ابن الاثير التي تكوّن مصدر مهما لمعلومات ابن العبري لم نجد اي اشارة الى مثل تلك المشاورات. لكننا لا نستعبد وجود مثل تلك التفاهات السياسية التي كانت سائدة في ذلك العصر بغية الحصول على مكاسب سياسية او عسكرية. واياً كانت الكيفية فقد تمت لصلاح الدين السيطرة على حلب مقابل التنازل لعماد الدين بن مودود عن سنجار ونصبين والرقة[٣٦٧] وبهذا أتم صلاح الدين سيطرته على بلاد الشام ولم يبق امامه سوى الموصل لاتمام توحيد مصر والشام والجزيرة.

لقد شكلت الموصل أحد الاهداف الرئيسة أمام صلاح الدين لذلك جهز حملة عسكرية اخرى عليها فما ان حل العام الهجري (٥٨١هـ/١١٨٥م) حتى كان قد اعد

---

(٣٦٣) ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٣٤٥" ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، تقيق يحيى عبارة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٧٨، ج٣، ق١، ص١٨٠" موسى مصطفى ابراهيم الهسنياني: سنجار، دار سبيريز، دهوك، ٢٠٠٥، ص٦٤.

(٣٦٤) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق، ص١٠٤" ابن العديم: زبدة الحلب، ج٣، ٦٩..

(٣٦٥) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٢٦" تاريخ الزمان، ص ص٢٠٠-٢٠١" تاريخ مختصر الدول، ص٢١٩.

(٣٦٦) تاريخ الزمان، ص٢٠٠.

(٣٦٧) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ص٣٧٥-٣٧٦.

العدة للخروج بقواته نحو الموصل. وبهذا الصدد فان ما بين ايدينا من روايات سريانية يقدمها كل من ميخائيل السرياني وابن العبري في حين لم يورد الرهاوي المجهول اي معلومات ذات قيمة تخص حصار صلاح الدين الثاني للموصل ماخلا قوله أن صلاح الدين "ذهب لمحاصرة مدينة الموصل للمرة الثانية وشن عليها حرباً أشد من ذي قبل"[٣٦٨]. أما رواية ميخائيل السرياني جاءت هي الاخرى مختصرة جدا يفهم منها ان صلاح الدين حاصر الموصل مرتين خلال العام نفسه (٥٨١هـ) حيث تركها أولا وتوجه الى ميافارقين[٣٦٩] وسيطر عليها، ثم عاد وحاصر الموصل ثانية حتى تم الصلح بين الطرفين الزنكي والايوبي على ان يدين حكام الموصل بالولاء لصلاح الدين[٣٧٠]

أما ابن العبري المؤرخ المتأخر زمانا عن تلك الاحداث، فنجد عنده صياغة اكثر تفصيلا عن حصار الموصل الثاني ضمن كتابيه تاريخ الزمان والمختصر، إذ يورد تفاصيل وافية عن محاولات عز الدين مسعود صاحب الموصل لاقناع صلاح الدين التخلي عن حصار مدينته وذلك من خلال مناورة سياسية ارسل فيها عددا من نساء آل زنكي الى الاخير علّه يجد في ذلك مكانة في نفس صلاح الدين الا أن مساعي عز الدين مسعود لم تثمر عن شئ[٣٧١] ويبدو من خلال رواية ابن العبري ان صاحب الموصل قد ضاقت به السبل حتى طلب تكراراً من صلاح الدين الصلح وبهذا الصدد يقدم ابن العبري رواية ممتازة يورد فيها بنود الاتفاق بين صلاح الدين وحكام الموصل وهي أن يتنازل صاحب الموصل عن شهرزور لصلاح الدين وان يخطب باسم الأخير وان يضرب السكة باسمه[٣٧٢].وبذلك تمكن صلاح الدين من السيطرة على كل بلاد الشام والجزيرة ودانت الموصل له بالولاء ليسخر امكاناتها مع مصر في مواجهة الصليبيين

---

(٣٦٨) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٢٧.

(٣٦٩) ميافارقين: وهي مدينة حصينة في إقليم الجزيرة الى الجنوب من ديار بكر. ابو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٧٦

(٣٧٠) تاريخ ، ج٣، ص٣٦١.

(٣٧١) تاريخ الزمان، ص٢٠٣.

(٣٧٢) تاريخ الزمان، ص٢٠٤" في حين لم يذكر هذه الاتفاقية في كتابه الآخر تاريخ مختصر الدول.

المبحث الثاني: معركة حطين ونتائجها

١ـ صلاح الدين والصليبين قبيل معركة حطين:

تميزت الحقبة التي تلت وفاة أموري ملك بيت المقدس الصليبي في (ذي الحجة ٥٦٩هـ/تموز١١٧٤م) بضعف مملكة بيت المقدس، ذلك ان بلدوين الرابع ذا الثلاثة عشر عاماً كان مريضاً بالجذام وكان بحكم مرضه مضطراً الى السماح لأمرائه بتسيير أمور مملكته، الامر الذي دفع القيادات السياسية الى التنافس للوصاية عليه[٣٧٣] وهذا أدى بعدئذ الى إضعاف الجبهة الصليبية أمام صلاح الدين حيث إنهم وبعد الانتصار الذي حققوه في معركة الرملة (٥٧٣هـ /١١٧٧م)، لم يتمكنوا من احراز اي نصر يذكر في المواجهات التي دارت بين الجانبين خلال الحقبة (٥٧٤ـ٥٨٣هـ /١١٧٨ـ١١٨٧م)

لم تلقَ العلاقات السياسية والعسكرية بين صلاح الدين والصليبيين خلال الحقبة (٥٧٤ـ٥٨٣هـ) اهتماماً يذكر من قبل المؤرخين السريان، ولاسيما الرهاوي المجهول الذي أهمل تماماً تدوين اي معلومات عن طبيعة العلاقة السياسية والعسكرية بين الطرفين في الحقبة التي تلت انتصار الصليبيين في معركة الرملة وحتى معركة حطين[٣٧٤]، والسبب في ذلك ربما يعود الى الاسلوب الذي درج عليه الرهاوي في تدوين

---

(٣٧٣) وليم الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص٩٧٤"

Baldwin M.W.: the decline and fall of Jerusalem, in setton: the history, vol.1, pp590-591

(٣٧٤) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ص٢١٧-٢٢٧.

الاحداث التاريخية المتعلقة بالصليبيين، حيث يظهر بوضوح ميله الى الجانب الصليبي، فبما ان الصليبيين خسروا اغلب المواجهات العسكرية مع صلاح الدين، وكذلك التفاهمات السياسية كانت لغير صالح الصليبيين خلال تلك المدة[٣٧٥] كل ذلك ربما دفع الرهاوي الى اهمال تدوين أخبار تلك المواجهات

على اية حال فان ما بين ايدينا من روايات سريانية عن بعض احداث تلك الحقبة دونها كل من ميخائيل السرياني وابن العبري، تناول الأول قيام الصليبيين ببناء حصن منيع (حصن يعقوب) في مكان يعرف بمعبر يعقوب[٣٧٦] على نهر الاردن جنوب دمشق وذلك في (جمادي الاول٥٧٤هـ/تشرين الاول١١٧٨م)[٣٧٧] ويصرح ميخائيل السرياني أن هدف الصليبيين من استحداث هذا الحصن هو" الضغط على دمشق "[٣٧٨] ويبدو ان الحصن المذكور سالفاً شكل تهديدا على الواقع العسكري لصلاح الدين في بلاد الشام لموقعه الجغرافي القريب من دمشق وتحكمه بطرق المواصلات بين شمال الشام وجنوبه[٣٧٩] لاسيما بين دمشق والجليل من ناحية وطبرية وصفد من ناحية اخرى[٣٨٠] نستدل على ذلك من كلام عماد الدين الاصفهاني "متى احكم هذا

---

(٣٧٥) عن ذلك ينظر: وليم الصوري تاريخ الحروب الصليبية، ج٢، ص١٠١٧.

(٣٧٦) معبر يعقوب: ويعرف بحصن بيت الأحزان بناه الصليبيون في مكان يعرف بمخاضة يعقوب على نهر الاردن شمال بحيرة طبرية على مسافة عشرة اميال (حوالي ٢٠كم). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٥١٩" نعيمة عبد السلام الساحلي: الاستيطان الصليبي، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٩، ص ٢٩٥"

Lyons and Jackson: Saladin، Cambridge university press, 1988, p,133

(٣٧٧) تاريخ، ج٣، ص٣٤٣.

(٣٧٨) المصدر نفسه والصفحة.

(٣٧٩)Lyons: Saladin, p.133

(٣٨٠)عاشور: صلاح الدين، ص١٣٠" الحياري: حصن بيت الأحزان، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، مج١٣، ع٤، ص٤٠.

الحصن تحكم في الثغر الاسلامي فان بينه وبين دمشق مسافة يوم واحد "[381]
لذلك اولى صلاح الدين ومنذ البداية اهتماما كبيرا لمنع اكتمال ذلك الحصن ففي رواية لابن أبي طي ان صلاح الدين عرض على الصليبيين ستين الف دينار لقاء هدمه ثم رفع المبلغ الى مئة الف لكنهم رفضوا[382] وهذه ايضا اشارة واضحة الى ان ذلك الحصن شكل خطرا لايستهان به على الستراتيجية العسكرية في بلاد الشام لتحكمه ايضا بطرق المواصلات بين دمشق والجليل[383] ايا كانت اهداف الصليبيين فان حصن يعقوب لم يتمكن من البقاء اكثر من عشرة اشهر حيث جهز صلاح الدين قواته وهاجم الحصن وبعد حصار استمر حوالي اربعة عشر يوما سقط الحصن في (٢٤ربيع الاول ٥٧٥هـ /٢٩اب١١٧٩م) [384] فامر صلاح الدين قواته بهدمه عن آخره

إضافة الى ما سبق فان كلا من ميخائيل السرياني وابن العبري تطرقا الى مواجهات عسكرية (وهي معركة مرج عيون) بين صلاح الدين والصليبيين في (محرم ٥٧٥هـ/حزيران١١٧٥م) [385] وربما كانت الاعنف بعد معركة الرملة اسفرت عن انتصار كبير لصلاح الدين الذي ربما كان سببا لعدم اعطائها قدرا كافيا من الاهتمام من قبل المؤرخين السالفين، ففضلا تقديم رواية اكثر اختصارا تضمنت اشارة الى وقوع عدد من الامراء الصليبيين في الاسر[386]، دون ذكر اسمائهم، في حين ان المؤرخ

---

(٣٨١) البرق الشامي، ج٣، ص١٤٥.

(٣٨٢) في ابو شامة: الروضتين، ج٢، ج٣، ص١٨.

(٣٨٣) الحياري: صلاح الدين، ص٢١٧"

Lyons: Saladin, p. 133

(٣٨٤) الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص١٧٠" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٨٢"

Robin fedden and Thomson: crusades castles, wiliam clows and sons, London,1957,p.64

(٣٨٥) تاريخ، ج٣،ص٣٤٣" تاريخ الزمان، ص١٩٤.

(٣٨٦) تاريخ، ج٣، ص٣٤٣" تاريخ الزمان، ص ص ١٩٤-١٩٥.

الصليبي وليم الصوري يروي انه كان من بين الاسرى اودو سانت اماند مقدم فرسان الداوية وبلدوين سيد الرملة[٣٨٧].

يبدو ان الخسائر الجسيمة التي لحقت بالصليبيين في معركة مرج عيون وحصن يعقوب، أجبرت بلدوين الرابع ملك القدس على أن يطلب من صلاح الدين عقد هدنة فوافق الاخير على عقدها في بداية عام (٥٧٦هـ /١١٨٠م)[٣٨٨]، تلك الهدنة التي لم يدون المؤرخون السريان تفاصيلها، ما خلا اشارة مختصرة وردت لدى ابن العبري يقول فيها "فاتفق صلاح الدين مع الفرنج"[٣٨٩] دون ذكر اي تفاصيل اخرى ولا حتى ذكر امد تلك الهدنة[٣٩٠].

لم يمتد الاجل طويلا بالهدنة المعقودة بين الجانبين فقد انتهت بحلول نهاية عام (٥٧٧هـ/١١٨١م) حسب المصادر الاسلامية[٣٩١]، في حين لم يصرح بذلك المؤرخون السريان، أما بخصوص انتهاك الهدنة، فهناك اختلاف بين المؤرخين السريان والمؤرخين المسلمين، ففي الوقت الذي يتهم فيه ابن العبري الجانب الاسلامي بخرق الهدنة باستيلائهم على سفينة صليبية رَسَت بالخطأ في دمياط[٣٩٢]، يرى المؤرخون المسلمون ان خرق الهدنة بدأ من الجانب الصليبي عندما قام رينودي شاتيون (ارناط) بمحاولة

---

(٣٨٧) تاريخ الحروب الصليبية، ص٣١٩" كذلك ينظر:

Sean Martin: knights templar, cpd ltd pub,wales, 2004, p64

(٣٨٨) تاريخ ج٣،ص٣٤٣.

(٣٨٩) تاريخ الزمان،ص١٩٦

(٣٩٠) لم تشر المصادر السريانية ولا الاسلامية المطلع عليها الى امد تلك الهدنة، في حين اشار بعض الباحثين الى ان امدها كان سنتين دون الاشارة الى المصدر الذي استقوا منه معلوماتهم. ينظر: دريد عبد القادر نوري: سياسة صلاح الدين، مطبعة الارشلد، بغداد،١٩٧٦، ص٢٨٩" عوض: العلاقات، ص٢١٢.

(٣٩١) الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص ١٨٨" ابو شامة: الروضتين، مج٢، ج٣، ص٦٦" حسين العودات: العرب النصارى، الاهالي للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٢، ص ١٣٧

(٣٩٢) تاريخ الزمان، ص١٩٨

الهجوم على الحجاز واستيلائه على قافلة تجارية للمسلمين[٣٩٣]. ويبدو ان ابن العبري لم يكن دقيقا في روايته السالفة فبعد الرجوع الى بعض المصادر الصليبية اهتدينا الى رواية للمؤرخ الصليبي يعقوب الفيتري يقول ما نصه " ان سيد مونتريال ﴿ اي سيد الكرك رينو ﴾ ...قد انتهك الهدنة التي عقدها شعبنا مع المسلمين بسبب قيامه بعمليات سلب كثيرة "[٣٩٤]، ولاشك أن رواية المؤرخ الصليبي السالف وهو معاصر لتلك الاحداث تفند مزاعم ابن العبري تماما وتؤكد ما رواه المؤرخون المسلمون.

لم تلق المدة التي تلت انتهاء الهدنة وحتى عام (٥٨٢هـ /١١٨٦م) تدوين روايات عن علاقة صلاح الدين بالصليبيين، ربما لانشغال الاخير بحملاته في بلاد الجزيرة والموصل فضلا عن حلب كما اسلفنا، حيث لم نجد سوى اشارة سريعة وردت عند ابن العبري عن حملة عسكرية قادها صلاح الدين على قلعة الكرك في (٥٨٠هـ/١١٨٤م) لم تسفر عن نتائج كبيرة[٣٩٥]، كذلك يقدم كل من ميخائيل السرياني وابن العبري روايتين منفصلتين عن هدنة عقدها بوهيموند الثالث امير انطاكيه مع صلاح الدين سنة (٥٨٢هـ/١١٨٦م)[٣٩٦]، دون تفاصيل تذكر هذا كل ما دونه المؤرخون السريان عن الاحداث التي سبقت معركة حطين

٢. معركة حطين:

استقطبت معركة حطين جانبا كبيرا من اهتمام المؤرخين السريان،كيف لا وهي المعركة التي أدت الى انهيار مملكة بيت المقدس وسقوط القدس المدينة الاهم بالنسبة للمسيحيين قاطبة، فقد حظيت معركة حطين بمكانة لم تحظَ بها سواها لدى المؤرخين

---

(٣٩٣) إبن شاهنشاه: مضمار الحقائق، ص ٦٠-٦١" ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٣٣٢" ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٠٢.

(٣٩٤) تاريخ بيت المقدس، ص١٤٨

(٣٩٥) تاريخ الزمان، ص ص٢٩١-٢٩٢

(٣٩٦) تاريخ، ج٣، ص٣٦٣" تاريخ الزمان، ص ٢٠٦

المسلمين والمسيحيين شرقيين وغربيين. وفيما يتعلق بمعالجة المؤرخين السريان لأحداث معركة حطين فثمة ثلاث روايات عنها، اثنتان دونها مؤرخان معاصران للمعركة هما ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول الذي كان حاضراً داخل مدينة القدس يوم سقوطها بيد صلاح الدين[٣٩٧]

تعد رواية الرهاوي المجهول أدق الروايات السريانية المعاصرة لاحداث معركة حطين وماتلاها من عمليات عسكرية قام بها صلاح الدين لاسترداد القلاع والحصون الساحلية الواحدة تلو الاخرى بما احتوته من معلومات لابأس بها عن المواجهات بين الصليبيين والمسلمين ولاشك ان سبب ذلك يعود الى كون الرهاوي قريباً جداً من مسرح الأحداث فقد كان حينذاك مقيماً في القدس وشاهد عيان على مادار داخل المدينة من احداث، استقى معلوماته عن المناطق الأخرى خارج القدس عن شهود عيان، فهو يقدم تحديدا دقيقا لتاريخ المعركة يوم السبت ٤تموز ١٤٩٨ يونانية الموافق لـ(٢٥ ربيع الاخرة ٥٨٣هـ) [٣٩٨]، وهذا التاريخ مطابق تماما لما دونه الاصفهاني[٣٩٩] الذي كان شاهد عيان على تلك المعركة[٤٠٠].

وبخصوص عدد افراد القوات الصليبية التي شاركت في المعركة فان الرهاوي لا يحددها بنص صريح لكنه وفي معرض حديثه عن نتائج المعركة يروي ان عدد اسرى

---

(٣٩٧) تاريخ الرهاوي، ورقة٢٠٠، العدد٤٨٤، هذا العدد مازال مخطوطا وهو محفوظ عند السيد البير ابونا المقيم في مطرانية كركوك .

(٣٩٨) تاريخ الرهاوي ، القسم المخطوط، ورقة ٢٠٠.

(٣٩٩) سنا البرق الشامي، ص٢٩٥

(٤٠٠) في حين ان ابرز المؤرخين الغربيين ممن كانوا شهود عيان على معركة حطين هما ارنول ساتس خيل باليان ايبلين، وكذلك المؤرخ المجهول صاحب كتاب حملة ريتشارد على الاراضي المقدسة الذي الف باللاتينية وقد قام جيمس برونديج بترجمه بعض ما يتعلق بمعركة حطين الى الانكليزية في كتاب (الحملات الصليبية استعراض وثائقي). ناصر عبد الرزاق الملا جاسم: صلاح الدين، رسالة ماجستير(غير منشورة)،جامعة الموصل، ١٩٩٢، ص٢٢٤

الصليبيين زاد على العشرين الف شخص فضلا عن مئة وخمسين اسيرا من فرسان المعبد اما القتلى فيقدرهم بأكثر من ثلاثين الفا[٤٠١]، وفقاً للتقديرات السالفة يكون تعداد القوات الصليبية نحو ستين الف مقاتل. يبدو فيها تقدم مبالغة ان هناك مبالغة من قبل الرهاوي المجهول في تقدير قوات الصليبيين

اما ميخائيل السرياني فمع كونه معاصراً لأحداث المعركة فإنه كان أقل المؤرخين السريان اهتماماً بتدوين أخبار معركة حطين، حيث اكتفى برواية مختصرة أشار فيها ان صلاح الدين الايوبي جمع جيشا من مصر وسورية، وهذه إشارة الى ان ميخائيل كان يفهم وبشكل جيد طبيعة تكوين جيش صلاح الدين في تلك المدة، إلا انه وعلى الرغم من ذلك، فان السرياني لم يقدم اي اشارة الى عدد مقاتلي كلا الجانبين وعن هزيمة الصليبيين فان ميخائيل السرياني يقدم تفسيرا عقائديا للحدث حيث يربطه بخطايا المسيحيين[٤٠٢]، دون الخوض في اسباب عسكرية وهذا هو شأن اغلب المؤرخين المسيحيين من رجال الدين فهم يفسرون التاريخ تفسيراً دينياً وفق مبدأ الثواب والعقاب الالهي. ويبدو ان وقع الحدث وماتلاه من سقوط بيت المقدس بيد صلاح الدين كان له بالغ الاثر على ميخائيل السرياني حيث نجده في خضم عرضه لتلك الاحداث وللمرة الثانية[٤٠٣] ينفرد برواية في معرض حديثه عن الاسرى الصليبيين يقول فيها إن صلاح الدين قتل ثلاثمئة من فرسان المعبد "واغتسل بدمهم"[٤٠٤] محاولة منه على ما يبدو لاظهار صلاح الدين بصورة غير انسانية، ولا ندري بالضبط ما الذي كان وراء اختلاق مثل هذه الروايات الشاذّة.

اما فيما يتعلق برواية ابن العبري فرغم كونه قد اسهب فيها كثيرا حيث افرد لها ست صفحات في كتابه تاريخ الزمان[٤٠٥]، قدّم فيها عرضا مفصلا عن معركة حطين

---

(٤٠١) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٢٨

(٤٠٢) تاريخ ،ج٣، ص٣٧٠

(٤٠٣) الرواية الأولى بذات المعنى وردت في خضم احداث معركة الرملة.ينظر ص٨٠ من هذه الدراسة

(٤٠٤) تاريخ،ج٣، ص٣٧٠

(٤٠٥) ص ص٢٠٧-٢١٢

وما تلاها من عمليات عسكرية، فإنه اتفق في معظمها مع الروايتين السالفتين ما خلا انفراده، بجعل السبب المباشر للمعركة هو" أن البرنس ارناط ﴿رينو دي شاتيون﴾ نكث اقسامه ونهب قافلة تجار العرب"[(٤٠٦)] وهذا مالم يشر اليه ميخائيل السرياني ولا الرهاوي المجهول، ان ما اشار اليه ابن العبري بخصوص نقض الهدنه هو عينه ما دونه المؤرخون المسلمون[(٤٠٧)] فبذلك يكون ابن العبري قد نقل روايته السالفة من مدونات المؤرخين المسلمين.

ان ما تجدر الاشارة اليه هنا هو أن المؤرخين السريان الثلاثة يتفقون على وجود خيانة بدرت من ريموند الثالث صاحب طرابلس دفعته الى الانسحاب من ساحة المعركة[(٤٠٨)] وهذا شكل أحد أبرز الاسباب لهزيمة الصليبيين، إلا أن شعوراً مغايراً برز عند ميخائيل السرياني يوحي بأن خيانة ريموند ليست وراء الهزيمة، بل السبب الحقيقي للخسارة هي خطايا الصليبيين آنذاك وهو بذلك يفسر الحدث عقائديا، ولا غرابة في ذلك فهو رجل دين من الطراز الاول وبطريرك اليعاقبة. وفضلا عما سبق فان تسمية المعركة بـ(حطين) لم يرد له اي ذكر لدى المؤرخين السريان مقارنة بالمؤرخين المسلمين الذين اتفق أغلبهم على تسميتها بموقعة حطين[(٤٠٩)]

---

(٤٠٦) تاريخ الزمان، ص٢٠٧.

(٤٠٧) قارن مع ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٣٨١" الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٢٩٢.

(٤٠٨) ميخائيل السرياني: تاريخ،ج٣،ص٣٧٠" الرهاوي الجهول: تاريخ الرهاوي.ج٢.ص٢٢٨" ابن العبري: تاريخ الزمان،ص٢٠٨" كذلك يروي المؤرخ الارمني سمباط انه كان هناك ثمة اتفاق بين صلاح الدين و ريموند على ان يترك الاخير ساحة المعركة لصالح صلاح الدين. للمزيد ينظر تاريخ سمباط الارمني، في الموسوعة الشامية، ج٣٥، ص٢٩٣.

(٤٠٩) ينظر على سبيل المثال: ابن الاثير: الكامل، ج٩،ص٣٨٥" ابن شداد: سيرة صلاح الدين،ص١٥٢" الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٢٩٥

٣. نتائج معركة حطين واسترداد بيت المقدس:

صارت المناطق الصليبية في بلاد الشام مكشوفة امام صلاح الدين بعد معركه حطين وبعد ما تم القضاء على معظم القوات الصليبية. ولغرض الاستفادة من هذا الانتصار سارع صلاح الدين بفتح المدن والحصون الصليبية واحدة بعد الاخرى مركزا ضرباته المباشرة على المدن والموانئ المهمة محاولة منه تأمين خط بحري مع مصر لما لذلك من أهمية لتدعيم موقفه العسكري

لم تمض سوى ثلاثة ايام على انتصار صلاح الدين في معركة حطين حتى توجه في(٢٨ربيع الاخر٥٨٣هـ/٨تموز١١٨٧م)صوب مدينة عكا[٤١٠] ذات الاهمية الستراتيجية كونها من اهم المدن الساحلية[٤١١] التي لم تقاوم كثيرا فقد طلب سكانها الأمان وسلموها لصلاح الدين في يوم الجمعة (١جمادي الاولى/١٠تموز) وفق رواية الاصفهاني[٤١٢] الذي كان حاضرا مع صلاح الدين الا ان الرهاوي المجهول يقول ان عملية التسليم تمت يوم الخميس (٩ تموز)[٤١٣]، ومن خلال مقارنة الروايتين يظهر ان رواية الاصفهاني هي الادق لكون الاخير شاهد عيان حاضرا تلك الأحداث

بعد حوالي شهر ونصف قضاها صلاح الدين في السيطرة على معظم المدن والحصون الساحلية[٤١٤]، توجه في (١٦جمادي الاخرة /٢٤اب) الى مدينة عسقلان[٤١٥] وضرب

---

(٤١٠) عكا: مدينة حصينة تقع على ساحل بحر الشام (البحر التوسط) الى الجنوب من مدينة صور بينهما اثنا عشر ميلاً (حوالي ٢٤كم). ابو الفدا: تقويم البلدان، ص ٣٤٣.

(٤١١) يقدم ابن جبير الذي زار عكا عام (٥٨٠هـ/١١٨٤م) وصفا دقيقاً للمدينة وأهميتها حيث يقول "هي قاعدة مدن الشام ... والمشبهة بعظمتها بالقسطنطينية "، رحلة ابن جبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣، ص٢٣٥.

(٤١٢) الفتح القسي، دار المنار،القاهرة، ٢٠٠٤، ص٥٥.

(٤١٣) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٢٨.

(٤١٤) للمزيد عن فتوحات صلاح الدين ينظر:الاصفهاني: الفتح القسي، ص ص٥٣-٦٥" الحنبلي: الأنس الجليل، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩، ج١، ص ص٣٢٣-٣٥٥" لين بول: صلاح الدين

عليها حصارا دام اربعة عشر يوما[٤١٦]، لم يتمكن خلالها من السيطرة على المدينة، وبهذا الخصوص يقدم الرهاوي المجهول رواية يتفق فيها مع ابن العبري مفادها ان صلاح الدين استقدم الملك جاي لوزنجيان الذي كان أسيراً عنده وعرض عليه اطلاق سراحه مقابل اقناع حامية المدينة بالاستسلام[٤١٧]، وفعلا تم الاتفاق على التسليم بعد مفاوضات في (٣٠جمادي الاخرة/٧ايلول) لقاء شروط[٤١٨]، وعن ذات الحدث يقدم الرهاوي ان صلاح الدين وبعد ان سيطر على المدينة "دمرها بالكامل واستأصل سورها وتركها يباباً"[٤١٩].

وبعد ان تمكن صلاح الدين من السيطرة على معظم المدن والحصون الصليبية المحيطة بمدينة القدس تطلع الى هدفه الذي طالما جال بخاطره وعمل له وهو استرداد بيت المقدس، حيث توجه الى جنوب المدينة وضرب عليها حصارا في (١٥ رجب/٢٠ ايلول) استمر اثنا عشر يوما[٤٢٠].

بين ايدينا ثلاث روايات سريانية بخصوص حصار صلاح الدين للقدس وسقوطها. الأولى دوّنها شاهد عيان وهي رواية الرهاوي المجهول، والثانية رواية

وسقوط مملكة القدس، ترجمة فاروق سعد ابو جابر، مؤسسة الاهرام للتوزيع والنشر، القاهرة، ١٩٩٥، ص ص١٨٨-١٩٢

(٤١٥) عسقلان: مدينة تقع على ساحل البحر (المتوسط) بين غزة وبيت جبرين الى الجنوب من يافا. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ١٢٢

(٤١٦) الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٣٠٨.

(٤١٧) تاريخ الرهاوي، ج٢،ص٢٢٩" تاريخ الزمان، ص٢١٠.

(٤١٨) عن تفاصيل ذلك الاتفاق ينظر: الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٢٠٨ "يعقوب الفيتري: تاريخ بيت المقدس، ص١٥٢.

(٤١٩) تاريخ الرهاوي، ج٢،ص٢٢٩.

(٤٢٠) الأصفهاني: سنا البرق الشامي، ص٣١٠" ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص١٦١" ارنست باركر: الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار النهضة العربية،بيروت، د.ت، ص٨٣"
Stevenson: the crusaders, p252

ميخائيل السرياني وهو معاصر للاحداث، اما الرواية الثالثة فقد دونها ابن العبري اللاحق زمانا

تعد رواية الرهاوي المجهول ذات قيمة تاريخية كبيرة لأن كاتبها عاش كل الاحداث التي دارت رحاها خلال المدة (١٥ـ٢٧رجب/٢٠ايلول ـ٢تشرين الاول) فقد كان حاضرا داخل القدس حسب قوله "وفي هذا الزمان حضرنا في اورشليم نحن الضعفاء الذين نكتب هذه الامور"[٤٢١]، قدم الرهاوي في روايته عرضا مفصلا عن احداث سقوط بيت المقدس مستعرضا ذلك الاتفاق الذي تم التوصل اليه بين صلاح الدين وسكان المدينة والذي تضمن وفق رواية الرهاوي، ان يدفع كل فرد فدية لقاء خروجه بسلام عن الرجل عشرة دنانير والمرأة خمسة دنانير والطفال ديناران[٤٢٢]، واشارة كذلك الى ان الصليبيين وهم يغادرون القدس بعد ان اخرجهم المسلمون منها بشروط، ان منهم من تعرض لبعض الاعتداءات من قبل السكان المحليين[٤٢٣]، ان مثل هذا العمل ان كان قد وقع فهو دون شك ليس بايحاء او باشراف من القيادة المتمثلة بصلاح الدين، لكن مثل هذا العمل وارد جدا في الحروب ولاسيما وان الخارجين من المدينة كانوا يحملون بعض الاموال التي ربما جلبت انظار قطاع الطرق من المسلمين وغير المسلمين

لم تكن مثل هذه الحوادث مقتصرة على المسلمين تجاه الصليبيين بل انها وقعت من قبل الصليبيين انفسهم ضد ابناء جلدتهم، فبين ايدينا رواية صادرة من المؤرخ المسيحي يعقوب الفيتري بطريرك عكا (١٢١٧ـ١٢٢٧م) يشير فيها وبوضوح ان الصليبيين القادمين من بيت المقدس "عندما وصلوا الى مدينة طرابلس، وقعوا بأيدي ملوثة نجسة ودنسة وقد اخذ منهم كل ما كانوا أحضروه معهم"[٤٢٤]

---

(٤٢١) تاريخ الرهاوي، القسم المخطوط، ورقة٢٠٠.

(٤٢٢) المصدر نفسه" قارن مع الاصفهاني: الفتح القسي، ص٧٢

(٤٢٣) تاريخ الرهاوي، القسم المخطوط، ورقة٢٠٠.

(٤٢٤) تاريخ بيت المقدس، ص١٥٣

أما رواية ميخائيل السرياني عن سقوط بيت المقدس ففيها معلومات جيدة، حيث انه اتفق مع الرهاوي المجهول في تحديد مقدار الفدية التي فرضها صلاح الدين على كل فرنجي وهي عشرة دنانير مقابل اخلاء سبيله[٤٢٥] وهكذا دون ان يفرق بين رجل وامرأة في حين ان الرهاوي كان اكثر تفصيلاً كما اسلفنا، ومن الجدير بالملاحظة ان ميخائيل السرياني قدم وصفا مطولاً عن اجراءات صلاح الدين داخل المدينة المقدسة بعد سقوطها حيث يقول ان الاخير " حرر عشرين الف رجل وامرأة منهم اربعة الاف شيخ وعجوز"[٤٢٦]، وهذا من المواقف النبيلة للعدو التي اشارة اليها ميخائيل السرياني، في حين لم يرد لدى الرهاوي المجهول اي شئ من هذا القبيل رغم كونه الأقرب جغرافياً الى الحدث التاريخي، ويردف السرياني قائلا ان صلاح الدين استغل باقي الأسرى ممن لم يتمكنوا من دفع الفدية فخصص ستة آلاف لخدمة قواته، وارسل خمسة آلاف منهم الى مصر للعمل في بناء الأسوار، ترك مثلهم في القدس لأعادة بناء الأسوار.

أما العرض الاكثر تفصيلا فقد جاء عند ابن العبري اللاحق زمانا حيث تضمنت روايته خلاصة الروايتين السالفتين مستفيدا من الروايات الاسلامية والمدة الزمنية الفاصلة بين الحدث وعصره، لذلك جاءت روايته ذات تفاصيل اكثر حيث يروي وباسهاب حصار المسلمين للمدينة وما دار بين الجانبين من قتال استبسل فيه الصليبيون في الدفاع عن القدس[٤٢٧] الا انهم لم يتمكنوا من الصمود فاضطروا الى طلب الامان وتم الاتفاق على تسليم المدينة لقاء الشروط السالفة، كما وأشار في كتابه تاريخ الزمان[٤٢٨] الى بعض مواقف صلاح الدين النبيلة تجاه الصليبيين حيث اورد في معرض حديثه ان الاخير اطلق سراح عدد من الاميرات والملكات الفرنجيات وارسل معهّن بعض الفرسان الى حدود الفرنج في حين لم يتطرق الى هذا الموقف في كتابه المختصر.

---

(٤٢٥) تاريخ ، ج٣، ص٣٧١.

(٤٢٦) المصدر نفسه والصفحة.

(٤٢٧) تاريخ الزمان، ص٢١١" تاريخ مختصر الدول، ص٢٢٠-٢٢١.

(٤٢٨) ص٢١١.

٤ـ الحملة الصليبية الثالثة:

جاءت الحملة الصليبية الثالثة كرد فعل على ذلك الانتصار الذي حققه صلاح الدين على الصليبيين في معركة حطين وما تلاه من انهيار سريع لما كان يعرف بمملكة بيت المقدس، فما ان تمكن صلاح الدين من اخضاع المدن والقلاع الصليبية، حتى استغاث صليبيو الشرق بالبابا اوربان الثالث (١١٨٥ـ١١٨٧م) حيث ارسلوا جوسياس رئيس اساقفة مدينة صور[٤٢٩] في منتصف عام (٥٨٣هـ /١١٨٧م) لطلب العون من البابا[٤٣٠]، لكن الاخير مالبث ان مات على الوقع الاليم (٢١تشرين الاول١١٨٧)[٤٣١] عند سماعه خبر سقوط بيت المقدس، فخلفه كريكوري الثامن والذي لم يمتد به الاجل كثيرا حيث توفي هو الاخر في (١٧كانون الاول١١٨٧م) اي بعد اقل من شهرين من توليه منصب البابوية[٤٣٢]، فخلفه على الكرسي البابوي كليمنت الثالث الذي اخذ على عاتقه الاتصال بملوك اوروبا يحثهم على تعبئة جيوشهم لمحاربة المسلمين[٤٣٣] وليس ادل على فداحة ما ألم بصليبيي المشرق واثره على اوروبا من كلام ميخائيل السرياني الذي اورده بهذا الخصوص قائلا: "واندفع ملوك وجيوش الافرنج بغيرةٍ عارمة"[٤٣٤]

---

(٤٢٩) صور: من أعظم المدن تحصيناً على الساحل الشامي (ساحل البحر المتوسط) تقع الى الشمال من مدينة عكا بينهما ستة فراسخ (حوالي ٣٦كم). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٣.وهي تقع الآن في جنوب لبنان.

(٤٣٠) عاشور: صلاح الدين، ص٢٢١..

(٤٣١) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٢" دوبراتشينسكي: اوروبا والمسيحية، ترجمة كبرو لحدو، دار الحصاد للطباعة والنشر،دمشق، ٢٠٠٧، ج٢، ص١٦٩.

(٤٣٢)رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٣.

(٤٣٣) يعقوب الفيتري: تاريخ بيت المقدس، ص ص١٥٨-١٥٩.

(٤٣٤) تاريخ ، ج٣، ص٣٧٥.

بدأت الاستعدادت العسكرية والاقتصادية(٤٣٥) للحملة الصليبية في كل من إنكلترا وفرنسا والمانيا حيث تم الاتفاق بين ملكي فرنسا وإنكلترا على ان يسيرا بحراً، وكان ذلك في سنة (٥٨٦هـ /١١٩٠م)، في حين اختار فردريك بربروسا - امبراطور المانيا ان يقود جيشه برا حيث غادر المانيا صوب القسطنطينية في (ربيع الاخر٥٨٥هـ /اياز ١١٨٩م) بمعية عدد كبير من الأمراء الألمان(٤٣٦)

لم تلقَ الحملة الصليبية الثالثة الكثير من الاهتمام من قبل بعض المؤرخين السريان مع ما تميزت به هذه الحملة من أهمية في تاريخ الحروب الصليبية فقد انعكس اهمال المؤرخين السريان في تدوين مجريات احداث هذه الحملة لدى ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول، على الرغم من كونهما معاصرين لمجمل احداثها، حيث دونوا مروياتهم بعجالة شديدة دون تفاصيل وافية، فبعد استقراء ما دونه ميخائيل السرياني في تاريخه، وجدنا ان مجمل مروياته لا تتجاوز خمس نصوص، جاءت مقتضبة جدا وموزعة على صفحتين فقط(٤٣٧) في حين لم يقدم لنا الرهاوي المجهول سوى ثلاث روايات عن احداث الحملة الثالثة(٤٣٨)

---

(435)اتخذ كل من ملك فرنسا وانكلتر عددا من التدابير المالية الهدف منها توفير الاموال اللازمة للانفاق على الحملة الصليبية الثالثة، ابرزها ما عرف بعشور صلاح الدين وهي ضريبة تقدر بعشرة في المئة فرضت على الدخول المنقولة لرعايا فرنسا وإنكلترا. رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٢٤"

Estelle blyth: Jerusalem, and the crusades, T.C.&E.C.JACK, London, p. 169

كذلك قام ريتشارد ملك إنكلترا ببيع عدد من القلاع والحصون للغرض عينه.

Jacob Abbott: Richard I, Harper & brothers publishers, New York, 1901,p.93

(٤٣٦) عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ص٨٤٤-٨٤٥" محمد عبد الشافي المغربي: اسيا الصغرى في العصور الوسطى، دار الوفاء، الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص١٦٠"

Gabrieli: Arab Historians of the crusades, translated by E.J. Costello, Rutledge & Kegan Paul, London, 1969, p.209

(٤٣٧) تاريخ، ج٣، ص ص٣٧٥-٣٧٦.

(٤٣٨) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٣٠.

أما ابن العبري فانه يقدم سرداً تاريخيا ذا نسق مميز تضمن روايات مسهبه لتفاصيل احداث الحملة الصليبية الثالثة فقد افرد لها حوالي سبع صفحات ضمن كتابه تاريخ الزمان[٤٣٩]، عالج فيها مجمل احداث الحملة الثالثة بتفاصيل مترابطة تنم عن حس تاريخي اهلته بأن يحتل موقع الصدارة بين المؤرخين السريان قيد الدراسة والذين ارخوا لاحداث الحملة الصليبية الثالثة

إن ماتبقى من القوات الصليبية المنهزمة إبّان معركة حطين وسقوط بيت المقدس اخذت بالتجمع في مدينة صور التي لم يتمكن صلاح الدين من الاستيلاء عليها على الرغم من محاولاته المتكررة منذ عام (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، حيث غدت ملجأ للصليبين الفارين من المدن والقلاع التي استولى عليها المسلمون، أو الذين خرجوا من معاقلهم بإذن صلاح الدين، على ان هولاء افتقروا الى قيادة موحدة تنظم صفوفهم وتقودهم الى المقاومة وبهذا الخصوص يقدم الرهاوي المجهول رواية مفادها انه وفي العام التالي لسقوط بيت المقدس وعلى اثروصول تلك الانباء الى الغرب الاوروبي قدم احد الكونتات واسمه مركيز[٤٤٠] الى مدينة صور[٤٤١]، وفي الحقيقة ان رواية الرهاوي غير دقيقة فبعد الرجوع الى الأصفهاني الذي كان حاضراً تلك الاحداث تبين لنا ان كونراد كان قد وصل الى عكا بعد سقوطها بأيام قلائل دون ان يعلم بما حل بالصليبيين، ثم غادرها الى مدينة صور[٤٤٢]، حيث وصلها في (١٤تموز١١٨٧م)، وما لبث ان غدا قائدا للصليبين بعد ان وافقوا على تسليمه زمام امورهم. وعلى اثر تلك المستجدات قام كونراد باعداد جيش من الصليبيين المتجمعين في صور وسار بهم الى عكا وضرب

---

(٤٣٩) ص ص٢١٨-٢٢٤.

(٤٤٠) هو كونراد دي منتفيرا ايطالي الاصل.كروسيه: الحروب الصليبية، ص٦٦" تسميه المصادر الاسلامية مركيس ومركيش قتل في (ربيع الآخر ٥٨٨هـ/١١٧٨م). الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٦٣" ابن الاثير: الكامل، ج٩،ص٣٩٢ "ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص٣٥٧.

(٤٤١) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٢٩.

(٤٤٢) الفتح القسي، ص٦٤.

عليها حصارا في (١٠رجب٥٨٥هـ/٢٥اب١١٨٩م)[٤٤٣] وهي الاحداث التي سبقت وصول ملوك اوروبا.

أما فيما يتعلق بمسيحي اوروبا فقد تأخر وصولهم نحو اربع سنوات بعد معركة حطين، حيث وصل الاسطول الفرنسي بقيادة فيليب اوغسطس (٥٧٦-٦٢٠هـ/١١٨٠-١٢٢٣م) الى عكا في (٢٣ربيع الاول ٥٨٧هـ/٢٠نيسان١١٩١م)، في حين تأخر ريتشارد قلب الاسد ملك إنكلترا شهرين اخرين ليصل في (جمادي الاول /حزيران) من العام نفسه[٤٤٤]

إن ما تجدر الاشارة اليه هنا، هو أن ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول على الرغم من معاصرتهما لمجمل احداث الحملة الصليبية الثالثة فقد تجاهلا تماما أي ذكر لملك فرنسا وإنكلترا الشخصيتين البارزتين في احداث هذه الحملة، لاسيما ريتشارد قلب الاسد حيث تكاد الحملة الثالثة ان تقترن باسمه لما له من دور بارز فيها، لكنه ومع ذلك لم يحظَ باهتمام يذكر من قبل المؤرخين السريان ما خلا اشارة واحدة وردت عند ميخائيل السرياني في معرض حديثه عن تعيين هنري ابن اخت ملك انكلترا حاكما على عكا دون ذكر اسم ريتشارد بل اكتفى بالقول ملك إنكلترا[٤٤٥]، ان تجاهل ميخائيل السرياني ذكر اي معلومات ذات قيمة عن ابرز قائدين صليبيين والاحداث المتعلقة بهما ربما يعود الى جهله باسماء اولئك القادة الاوروبين القادمين عن طريق البحر او ربما لبعده الجغرافي عن مسرح تلك الاحداث فضلا عن عامل الزمن حيث ان الحقبة الزمنية الفاصلة بين احداث الحملة الثالثة ووفاة ميخائيل السرياني ليست سوى ثمان سنوات لم تكن فيها الاحداث قد دونت بشكل دقيق وموسع" في حين نرى أفضل

---

(٤٤٣) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص١٩١.

(٤٤٤) تواريخ اسرة بلانتغنت: في الموسوعة الشامية، ج٣٠، ص٢٣٩، رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٩٦"

Stevenson: the crusaders, p.267

(٤٤٥) تاريخ، ج٣، ص٣٧٦.

الروايات لدى المؤرخين ممن هم أبعد زمنا عن الحدث التاريخي إذ تتوفر بين ايدي المؤرخين المزيد من المعلومات ويكون الحدث التاريخي قد تبلور وشاعت اخباره بين الناس، وهذا ما التمسناه وبوضوح في رواية ابن العبري التي جاءت بعد قرابة القرن من الزمان حيث احتوت على معلومات مستفيضة عن مجريات الحملة الثالثة وعلاقات ريتشارد بصلاح الدين مستفيدا في ذلك من عدد لاباس به من المصادر والروايات الاسلامية والمسيحية عن مجريات تلك الاحداث.

أما فيما يتعلق بالقوات الالمانية بقيادة فردريك بارباروسا فقد لاقت اهتماما لابأس به من قبل المؤرخين السريان على السواء، الا ان الملفت للنظر هو مخالفة ابن العبري لكل من ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول في الحديث عن مصير الامبراطور الالماني، حيث يروي "ثم توجه ملك الالمان وهو شيخ ليسبح في النهر[٤٤٦]، وكان البرد شديدا يومئذ فوعك ومات"[٤٤٧] في حين يؤكد كل من السرياني والرهاوي ان فردريك مات غرقا وليس بسبب مرض ألمّ به[٤٤٨]، والى ذلك يذهب المؤرخون الاوروبيون المحدثون في حديثهم عن مصير الامبراطور فردريك[٤٤٩] وبوفاته انهار معظم الجيش الألماني وتبدد شمله.

لم يبقَ امام القوات الصليبية المحاصرة لمدينة عكا والتي هي محور العمليات العسكرية آنذاك سوى الاستيلاء على المدينة ورغم المحاولات المستميتة التي بذلتها

---

(٤٤٦) هو نهر سالف يقع في اسيا الصغرى. للمزيد ينظر:

Stevenson: the crusaders, p.267

(٤٤٧) تاريخ الزمان، ص٢١٨.

(٤٤٨) تاريخ، ج٣، ص٣٧٥" تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٣٠.

(٤٤٩) كروسيه: الحروب الصليبية، ص٦٧" آرنست باركر: الحروب الصليبية، ص٨٩" رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٩" دوبراتشينسكي: اوروبا والمسيحية، ج٢، ص١٧١"

Johanson: the crusade of Fredrick barbarossa, in Setton, A history of the crusades, vol.2,p.114; Blyth: Jerusalem, p.171; Gabrieli: Arab historian, p.10

القوات الاسلامية للحفاظ على عكا، الا ان الصليبيين تمكنوا من الاستيلاء على المدينة في (١٧جمادي الاخر٥٨٧هـ/٢١تموز١١٩١م)[٤٥٠] بعد ان امضى الفرنج سنتين في حصارها[٤٥١] (اب١١٨٩ - تموز١١٩١م)

أما بخصوص احتلال القوات الصليبية لمدينة عكا وما جرى فيها من احداث فلدينا ثلاث روايات لمؤرخين سريان عالج كل واحد منهم تلك الاحداث بشكل مختلف تماما عن الآخر بحيث لانجد اي تشابه في صياغة الرواية التاريخية او حتى تقارب في الرؤى لأي واحد منهم، والملفت للنظر هنا هو ان ميخائيل السرياني والرهاوي المجهول وهما الأقربان زمانا ومكانا من تلك الاحداث، الا أنَّ هناك اختلافاً كبيراً بينهما في عرض الرواية التاريخية المتعلقة بسقوط عكا.

لقد جاءت الرواية الاولى على لسان ميخائيل السرياني حيث ينفرد برواية مفادها ان مدينة عكا فتحت على يد القوات الالمانية بعد معركة عنيفة[٤٥٢]، إن ماذهب اليه ميخائيل السرياني بهذا الخصوص لم يسلم به اي من المؤرخين السريان ولا المسلمين حيث إن كل من ارَّخ لأحداث الحملة الصليبية الثالثة من مسلمين او غربيين يؤكدون ان الجيش الالماني قد تشتت بعد ان فقد قائده فريدريك برباروسا[٤٥٣]، ويؤكد ابن الاثير انه لم يصل من القوات الالمانية الى عكا سوى الف مقاتل[٤٥٤]، فكيف لألف مقاتل الاستيلاء على مدينة استعصت على اقوى

---

(٤٥٠) الاصفهاني: الفتح القسي، ص٢٦٩" ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص٤٥٤" ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص٣٩٧.

(٤٥١) الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي،ج٢، ص٢٣٠.

(٤٥٢) تاريخ ، ج٣، ص٣٧٥.

(٤٥٣) الاصفهاني: الفتح القسي، ص٢١٠" كروسيه: الحروب الصليبية، ص٦٧"عوض: العلاقات، ص٢٢٩"

Stevenson: the crusaders, p.265; Lyons: Saladin, p. 306

(٤٥٤) الكامل، ج٩، ص٤٤٢.

جيوش اوروبا ممثلاً بفرنسا وإنكلترا لحوالي عـامين، ان افتقـار ميخائيـل السرياني للدقة في تدوينه لروايته السالفة رغم كونه معاصرا لاحداثها يدفعنا الى الاعتقاد ان الاخير وفي خضم تلك الاحداث الجسام كـان منقطعـا عـن مجريـات تلـك الاحـداث في مؤسسته الدينية، حيث كان مشغولا بمهامه الكنسية ولاسيما انه بطريرك اليعاقبـة السريان، نستدل على ما ذهب اليه من نصين وردا على لسان ميخائيل السرياني، في نفس الفترة التي كانت فيها القوات الصليبية تحاصر عكـا، فقـد جـاء في الـنص الاول "عقد في هذه الاثناء مجمع في ديرمار برصوم..."[٤٥٥]، وجاء في النص الثاني "وفي هذه الاثناء انجزنا بناء كنيسة في ديرمار برصوم..." [٤٥٦] ومن جانب اخـر فان روايته عمًا دار بين الجـابين الاسـلامي والـصليبي مـن مباحثـات لتـسليم عكـا وشروط الصليبيين جاءت مشوشة غير واضحة حيث اشار فيها الى ان صلاح الدين لم يطلق اسرى الصليبيين، لذلك اقدم ملوك الافرنج على قتـل اسـرى المسلمين ويبـالغ كثيرا في عدد القتلى ليجعلهم خمسة وعشرين الف شخص[٤٥٧] وعـن الاحداث ذاتها لدينا روايتان ممتازتان نقلهما لنا مؤرخان معاصـران لتلـك الاحـداث، وردت الاولى على لسان شاهد عيان وهو المؤلف المجهول المصاحب للملك ريتشارد إذ يقول ان عدد الاسرى المسلمين كان الفين وسبعمائة مقاتل[٤٥٨]، اما الرواية الثانية فقد دونها ابن شداد حيث يقول انهم كانوا زهاء ثلاثة الاف[٤٥٩]، نستخلص مما سبق ان ميخائيـل السرياني وبسبب عدم اطلاعه البتّة على مجريات الاحداث ربما يكون قد سمعهـا مـن الناس في وقت لاحق والعوام دأبها المبالغة والتضخيم في نقل الأحداث.

---

(٤٥٥) تاريخ ،ج٣، ص٣٧٦.

(٤٥٦) المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٤٥٧)المصدر نفسه والجزء والصفحة.

(٤٥٨) مؤلف مجهول: صلاح الدين وريتشارد، ترجمة حسن حبشي،الهيئة المصرية العامـة للكتـاب، القاهرة، ٢٠٠٠، ج٢، ص٥٢.

(٤٥٩) ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص٣٢٣.

أما الرهاوي المجهول فانه يقدم رواية في غاية الاختصار لا تتجاوز خمسة اسطر يسرد فيها احداث سقوط عكا وما تلاها من مواجهات عسكرية واتصالات دبلوماسية بين الجانبين وإن أبرز ما جاء في روايته هو قوله ان المسلمين "قتلوا مسيحي المدينة {عكا} كلهم"(٤٦٠)، ان هذا ينافي ما ورد في المصادر الاخرى، فلم نجد اي اشارة لمثل هذه الحادثة في اي من المصادر المطلع عليها سواء كانت سريانية مسيحية أم عربية اسلامية، وحتى المؤرخون الاوروبيون المحدثون(٤٦١)، ولاشك انه لو كان لوصف الرهاوي المجهول شئ من الصحة لما سكت عليه الكتاب المسيحيون. ويبدو ان الرهاوي المجهول وبما عرف عنه من انحياز للمسيحين الصليبيين ارتأى ان يختلق روايته السالفة بهدف التغطية والتسويغ لما قامت به القوات الصليبية من مجزرة مروعة بعد سقوط عكا، هذا ولم يقدم الرهاوي اي اشارة الى قتل أسرى المسلمين بأمر الملك ريتشارد.

اما العرض الاكثر تفصيلا عن سقوط عكا فيقدمه ابن العبري من خلال كتابه تاريخ الزمان حيث تناول تلك الاحداث باسهاب ناقلا احيانا عن بعض المؤرخين المسلمين كابن الاثير، لقد استهل ابن العبري حديثه بالاشارة الى الاتصالات التي كانت قائمة بين الملك ريتشارد وصلاح الدين حيث يقدم لنا في اربعة مواضع(٤٦٢)، روايات مفصلة عن الاتصالات الدبلوماسية بين الطرفين وما تخللها من تبادل الهدايا بين صلاح الدين وريتشارد، بعد ذلك ينتقل مباشرة الى وصف تشديد الحصار على عكا من قبل الصليبيين وما آلت اليه احوال سكان المدينة من ضيق حتى اضطروا

---

(٤٦٠) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٣٠.

(٤٦١) ينظر على سبيل المثال: ميخائيل السرياني: تاريخ،ج٣،ص٣٧٥" الاصفهاني: الفتح القسي،ص ص٥٤-٥٥ " مؤلف مجهول: ريتشارد وصلاح الدين، ج٢،ص ص٥١-٥٢" ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص ص٣٠٢-٣٠٣"

Stevenson: the crusaders, p.272 ; Ehrenkreutz: Saladin, p. 203-204 ; Lyons: Saladin, p.156-166

(٤٦٢) تاريخ الزمان، ص ص٢١٨-٢١٩" قان مع الكامل،ج٩، ص٤٤٥.

الى طلب الاستسلام مقابل فدية[٤٦٣]، وعن شروط الصليبيين[٤٦٤] يعرض ابن العبري ضمن كتابه تاريخ الزمان[٤٦٥] ثلاثة بنود عرضها الصليبيون مقابل اعطاء الأمان للسكان، في حين يجعلها اربعة في كتابه تاريخ مختصر الدول[٤٦٦]، حيث اهمل في كتابه الاول شرطاً مهما وهو تسليم صليب الصلبوت، مهما يكن من أمر فان المدينة سقطت بيد الصليبيين في (جمادي الآخر ٥٨٧هـ/تموز ١١٩١م) بعد صراع عنيف دام نحو عامين[٤٦٧]

وفيما يتعلق بقتل اسرى المسلمين فان ابن العبري يقدم تسويغاً لما اقترفه الصليبيون ويحمل صلاح الدين المسؤولية بصورة غير مباشرة على اعتبار ان الاخير لم يدفع للصليبين المبلغ المتفق عليه في الوقت المحدد، وكنتيجة لذلك اقدم الصليبيون على قتل الاسرى[٤٦٨]، ولم يسعفنا ابن العبري بأي معلومات عن عدد من قتل في تلك الحادثة، الا انه يشير الى اجمالي عدد قتلى المسلمين طول تلك الاحداث حيث يقول: "وبلغ عدد قتلى العرب ﴿المسلمين﴾ على اسوار عكا وداخلها وخارجها في التل مائة الف وثمانمائة نسمه"[٤٦٩] ولاشك ان هذا العدد مبالغ فيه فكم كان عدد سكان المدينة ليقتل منهم مثل هذا العدد.

---

(٤٦٣) تاريخ الزمان، ص٢١٩.

(٤٦٤) للمزيد حول شروط الصليبيين ينظر: آمبرويز: صليبية ريتشارد، في الموسوعة الشامية، ج٣٢، ص٣٢٨"

Jacob Abbott: Richard I , p217; Stevenson: the crusaders, pp.269-270

(٤٦٥) ص٢١٩.

(٤٦٦) ص٢٢٢.

(٤٦٧) الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٣٠" عوض: عصر الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٩٠.

(٤٦٨) تاريخ الزمان، ص ص٢١٩-٢٢٠.

(٤٦٩) المصدر نفسه، ص٢٢٠.

لم يتمكن ملك إنكلترا من الاستمرار اكثر من ذلك في قتال صلاح الدين، ويبدو ان موقفه العسكري والسياسي بات غير مستقر حيث بدت عليه علامات الضعف الامر الذي ادى الى ان يلتمس من صلاح الدين عقد هدنة لانهاء النزاع بين الطرفين نستدل على ذلك من نص اورده ابن العبري وهو أن ريتشارد ارسل الى صلاح الدين " لقد افنت الحرب عسكرنا وعسكركم فالى متى تبقى الحال كذلك ...اردد الينا ماأخذته من البلاد ولاسيما اورشليم مقام ديننا...فاذا وافقت تركنا كل شئ وعدنا الى وطننا"(٤٧٠)، ومما تجدر الاشارة اليه هنا هو ان المؤرخ المجهول المرافق للملك ريتشارد يقدم رواية مماثلة يظهر فيها سوء احوال سيده الصحية والسياسية حيث يقول: "اضطربت الامور وتعقدت السبل امام الملك ولم يدر ما الذي يفعله ومن ثمَّ ارسل كتابا الى العادل يسأله فيه ان يتوسط عند اخيه صلاح الدين لابرام هدنة بينهما لاتمس بشرفه قدر الامكان "(٤٧١).

فضلا عما سبق فانه خلال المفاوضات بين الطرفين حيث كان العادل يقودها عن الجانب الاسلامي برزت قضية زواج العادل من اخت ريتشارد قلب الأسد، وبقدر تعلق الامر بالمؤرخين السريان -قيد الدراسة- فلم يتطرقوا الى هذه المسألة ما خلا ماجاء عند ابن العبري من اشارة الى ان العادل كان قد اعجب بأخت ريتشارد لذلك "وجه الزعماء والشيوخ الى اخيه ليقنعوه في ذلك غير أنه رفض كل الرفض "(٤٧٢) يبدو ان رواية ابن العبري تنقصها الدقة في تقديم الحدث التاريخي والراجح انه نقلها عن ابن شداد الذي كان طرفا فاعلا في تلك الاحداث لكنه تصرف في الرواية حتى تغير المعنى. نستدل على ذلك من كلام ابن شداد حيث يقول ان العادل استدعاه في يوم (٢٩ رمضان ٥٨٨هـ/ ٩ تشرين الأول ١٢٩٢م) و" أحضر جماعة من الامراء وشرح لنا ما عاد به رسوله من الانكتار من الرسالة والكلام، وذلك انه ذكر انه قد استقرت القاعدة على ان يتزوج الملك العادل

---

(٤٧٠) المصدر نفسه، ص٢٢١.

(٤٧١) ريتشارد وصلاح الدين، ج٢، ص٢٦٤.

(٤٧٢) تاريخ الزمان، ص٢٢١.

بأخت الانكتار... وحملنا هذه الرسالة الى السلطان وجعلني المتكلم فيها والجماعة يسمعون "(٤٧٣)، نستشف من كلام ابن شداد ان العادل ارسل وفدا الى صلاح الدين لينقل اليه ماعرضه ريشارد للصلح دون ان يكلف الوفد بالتوسط لدى اخيه لقبول زواجه من اخت ريتشارد، فضلاِ عن ذلك ففي تمام رواية ابن شداد مايفند كلام ابن العبري كون صلاح الدين وافق على العرض " معتقدا ان ملك الانكتار لايوافق على ذلك اصلا "(٤٧٤) فضلاً عن ذلك فقد ذكر ابن نظيف الحموي (ت ٦٤٤هـ/١٢٤٦م) ان رجال الدين المسيحيين المقربين من الملك ريتشارد رفضوا اي زواج من هذا النوع واشترطوا لاتمام هذا الزواج ان يتخلى العادل عن الاسلام(٤٧٥) وهذا ضرب من المحال.

إنتهت المواجهات بين الجانبين الإسلامي والصليبي بعقد هدنة لمدة ثلاث سنوات وثلاثة اشهر في (٢١شعبان ٥٨٨هـ/ ١ ايلول ١١٩٢م) وقد اصطلح على تسميتها بصلح الرملة(٤٧٦)، حيث تم الاتفاق فيها على ان تبقى المدن التي سيطر عليها الصليبيون ضمن سيادتهم، وان تترك مدينة عسقلان خراباً، وان تكون للمسيحيين حرية الزيارة الى بيت المقدس(٤٧٧) للقيام بشعائرهم الدينية، وبهذه الهدنة انتهت احداث الحملة الصليبية الثالثة وعاد ريتشارد الى إنكلترا في (٩تشرين الأول ١١٩٢م) (٤٧٨) دون ان يتمكن من تحقيق هدف الحملة الصليبية الثالثة وهو استرداد بيت المقدس.

---

(٤٧٣) سيرة صلاح الدين، ص٣٣٦.

(٤٧٤) المصدر نفسه، ص٢٣٧.

(٤٧٥) الحموي: التاريخ المنصوري، نشر بطرس غريازنيويج، معهد الشعوب الآسيوية، موسكو، ١٩٦٣، ص٣٠٨.

(٤٧٦) زينب عبد القوي: الانكليز والحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة،١٩٩٦، ص١٣٦.

(٤٧٧) ميخائيل السرياني، تاريخ،ج٣،ص٣٧٦" ابن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٢٤" تاريخ مختصر الدول، ص٢٢٣" قارن مع الاصفهاني: الفتح القسي، ص٣١٦" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص٤٠٤.

(٤٧٨) مؤلف مجهول: ريتشارد وصلاح الدين،ج٢،ص٢٨٠"

Stevenson: the crusaders, p.287

الفصل الرابع
الأيوبيون بعد وفاة صلاح الدين حتى نهاية حكمهم

المبحث الأول: عهد الملك العادل ودوره في توحيد الملوك الأيوبيين.

١- موقف الزنكيين من الدولة الأيوبية إثر وفاة صلاح الدين.

دخلت العلاقات الأيوبية الزنكية مرحلة مغايرة بعد وفاة صلاح الدين (٥٨٩هـ/١١٩٣م) تمثلت بما أقدم عليه عزالدين مسعود (ت٥٨٩هـ/١٩٣م) صاحب الموصل من محاولة عسكرية لاستعادة ما كان للزنكيين من سلطة في بلاد الشام ظناً منه أن وفاة صلاح الدين قد يولد فراغاً سياسياً في الدولة الأيوبية وهذا سيمكنه من تحقيق مكاسب مهمة على المستوى العسكري والسياسي في المنطقة.

تمثلت التحركات الزنكية في هذا الاتجاه بتلك المحاولة التي قام بها عزالدين مسعود في إقامة تحالف عسكري ضد أملاك الأيوبيين في حرّان والرّها على وجه الخصوص[٤٧٩]، لقد استقطب هذا التحالف اهتمام المؤرخين السريان وفي مقدمتهم ميخائيل السرياني الذي اشار إلى ان " صاحب الموصل مع أخويه الذين في سنجار والجزيرة[٤٨٠] وانضم اليهم صاحب ماردين "[٤٨١] الا انه _اي ميخائيل السرياني _ لايوضح ماهية الاسباب التي

---

(٤٧٩) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٤٧٨.

(٤٨٠) يبدو أن ميخائيل السرياني لم يكن على دراية كافية بالخارطة السياسية لمنطقة الصراع تلك حيث انه اخطأ عندما اعتقد أن صاحب الجزيرة _ اي جزيرة ابن عمر _ هو عزالدين مسعود بن مودود صاحب الموصل والواقع انه لم يكن إلا سنجر شاه ابن سيف الدين غازي اخو عز الدين مسعود.

(٤٨١) تاريخ، ج٣، ص٣٧٩.

دفعت صاحب الموصل على الاقدام إلى اقامة هذا التحالف[482]، وعلى النقيض منه فان كلا من الرهاوي المجهول وابن العبري يربطان وبصورة مباشرة بين ماقام به عزالدين مسعود من عمليات عسكرية ووفاة صلاح الدين[483] "ومن جهة أخرى فان ميخائيل السرياني يرى ان ما كان قد خطط له من تفاهمات عسكرية لم يتحقق ويعزو ذلك إلى المرض المفاجئ الذي انتاب عزالدين مسعود[484] الرجل الاقوى في التحالف الأمر الذي حال دون اتمام العمليات العسكرية، وكان سببا في انفصام التحالف فاضطرت الأطراف المتحالفة إلى الدخول في الصلح مع الملك العادل[485].

أما رواية الرهاوي المجهول فهي مشابهة إلى حد بعيد لما قدمه ابن العبري ما خلا ما عرضه من تفاصيل عن تحرك المتحالفين وانهم "جاؤوا إلى تل موزلت[486] المجاور لرشعينا[487]، وهم يخافون خوض المعركة او الاقتراب من حران"[488] ولمجابهة الموقف

(٤٨٢) يقدم ابن الأثير رواية مفصلة عن ما دار من حوار بين أخيه مجد الدين أبو السعادات (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) و عز الدين مسعود على اثر وفاة صلاح الدين حول كيفية استغلال ذلك لصالح البيت الزنكي، ويبدو ان مجد الدين هذا هو صاحب فكرة إقامة تحالف عسكري وبسرعة ضد مصالح الأيوبيين في المنطقة. للمزيد ينظر: الكامل، ج٩، ص ص ٤٧٨-٤٧٩.

(٤٨٣) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٣١" تاريخ الزمان، ص٢٢٨.

(٤٨٤) تاريخ، ج٣، ص٣٧٩.

(٤٨٥) عن ذلك الصلح ينظر: أبو شامة: الروضتين، مج٢، ج٤، ص ٢٤٣" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص١٩.

(٤٨٦) هكذا وردت عند الرهاوي وهي تل موزن كما جاءت عند كل من ابن الأثير وأبو شامة، وهي بلدة بين راس عين وسروج بينهما عشرة اميال (حوالي ٢٠كم). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٥.

(٤٨٧) وهي رأس عين وعند الكورد تسمى (سەروكانى) من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين ودنيسر بينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخاً (حوالي٩٠ كم) وهي إلى دنيسر أقرب بينهما عشرة فراسخ (حوالي ٦٠ كم). ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٤

(٤٨٨) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٣١.

العسكري يبدو ان الاستعدادت الأيوبية كانت على درجة عالية في العدد والعدة لمواجهة التحالف الزنكي، وان ما يؤكد ذلك رواية لابن العبري في معرض حديثه عن تلك الاحداث، يشير فيها الى ان القوات الأيوبية في مصر ودمشق وحمص وحماه وحلب اتحدت تحت قيادة الملك العادل[489] وهذا بحد ذاته اشارة واضحة إلى ان المواجهة كانت مصيرية بالنسبة للملوك الأيوبيين الذين لم يتوانوا في حشد كل طاقاتهم العسكرية للوقوف بوجه التحدي الجديد المتمثل بالتحالف الزنكي

مهما يكن من امر، فان توجهات الزنكيين بزعامة عزالدين مسعود صاحب الموصل ضد الأيوبيين لم تسفر عن اي مكاسب عسكرية، حيث ان المنية عاجلته في (٢٩شعبان٥٨٩هـ/٣٠ آب١١٩٣م)[490]، وخسر الزنكيون كلا من الرقة وسروج اللتين كانتا تحت سلطة صاحب سنجار[491]

تأرجحت التوجهات الزنكية في عهد نور الدين ارسلان شاه (٥٨٩ـ ٦٠٧هـ/١١٩٣ـ ١٢١١م) مع سلطة الدولة الأيوبية ما بين التعاون حيناً والعداوة حيناً آخر" حتى تم عقد الصلح بين الطرفين سنة (٦٠٦هـ/١٢١٠م). ففي عام (٥٩٥هـ/١١٩٥م) وخلال حصار الملك العادل لماردين[492] كانت تحركاته العسكرية تلك قد اقلقت امراء ال زنكي، نستدل على ذلك من رواية لابن العبري ان صاحب الموصل وصاحب سنجار وحاكم جزيرة ابن عمر اتفقوا على منع الملك العادل من السيطرة على ماردين ولسان حالهم يقول: " اذا احتل اصحاب العادل ماردين احتلوا معها كل بلادنا"[493]، يبدو أن الفرصة جاءت سانحة لنور الدين ارسلان شاه عندما اضطر العادل إلى الانسحاب ببعض قواته نحو دمشق بسبب المستجدات التي طرأت

---

(٤٨٩) تاريخ الزمان، ص٢٢٨" قارن مع ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص ١٨.

(٤٩٠) ابن الأثير: الباهر، ص١٨٦.

(٤٩١) الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٣٢" أبو شامة الروضتين، مج٢، ج٤، ص٢٤٢.

(٤٩٢) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٥١٦" الحموي: التاريخ المنصوري، ص ٨.

(٤٩٣) تاريخ الزمان، ص٢٣١.

على الساحة السياسية بوفاة الملك العزيز صاحب مصر، حيث تحالف كل من حاكم الموصل وصاحب سنجار وتوجها إلى ماردين لمنع سقوطها بيد الملك الكامل بن العادل، وبهذا الخصوص فان ما بين ايدينا من نصوص اوردها كل من الرهاوي المجهول وابن العبري تتفق على ان القوات الزنكية تمكنت من هزيمة الكامل واضطرته إلى فك الحصار والانسحاب إلى بلاد الشام(٤٩٤).

استمر الملك العادل في سياسته الرامية إلى مد سلطته إلى ماردين ففي (محرم٥٩٩هـ/١٢٠٣م) جهز جيشا بقيادة ابنه الملك الاشرف موسى الغرض منه محاصرة ماردين ثانية. وبهذا الخصوص فان المصادر الإسلامية تروي ان نور الدين ارسلان شاه دخل حليفا للملك العادل في تلك العمليات العسكرية(٤٩٥)، في حين انه لا الرهاوي ولا ابن العبري لم يتطرقا إلى مثل هذا التعاون بين الملك العادل وحاكم الموصل الزنكي، بل اكتفوا بالاشارة إلى حصار المدينة وما تم الاتفاق عليه بين الطرفين وفك الحصار(٤٩٦).

وما ان حلت سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٤م) حتى عاد النزاع بين الأيوبيين ونورالدين ارسلان شاه حاكم الموصل، وبقدر تعلق الامر بالمؤرخين السريان فان بين ايدينا روايتين عن تلك الاحداث الاولى: يقدمها الرهاوي المجهول حيث يشير فيها إلى سبب توتر العلاقة بين حاكم الموصل والأيوبيين، ويبين انه كان نتيجة ما جرى من خلاف بين حاكم الموصل وعمه قطب الدين محمد ابن زنكي صاحب سنجار عندما استنجد الاخير بالأيوبيين(٤٩٧) الذين على ما يبدو وجدوا في ذلك فرصة سانحة للتوسع على حساب املاك نورالدين اما ابن العبري فيسعى إلى تقديم تفسيرات مختلفة في كتابه تاريخ الزمان عما رواه الرهاوي حيث يقول: ان الملك العادل وبحنكته السياسية تمكن من زرع

---

(٤٩٤) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٣٦" تاريخ الزمان، ص٢٣١.

(٤٩٥) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٥٤٠" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص١٣٨" الغساني: العسجد المسبوك، تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث الاسلامي، بيروت،١٩٧٥، ص ٢٧٥.

(٤٩٦) تاريخ الرهاوي،ج٢،ص ٢٤١" تاريخ الزمان، ص ٢٣٤.

(٤٩٧) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٤٤- ٢٤٥.

الخلاف بين صاحب الموصل وحاكم سنجار ونتيجة لذلك طلب الاخير العون من الملك العادل[٤٩٨]، وبالرجوع إلى المصادر الإسلامية اهتدينا إلى رواية لابن الاثير وهي افضل الروايات الإسلامية لكون صاحبها عاش تلك الاحداث عن قرب يقول فيها: "ارسل العادل إلى قطب الدين واستماله فمال اليه وخطب له"[٤٩٩] يستدل من رواية ابن الاثير السالفة ان ما ذهب اليه ابن العبري هو الاقرب إلى واقع الحال

من الواضح أن الأيوبيين ممثلين بالملك الاشرف موسى الذي ندبه والده لمواجهة تلك المستجدات، كان قد اعد العدة لمواجهة نورالدين، وذلك باقامة تكتل عسكري فمن خلال رواية كل من الرهاوي وابن العبري، اللذين اشارى الى ان الملك الاشرف اتفق مع كل من الملك الاوحد الايوبي صاحب ميافارقين ومظفر الدين كوكبوري حاكم اربل وقطب الدين محمد صاحب سنجار وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب دارا[٥٠٠]، حيث كان هدف هذا التكتل هو مساعدة صاحب سنجار ضد حاكم الموصل[٥٠١]. اما فيما يتعلق بالمواجهات العسكرية بين الجانبيين فان كلا من المؤرخين السريانيين السالفين يتفقان على ان حاكم الموصل هزم في تلك المواجهات، إلا ان الرهاوي ينفرد برواية مفادها ان سبب الهزيمة كان نتيجة "هبوب الريح الممتزجة بأتربة تلك الأرض"[٥٠٢] تجاه قوات الموصل ادت بالنتيجة إلى هزيمتهم، هذا ما لم يشر اليه ابن العبري ولا المصادر الإسلامية المتاحة[٥٠٣]، ولا نعلم بالضبط من اين استقى الرهاوي معلوماته تلك. اياً كانت الاسباب فان نورالدين ارسلان شاه خسر تلك المعركة ومن المرجح ان

---

(٤٩٨) تاريخ الزمان، ص ٢٤٢.

(٤٩٩) الكامل، ج٩، ص ٥٥٠.

(٥٠٠) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٤٥" تاريخ الزمان، ص٢٤٢.

(٥٠١) ابن الأثير: الكامل،ج٩، ص ٥٥١.

(٥٠٢) تاريخ الرهاوي،ج٢،ص ٢٤٥.

(٥٠٣) ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٥٤٠" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص ١٩١: ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٢٤٢" الغساني: العسجد المسبوك، ص٢٧٥"

الفارق العددي بين قوات التحالف الرباعي السالف وقوات الموصل كان له دورٌ في حسم المعركة لصالح الملك الاشرف موسى بعقده صلحاً مع حاكم الموصل وذلك في (ذي الحجة ٦٠٠هـ /تموز ١٢٠٤م) [٥٠٤]

يبدو أن الخلافات بين امراء آل زنكي كانت قد بلغت مبلغا ادت بنورالدين ارسلان شاه حاكم الموصل إلى إبرام تحالف عسكري مع الملك العادل سنة (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) كان الهدف منه الحصول على مكاسب جديدة تمكنه من الحصول على جزيرة ابن عمر على ان يترك سنجار للملك العادل[٥٠٥]، حيث توجه بزواج سياسي لتقوية اواصر ذلك التحالف نستدل على ذلك من رواية ابن العبري حيث يقول: " وزف نورالدين ابنته إلى احد ابناء العادل "[٥٠٦] في حين لم يشر الرهاوي المجهول البته إلى هذا الزواج ولم ينوه اطلاقا إلى هذا التحالف[٥٠٧] حيث جاءت روايته مختصرة بخلاف ابن العبري الذي قدم صياغة اكثر تفصيلا اشار فيها الى أن صاحب الموصل ندم على تحالفه لكنه لم يتمكن من اظهار ذلك خوفا من العادل وفي تلك الاثناء ظهر على الساحة السياسية مظفر الدين كوكبوري وقدم استعداده للتحالف مع نورالدين ضد العادل الامر الذي لاقى قبولا من نورالدين وللضغط على العادل اتصل المتحالفان بالملك الظاهر غازي صاحب حلب لدخول التحالف[٥٠٨]، وامام تلك المستجدات يبدو ان العادل أدرك صعوبة موقفه العسكري الذي بات فيه، لذلك مال إلى الصلح وعاد إلى بلاد الشام[٥٠٩] الا انه يرد عند الرهاوي المجهول تفسير آخر لقبول العادل بالصلح وهو

---

(٥٠٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ٥١٨.

(٥٠٥) ابن الأثير: الكامل،ج٩، ص ٥٤٠" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص١٩١" الحنبلي: شفاء القلوب، ص٢١٩.

(٥٠٦) تاريخ الزمان، ص ٢٤٨" قارن مع ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٦٢٢.

(٥٠٧) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٤٥.

(٥٠٨) تاريخ الزمان، ص ٢٤٨.

(٥٠٩) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٦٢٤" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص ١٩٢.

سقوط ثلوج غزيرة مصحوبة ببرد شديد اثرت سلباً في الموقف العسكري لقوات العادل(٥١٠)، وعلى الرغم من عدم وقوفنا على اي رواية تؤكد قول الرهاوي لكننا لانستبعد ذلك ولاسيما أن تلك الاحداث دارت في شهر (رمضان٦٠٦هـ /شباط١٢١٠م) وهو فصل تساقط الثلوج في بلاد الجزيرة وسنجار.

٢ـ الصراعات الأيوبية- الأيوبية

لم يمتد الاجل طويلا بصلاح الدين بعد صلح الرملة حيث ان الحروب المستمرة ضد الصليبيين طيلة العقدين الاخيرين من حياته كانت قد انهكته، اذ توفي بدمشق في (٢٧صفر٥٨٩هـ/٤اذار١١٩٣م)(٥١١)، وبوفاته ترك ورائه فراغا سياسيا في قمة السلطة الأيوبية لم يتمكن احد من افراد الاسرة الأيوبية ان يملأه حينذاك(٥١٢)، ونجم عن وفاة صلاح الدين وغياب رأس السلطة الذي كان قد امسك تماما بزمام الدولة صراع بين ابنائه على إثر ذلك التقسيم الاداري الذي كان صلاح الدين قد عمد اليه في حياته والذي يعد السبب المباشر في بروز تلك الصراعات يحركها حب السلطة، فضلا عن المنافسة المستميتة بين الملوك الأيوبيين لتوسيع ممتلكاتهم، وفي الحقيقة انه بعد وفاة صلاح الدين لم يكن التاريخ الايوبي سوى قصة حفلت بالمؤامرات والصراعات بين افراد هذه الاسرة على الرغم من تصديهم للحملات الصليبية اللاحقة.

وفيما يتعلق بالتقسيمات الادارية للدولة الأيوبية، فقد شغلت جزءا لابأس به من اهتمام المؤرخين السريان حيث قدموا لنا عرضا مفصلا عن الترتيبات الادارية التي

---

(٥١٠) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٤٩.

(٥١١) ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٣، ص ٣٧٩" الاصفهاني: الفتح القسي،ص ٣٢٦" ابن شداد: سيرة صلاح الدين، ص ٤٢٢.

(٥١٢) عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت،١٩٧٢، ص ٦١.

عمد اليها صلاح الدين قبل وفاته[(٥١٣)] ولاسيما مراكز السلطة الثلاث مصر ودمشق وحلب ووفقا لذلك التقسيم، اصبح الافضل علي (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) وهو ابنه البكر حاكما على دمشق، في حين ولى ابنه الثاني الملك العزيز عثمان (ت٥٩٥هـ/١١٩٩م) على مصر، اما حلب فقد كانت من نصيب الملك الظاهر غازي (٦١٣هـ/١٢١٦م)[(٥١٤)] اما اخاه الملك العادل (ت٦١٥هـ/١٢١٨م) ففي بادئ الامر جعله مدبرا للسلطة في مصر[(٥١٥)] اما فيما بعد فقد اعطاه بعض المدن الاقل شأناً كحران والرها والكرك والشوبك، ان ما تجدر الاشارة اليه هنا هو ان ميخائيل السرياني اشار في رواية له ان صلاح الدين كان قد منح لقب السلطان لأخيه العادل[(٥١٦)]، وفي الحقيقة لم نجد احداً من المؤرخين السريان ولا المسلمين تحدث بشئ عن هذا القبيل لان الملك العادل لم يلقب بسلطان الا بعد سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) بعد ان تمكن من السيطرة على زمام السلطة الأيوبية

ترتب على هذا التقسيم ان ظهرت على الساحة السياسية في كل من مصر وبلاد الشام نزاعات بين الملوك الاخوة، حيث ان مرحلة الوئام لم تستمر طويلا بينهم، فما ان حلت سنة (٥٩٠هـ/١١٩٤م) حتى بدأ الصراع السياسي بين مصر والشام وبقدر تعلق الامر بما دونه المؤرخون السريان عن تلك النزاعات، فلدينا معالجتان مهمتان قدمها كل من الرهاوي المجهول وابن العبري من خلال كتابه تاريخ الزمان[(٥١٧)]، في حين ان

---

(٥١٣) تعود تلك التقسيمات إلى عام (٥٨٣هـ/٢٢٨٦م). للمزيد ينظر ميخائيل السرياني: تاريخ، ج٣، ص ٣٧٩" الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٢٦.

(٥١٤) المصدر نفسه والصفحة.

(٥١٥) المصدر نفسه والصفحة.

(٥١٦) تاريخ، ج٣، ص ٣٧٩.

(٥١٧) دون ابن العبري هذه الاحداث في تاريخه السرياني، اما فيما يتعلق بكتابه الآخر تاريخ مختصر الدول فان اخبار بني ايوب تنقطع بعد وفاة صلاح الدين حتى سنة (٥٩٢هـ/١١٩٥م) حيث يعود ليدون احداث الحملة الثالة للملك العزيز على دمشق.

ميخائيل السرياني لم يقدم سوى رواية عابرة أشار فيها الى ان "الملك العزيز سلطان مصر توجه إلى محاربة أخيه فجاء صاحب الرها﴿ الملك العادل﴾ فصالح بينهما "[٥١٨] هكذا دون اي تفاصيل اخرى، ان ما تجدر الاشارة اليه هنا هو ان ميخائيل السرياني وبهذه الرواية انهى تدوينه لتاريخ بني ايوب.

ان افضل عرض لمجريات الاحداث التي تمخضت عن الصراع بين الافضل والعزيز هو ما قدمه كل من الرهاوي وابن العبري كما اسلفنا، حيث يروي الاخير انه في سنة (٥٩٠هـ/١١٩٤م) أقبل صاحب مصر نحو دمشق لينتزعها من أخيه الملك الافضل[٥١٩]، هكذا دون ان يقدم لنا اي تفسير مقنع عن سبب تدهور العلاقة بين الاخوين ولم يمض على وفاة والدهما سوى عام واحد، اما الرهاوي ومن خلال معالجته للموضوع ذاته فانه يشير إلى ان العزيز كان " يطالب بإعلانه ملكا "[٥٢٠]. ونستدل من كلام الرهاوي ان الصراع كان من اجل السلطة، وإذا ما قارنا ذلك مع ما ورد في المصادر الإسلامية المعاصرة لتلك الاحداث لوجدنا أنَّ ثمة سوء تصرف من قبل الملك الأفضل نور الدين في ادارة دمشق، فضلا عن انتهاجه سياسة سيئة تجاه كبار أمراء صلاح الدين، الامر الذي دفعهم إلى مغادرة دمشق والتوجه صوب القاهرة، كذلك فقد كان الافضل قد استوزر ضياء الدين ابن الاثير[٥٢١]، تلك الشخصية التي تحمِّلها المصادر الإسلامية مسؤولية تدهور الأوضاع السياسية في دمشق[٥٢٢]

---

(٥١٨) تاريخ ، ج٣، ص ٣٨٠.

(٥١٩) تاريخ الزمان، ص ٢٢٨.

(٥٢٠) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٣٢.

(٥٢١) ضياء الدين ابن الأثير: هو نصرالله بن عبد الكريم الجزري اديب من الموصل وهو احد ثلاث اخوة عرفوا بابناء الأثير الاول مجد الدين (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م) الذي اشتهر بعلوم الحديث، والثاني عز الدين (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) المؤرخ المشهور صاحب كتاب الكامل في التاريخ. اشتهر ضياء الدين باسلوبه الجيد في الادب والكتابة الامر الذي اهله لخدمة الملوك الأيوبيين، من مؤلفاته (المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر) توفي في بغداد سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) للمزيد ينظر: السيوطي: بغية

وحيال القول بسوء سياسة الافضل ومغادرة عدد من الامراء دمشق فلم ينوه كل من ميخائيل السرياني ولا الرهاوي إلى دور ضياء الدين ابن الاثير في سوء تدبير مملكة الافضل، وهذا بحد ذاته اشارة واضحة إلى ان المؤرخين السريان لم يهتموا باسباب تلك النزاعات والخوض في فاصيلها كاهتمامهم بالصراعات العسكرية التي كانت ذات تأثير بصورة او باخرى على حياة المسيحين السريان من أهل بلاد الشام الذين كانوا تحت الحكم الايوبي

اما بخصوص ابن العبري، فالحال مختلفة حيث ان عدم ورود اي اشارة لديه عن سوء تصرف ضياء الدين ابن الاثير يرجع إلى كونه استقى معلوماته من رواية عزالدين ابن الاثير(٥٢٣) اخو ضياء الدين والذي كان حاضرا في دمشق انذاك ربما لزيارة اخيه وليس من المعقول ان يقوم المؤرخ ابن الاثير بذكر اخيه بسوء او التشهير به. وهذا هو ربما السبب في خلو رواية ابن العبري من اي اشارة إلى ما تناقلته المصادر الإسلامية حول دور ضياء الدين السلبي في سياسة الملك الافضل

ولمواجهة هذه المستجدات على الساحة السياسية يروي الرهاوي ان الافضل استنجد بعمه الملك العادل لتدارك الموقف(٥٢٤)، ومن الواضح ان الاخير لم يكن راضيا عن نصيبه من الارث الصلاحي كما لم يشأ ان يتعجل الاحداث عقب وفاة اخيه باعادة توحيد الدولة الأيوبية وهو الهدف الذي وضعه نصب عينيه، لذلك اتجه بتمهل إلى تحقيق هذا الهدف، واخذ يتصرف بأناة ريثما تتضح الامور، وفعلا اتته الفرصة باستغاثة الافضل فاستجاب لنداء الاخير وليس ادل على ذلك الا ما قدمه ابن العبري عن دور الملك العادل في اصلاح الامور واحلال السلام وما ترتب عليه من اعادة

الوعاة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة،١٩٧٢، ج٢، ص ٣١٥" عباس القمي: الكنى والالقاب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩، ج١، ص ٢٠٨.

(٥٢٢) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص١٠" الداوداري: كنز الدرر، ج٧، ص١٢٤.

(٥٢٣) ينظر ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٤٨٥" قارن مع البن العبري: تاريخ الزمان، ص٢٢٩.

(٥٢٤) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٣٢.

ترتيب بعض الاملاك الأيوبية[٥٢٥]، وكنتيجة حتمية لدور العادل في فض النزاع فقد حاز على مكانة مرموقة بحيث اصبح الأهم بين أفراد الاسرة الأيوبية

لم يلبث أن عاد الصراع ثانية بين دمشق والقاهرة ففي سنة (٥٩١هـ/١١٩٤م) تهيأ الملك العزيز مرة اخرى لقتال اخيه الافضل اما عن سبب تجدد الصراع بين الاخوين فلم يسعفنا المؤرخون السريان بأي معلومات تميط اللثام عمّا كان وراء توجهات الملك العزيز المنشودة تجاه اخيه هذه المرة، لكنه وبالاعتماد على المصادر الإسلامية المعاصرة والقريبة من تلك الاحداث فانها تشير مرة اخرى باصبع الاتهام إلى ضياء الدين ابن الاثير وزير الافضل الذي لم يتوانَ عن الايقاع بين الافضل وأخيه الملك العزيز في اكثر من مناسبة[٥٢٦]، وبهذا الخصوص نحن لا نستبعد ان يكون ذلك من تدبير الزنكين للايقاع بين دمشق والقاهرة بهدف اضعاف الجبهة الأيوبية التي كانت متحدة حتى وفاة صلاح الدين الامر الذي سيخدم مصالح الزنكيين وتطلعاتهم لاسترجاع ما كان لهم من مكانة في المنطقة معتمدين في ذلك على اثنين من ابناء الاثير، ان ما يدفعنا إلى هذا الاعتقاد أمران: الاول هو تواجد عزالدين ابن الاثير في دمشق في سنة (٥٩٠هـ/١١٩٤م) قبيل تدهور الاوضاع بين الافضل والعزيز حيث كان قد قدم لزيارة اخيه ضياء الدين، اما الامر الثاني فهو دور ضياء الدين ابن الاثير في تدهور العلاقة بين دمشق والقاهرة حيث كان السبب المباشر في نشوب النزاع بين ابني صلاح الدين الافضل واخيه العزيز[٥٢٧]

---

(٥٢٥) تاريخ الزمان، ص٢٢٩.

(٥٢٦) أبو شامة: الروضتين، مج٢، ج٤، ص ص٢٤٥-٢٤٦" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص ٤١" المقريزي: السلوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٥٧،، ج١، ق١، ص ١٢٦.

(٥٢٧) هذا ما يؤكده الأصفهاني في رسالة العتبى والعقبى. ينظر أبو شامة: الروضتين، مج٢، ج٤، ص ٢٤٥.

أياً كانت الاسباب فانه يبدو ان الرهاوي المجهول قد التبست عليه احداث عام (٥٩١هـ/١١٩٥م) وما تلاها من نزاعات حيث انه يورد خلال عرضه لتلك الاحداث ان العادل "جاء وبلغ دمشق واخذها من ابن اخيه الافضل واعطاه بصرى وسلخت[٥٢٨]"[٥٢٩] ان ما اورده الرهاوي من معلومات فيه خلط واضح للاحداث فالثابت ان الملك العادل لم يستولِ على دمشق الا خلال الحملة الثالثة للعزيز عليها في عام (٥٩٢هـ/١١٩٦م)[٥٣٠]

أما ابن العبري فقد سرد الاحداث معتمدا بالدرجة الاساس على ابن الاثير مختصرا رواياته بشكل كبير الامر الذي اخلّ بالمعنى والمفهوم[٥٣١]، وفي خضم سرده للاحداث لاسيما بعد ان فشل العزيز مرة اخرى في السيطرة على دمشق وعاد ادراجه إلى مصر، يقول ابن العبري ان الملك العادل لم يكن راغبا في سيطرة الأفضل على مقاليد السلطة في مصر بعد ان مني العزيز بالهزيمة، بل على العكس من ذلك فقد "استمهل الافضل وعقد الصلح ﴿ مع العزيز ﴾ ... واقام العادل في مصر"[٥٣٢] اذا ما قارنا رواية ابن العبري هذه مع ما اورده ابو شامة في رواية مطولة عن الاحداث ذاتها يتبين لنا من

---

(٥٢٨) سلخت: هكذا ورد عند الرهاوي المجهول وهي مدينة صرخد

(٥٢٩) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٣٣

(٥٣٠) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٤٩٥" أبو شامة: ذيل الروضتين، ص٩" الحنبلي: شفاء القلوب، ص ٢٤٢" الساحلي: التوجهات السياسية للدولة الأيوبية، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٩، ص٩٢.

(٥٣١) على سبيل المثال لا الحصر يقول ابن العبري "وأرسلوا إلى الملك العادل والافضل يقولون هلمَّ إلينا نسلمكما إياه" تاريخ الزمان، ص٢٢٩ هكذا دون ان يفصح لنا عن من هم الذين ارسلوا او من يسلمون؟ وواقع الامر ان الملك العادل كان قد استمال بعض قادة الملك العزيز سراً والمقصود ان هؤلاء القادة اتصلو بالعادل وابدو استعدادهم لتسليم العزيز. ينظر أبو شامة: الروضتين، مج٢، ج٤، ص ٢٤٩.

(٥٣٢) تاريخ الزمان، ص ٢٢٩

قوله ان العادل لم يكن راضيا عن توجهات الملك الافضل السياسية ولا عن وزيره ضياء الدين[٥٣٣] هكذا يظهر لنا ان عدم ثقة الملك العادل في ابن اخيه الافضل لاسيما وان الاخير لم يكن بالرجل المناسب ليقود زمام السياسة الأيوبية، كان السبب المباشر في التغير المفاجئ في سياسة العادل تجاه الافضل والذي سيظهر جلياً خلال عام (٥٩٢هـ/١١٩٦م) .

ووفقا للتبدل الذي طرأ على سياسة العادل تجاه الافضل وقناعته بأن الاخير ليس مؤهلاً للحكم اخذ يعد العدة لعزله، نستدل على هذا من كلام الرهاوي المجهول حيث يقدم رواية مفادها ان العادل والعزيز اتفقا على اخذ دمشق وباقي املاك الافضل على ان يكون العادل حاكما على دمشق مقابل اعترافه بسلطة الملك العزيز[٥٣٤] ولم يكن العادل بالرجل الذي يفوت مثل هذه الفرصة ولاسيما وانه ومنذ الوهلة الاولى أخذ يمهد الطريق بحنكته السياسية للسيطرة على زمام الدولة الأيوبية وتوحيدها تحت سلطته، لهذا ووفق رواية ابن العبري " برز العادل والملك العزيز ﴿في سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م﴾ واقبلا إلى دمشق لينتزعاها من الملك الافضل "[٥٣٥]

أما فيما يتعلق بكيفية الاستيلاء على دمشق فتستوقفنا مقولة ابن العبري ان"عزالدين الحمصي[٥٣٦] حارس الباب الشرقي انتقض على الافضل وأدخل العادل إلى دمشق"[٥٣٧]، هذا ما لم يشر اليه الرهاوي في معالجته لتلك الاحداث، مهما يكن من امر فانه يبدو ومن خلال ما سبق ان العادل لم يكن يريد مواجهات

---

(٥٣٣) الروضتين، مج٢، ج٤، ص ٢٤٩

(٥٣٤) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٣٣" قارن مع ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٤٩٦

(٥٣٥) تاريخ الزمان، ص٢٢٩

(٥٣٦) اسمه عز الدين بن غالب الحمصي من امراء الافضل في دمشق كان قد انيطت به مهمة حماية احد أبواب دمشق الا انه اتفق مع العادل على فتحه.للمزيد من التفاصيل ينظر ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٤٩٦

(٥٣٧) تاريخ الزمان، ص٢٣١" تاريخ مختصر الدول، ص ٢٢٤

عسكرية بل فضل التدابير السياسية حيث كان قد استمال الامير المذكور إلى جانبه، الامر الذي جنبه الدخول في مواجهات عسكرية وقد اسفرت هذه الاحداث عن سيطرة الملك العزيز والعادل على دمشق في (شعبان٥٩٢هـ/حزيران١١٩٦م) حيث تم الاتفاق على ان يتولى الملك العادل حكم دمشق كنائب عن العزيز، على ان تكون الخطة والسكه باسم الاخير(٥٣٨)

لقد استتب الهدوء السياسي نسبيا بين الامراء الأيوبيين في كل من مصر وبلاد الشام إلا انه لم يستمر طويلا، فبوفاة الملك العزيز صاحب مصر الذي جاء مفاجئا في سنة (٥٩٥هـ/١١٩٩م) على اثر سقوطه من على ظهر جواده وهو يتصيد(٥٣٩) تبدأ مرحلة جديدة من الصراعات بين الملك العادل وابن اخيه الملك الافضل، فقد تركت وفاة الملك العزيز فراغا سياسياً وادارياً في مصر، في الوقت الذي لم يكن هنا من يملأه لاسيما وان ولده المنصور محمد كان لايزال صبيا في العاشرة من عمره.

وعن تلك المستجدات يقدم لنا الرهاوي المجهول رواية مفادها أن امراء الملك العزيز "أخذوا الملك الأفضل وأقاموه ملكاً على مصر"(٥٤٠)، أما ابن العبري فيشير في معرض رواية انه حصل خلاف بين الاقطاب حول الشخص الذي سيتولى ادارة البلاد وصياً على الصبي(٥٤١)، وبعد الرجوع إلى المصادر الإسلامية تبين لنا ان المقصود بالاقطاب في مدونة ابن العبري ما هم إلا الأمراء الاسدية(٥٤٢) والصلاحية(٥٤٣)،

---

(٥٣٨) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص ٩٦.

(٥٣٩) ابن خلكان: وفيات الاعيان، ج٣، ص٢٢٠" الذهبي: العبر، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٣، ص ١١.

(٥٤٠) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٣٤

(٥٤١) تاريخ الزمان، ص٢٣١

(٥٤٢) الأسدية: وهم فرقة من فرسان المماليك اسد الدين شيركو-عم صلاح الدين- معظمهم من التركمان كان أسد الدين قد ألّف منهم قوة عسكرية خاصة به. للمزيد ينظر: كب: دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، ١٩٧٤، ص٩٧

حيث مالت الاسدية إلى الملك الأفضل، في حين ان الامراء الصلاحية كانوا يرون في الملك العادل الرجل الانسب[٥٤٤]، ايا كانت الرؤى والاتجاهات فان الملك الافضل تمكن من الوصول إلى القاهرة في (ربيع الاول٥٩٥هـ/١١٩٩م) وتسلم مقاليد السلطة اتابكاً[٥٤٥] للملك المنصور[٥٤٦]

يبدو ان سير الاحداث لصالح الملك الافضل اغرته للقيام بعمل عسكري ضد دمشق املا في استرجاعها، وهنا يرى الرهاوي ان الافضل " تصرف تصرفا اخرق لانه خرج فورا من مصر... ليستولي على دمشق "[٥٤٧] ولو تأملنا وصف الرهاوي لما قام به الملك الافضل لوجدناه الوصف الاكثر دقة لحال الاخير حيث انه لم يمض على سلطته في مصر سوى شهر واحد وهو بذلك يكون بأمس الحاجة إلى دعم سلطته باستخدام السبل الدبلوماسية الكفيلة بذلك، ان هذا ان دل على شئ فانما يدل على افتقار الافضل للدبلوماسية ولاسيما مع عمه العادل الذي لن يرضى البته عن اي مساس بممتلكاته

إن ما يؤخذ على المؤرخين السريان في هذا الصدد هو عدم تدوينهم تواريخ دقيقة لتحركات الافضل حتى يتسنى لنا الوقوف على مجريات الاحداث بدقة، لكنه

---

(٥٤٣) الصلاحية: وتسمى ايضاً بالناصرية، وهم قوة عسكرية كان صلاح الدين قد نضمها بعد وفاة عمه أسد الين وأسند قيادتها الى الأمير ابي الهيجاء. للمزيد ينظر: كب: دراسات، ص٩٨

(٥٤٤) أبو شامة: الروضتين، مج٢، ج٤، ص٢٦١" الساحلي: التوجهات السياسية، ص٩٥.

(٥٤٥) أتابك: اصل اللفظة تركي وهي مكونة من مقطعين (أتا) بمعنى أب و (بك) بمعنى امير فيكون المعنى أبو الأمراء، وهي تعود إلى عصر سلاطين السلاجقة منذ عصر ملكشاه بن الب ارسلان (ت ٤٦٥-٤٨٥هـ/١٠٧٢-١٠٩٢م)حيث كانوا يطلقون لفظة اتابك على كبير امرائهم من ويولونه الوصاية والرعاية من بعدهم على سلطان او امير صغير. القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٧، ج٤، ص١١٨" دوزي: تكملة المعاجم العربية، ترجمة سليم النعيمي، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨، ج١، ص٨٠.

(٥٤٦) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص ٢٣٤

(٥٤٧) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٣٤

وبالرجوع إلى المصادر الإسلامية تبين لنا ان الافضل كان قد خرج من مصر في (منتصف جمادي الاول٥٩٥هـ/منتصف اذار١١٩٩م) غير انه تباطأ حوالي اربعة اشهر مقيما عند بركة الجب، على الطريق نحو بلاد الشام حيث وصل إلى دمشق في (١٣شعبان) من العام نفسه ولم يكن امام العادل الذي كان في ذلك الوقت محاصرا لماردين إلا ان يترك ولده الكامل هناك واسرع هو إلى دمشق لتدارك الموقف(٥٤٨)

لقد قدم الرهاوي المجهول العرض الأكثر تفصيلاً من خلال رواية مطولة عن تلك الاحداث نفهم منها ان الملك العادل وبما يتمتع به من حنكته السياسية وحسن تصرف فضلا عن قدوم الكامل لنجدته تمكن اخيرا من افشال محاولة الافضل، ويستطرد الرهاوي في الحديث بقوله ان الاخير فرّ صوب مصر(٥٤٩) ويبدو ان العادل استغل هذه الفرصة وطارد ابن اخيه حتى مشارف مصر، ويتفق كل من الرهاوي وابن العبري(٥٥٠) على أنَّ ثمة بعض المواجهات وقعت بين الجانبين بداية عام (٥٩٦هـ/١٢٠٠م) فشل فيها الافضل في الدفاع عن نفسه الامر الذي نجم عنه استسلام الافضل وعن ذلك يقدم ابن العبري رواية اكثر اسهاباً مستفيداً من المصادر الإسلامية والمدة الزمنية التي مرّت على الحدث عن ما تم بين الجانبين من اتفاقٍ تنازل الافضل بموجبه عن سلطة مصر مقابل بعض الاملاك الجديدة(٥٥١)، اما الرهاوي المجهول فانه لم يقدم لنا اي معلومات عن ذلك الاتفاق بل انفرد بقوله ان الملك الافضل " اخذ اهل بيته وفرّ الى بصرى" (٥٥٢).

وعن نتائج الاتفاق السالف الذكر وتداعياته على سلطة الدولة الأيوبية فإن كلاً من الرهاوي المجهول وابن العبري يتفقان على ان العادل تولى السلطة العليا للدولة

---

(٥٤٨) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٥١٣" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص٩٤.

(٥٤٩) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٣٤

(٥٥٠) المصدر نفسه، ج٢، ص ٢٣٣" تاريخ الزمان، ص٢٣٢

(٥٥١) تاريخ الزمان، ص٢٣٢

(٥٥٢) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٣٧.

الأيوبية[٥٥٣]، الا ان ابن العبري في كتابه تاريخ الزمان مستفيدا من المصادر الإسلامية التي دونت تلك الاحداث يشير إلى ان الملك العادل الغى خطبة الملك المنصور بن الملك العزيز وذلك سنة (٥٩٧هـ/١٢٠١م)[٥٥٤] ليعلن نفسه سلطاناً على الدولة الأيوبية" في حين ان المصادر الاسلامية تشير ان سلطة الملك العادل انما بدأت يوم الجمعة(٢١شوال ٥٩٦هـ/٤آب ١٢٠٠م) بإعلان الخطبة باسمه[٥٥٥]. يبدو ان تلك المستجدات لم تلق قبولاً من بعض امراء مصر نستدل على ذلك من كلام ابن العبري " فاستاء الأقطاب[٥٥٦] وكتبوا إلى الملك الأفضل في صرخد والملك الظاهر في حلب وقالوا لهما:هلما إلى دمشق واذا برز اليكما الملك العادل فنحن نعتقله وندفعه اليكما "[٥٥٧]، ويشير ابن العبري في الرواية ذاتها ان تلك الاخبار وصلت إلى العادل[٥٥٨] وكوسيلة احترازية ارسل الاخير إلى ولده الملك المعظم(ت ٦٢٤هـ/١٢٢٧م) حاكم دمشق بأن يقوم بحصار الافضل بصرخد لكن الاخير كان اسرع فهرب إلى حلب وهناك اتفق مع اخيه الملك الظاهر على مهاجمة دمشق. الا انهما لم يتمكنا من تحقيق اي مكاسب، وبخصوص فشل مساعي الاخوين العسكرية يورد الرهاوي ان " الملك العادل بالحيل والمكائد استطاع ان يفرق بين الاخوة"[٥٥٩]. في حين يقول ابن العبري أنَّ ثمة خلافاً وقع بين الاخوين على كيفية تقسيم الاملاك ان هم نجحا ادى ذلك إلى انفصام تحالفهما فاضطروا إلى طلب الصلح. يبدو ان

---

(٥٥٣) المصدر نفسه والصفحة" تاريخ الزمان، ص ٢٣٢.

(٥٥٤) ص ٢٣٢.

(٥٥٥) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص٥٢٣" ابن الساعي: الجامع المختصر، تحقيق مصطفى جواد المطبعة الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤،ج٩، ص٢٢" ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٢٤" ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص١٦٢

(٥٥٦) المقصود بهم هو الامراء الصلاحية في مصر. ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص ١١٧

(٥٥٧) تاريخ الزمان، ص٢٣٢

(٥٥٨) المصدر نفسه والصفحة" قارن مع ابن الأثير، ج٩، ص٥٢٦

(٥٥٩) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٤١

رواية ابن العبري هي الاقرب إلى واقع تلك الاحداث لكون معظم المصادر الإسلامية[٥٦٠] المعاصرة لتلك الاحداث تتفق معه. وايا كانت الرؤى فان هذه الاحداث اسفرت عن استقرار الملك العادل على رأس سلطة الأسرة الأيوبية في مصر وبلاد الشام.

٣- موقف الصليبيين من الصراعات الأيوبية وسلطة الملك العادل.

لقد ترتب على صلح الرملة (شعبان ٥٨٨هـ/آب ١١٩٢م) أن ساد الهدوء والسلام بين الأيوبيين والصليبيين، ولا يفوتنا هنا ان نشير إلى ان الأوضاع الداخلية لكلا الطرفين لم تكن تؤهلهما للإقدام على اي عمل عسكري. فالصراعات الاسرية الأيوبية دفعت الملك العزيز إلى تجديد الهدنة مع مملكة بيت المقدس في سنة(٥٩٢هـ/ ١١٩٦م)[٥٦١]، الا انه تعذّر تحقيق الاستقرار ودوام السلم بين الجانبين مدة طويلة فما ان حلّ عام (٥٩٣هـ/١١٩٧م) حتى باتت المواجهات العسكرية امرا لامفر منه.

ان أولى المواجهات العسكرية بين الأيوبيين والصليبيين بعد وفاة صلاح الدين تعود الى عام(٥٩٣هـ/١١٩٧م) وبقدر تعلق الامر بمدونات المؤرخين السريان فلدينا روايتان مختلفتان عن تلك المواجهات يقدمهما كل من الرهاوي المجهول وابن العبري

يستعرض الرهاوي روايته عن مواجهات عام (٥٩٣هـ/١١٩٧م) بشكل مبتور حيث يصف مباشرة هجوم الصليبيين على تبنين[٥٦٢]، دون الاشارة إلى ما سبق ذلك من عمليات عسكرية، ويعزو سبب تلك المواجهات إلى انتهاء امد الهدنة[٥٦٣]، واذا

---

(٥٦٠) ينظر على سبيل المثال: ابن الأثير: الكامل،ج٩، ص ٥٢٦" سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٤٨٠" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص١٢٥

(٥٦١) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٥٠٠.

(٥٦٢) تبنين: بلدة في جبال بني عامر المطلة على بانياس بين دمشق وصور. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٤

(٥٦٣) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٣٣" قارن مع سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ٤٥٣

ما قارنا ما جاء على لسان الرهاوي المجهول مع ما دونته المصادر الإسلامية، لوجدنا انَّ هناك تفسيراً مغايراً لسبب تلك العمليات العسكرية ضد الممتلكات الأيوبية، وهو ان حاكم بيروت ويعرف بعزالدين اسامة كان قد ضايق الصليبيين كثيراً، فاشتكى هؤلاء مرارا إلى العادل والملك العزيز[٥٦٤]، لكنهم ولسبب غير معروف لم يمنعا صاحب بيروت على الرغم من وجود هدنة بين الجانبين، هذا ما اجبر الصليبيين على طلب العون من الغرب الاوروبي لنجدتهم[٥٦٥]، واستجابة لذلك قام الامبراطور الالماني هنري السادس (٥٨٦ ـ٥٩٣هـ /١١٩٠ ـ١١٩٧م) بارسال قوات المانية لتدارك الموقف، وصلت هذه القوات إلى عكا في (٥٩٣هـ/١١٩٧م)[٥٦٦]، إذ كانت عكا قد غدت عاصمة مملكة بيت المقدس منذ عام(٥٨٥هـ/١١٨٩م) [٥٦٧]، وفي الحقيقة ان وصول هذه القوات، كان نتيجة قرار سابق لامبراطور الالمان ولم يكن نتيجة تلك المواجهات بين الصليبيين والمسلمين[٥٦٨].

أما ابن العبري فانه يقدم رواية اكثر تفصيلاً عن مجريات تلك الاحداث يقول فيها ان العادل هو الذي تحرش بالفرنج ولسان حاله يقول: "ان الصلح قد الغي بوفاة ملك انكلترا وصلاح الدين"[٥٦٩]، وقد تمكن بعد مواجهات مع الصليبيين من السيطرة على مدينة يافا، الامر الذي ايقظَ مضاجع الصليبيين الذين كانوا قد التمسوا العون من الاوربيين، فبعد وصول القوات الالمانية إلى عكا ـ كما اسلفنا ـ توجهوا مباشرة إلى مدينة تبنين

---

(٥٦٤) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٥٠٠" عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٩١٩

(٥٦٥) ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٢٣٠

(٥٦٦) يعقوب الفيتري: تاريخ بيت المقدس، ص ١٧٠" عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص ٢١٨

(٥٦٧) عبد اللطيف عبد الهادي السيد: الحروب الصليبية، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ٢٠٠٦، ص١٤٢.

(٥٦٨) عن تفاصيل ذلك ينظر: اسحاق تاوضروس عبيد: روما وبيزنطة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠، ص ص ٢٩٧-٣٠٣

(٥٦٩) تاريخ الزمان، ص ٢٣٠

وضربوا عليها حصاراً[٥٧٠] وكادوا ان يستولوا عليها لولا ان المنية عاجلت الامبراطورهنري وهو في طريقه إلى بلاد الشام في (ذوالقعدة ٥٩٣هـ/ايلول١١٩٧م) [٥٧١] الامر الذي اثر سلبا على موقف الصليبيين حيث انهم لم يجدوا بداً من طلب الصلح.

وبخصوص الصلح الذي تم التوصل اليه بين الجانبين فقد اكتفى الرهاوي المجهول بالاشارة إلى انه تم عقد الصلح لسنوات معينة دون اي تفاصيل اخرى، في حين ان ابن العبري يضيف ان الجانبين اتفقا على ان تكون بيروت للفرنج وتبنين للمسلمين[٥٧٢]، وان ما تجدر الاشارة اليه هنا هو ان المؤرخين السريان اهملوا تماما تحديد مدة الهدنة بين الصليبيين والمسلمين، في حين ان المصادر الإسلامية حددته بخمس سنوات وثلاثة اشهر اولها ١٤شعبان ٥٩٤هـ[٥٧٣]

يبدو ان كلا الجانبين كان يحترم الهدنة المعقودة منذ سنة (٥٩٤هـ/١١٩٨م)، نستدل على ذلك بعدم وجود اي خروقات لا من الصليبيين ولا المسلمين حتى عام (٦٠٠هـ/١٢٠٤م). الا انه بسقوط القسطنطينية بأيدي الصليبيين على اثر الحملة الصليبية الرابعة[٥٧٤]، وما حققته من نجاحات على الامبراطورية البيزنطية، نتج عنها ان اندفع بعض الصليبيين نحو بلاد الشام ربما بهدف الحصول على بعض الغنائم اكثر مما هو بهدف استرجاع القدس، الذي يعد الهدف المباشر لكل التحركات الصليبية بعد حطين.

---

(٥٧٠) رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص ٨٧

(٥٧١) يعقوب الفيتري: تاريخ بيت المقدس، ١٧٠" باركر: الحروب الصليبية، ص٩٥"

Stevenson: the crusaders, p.294

(٥٧٢) تاريخ الزمان، ص ٢٣٠

(٥٧٣) أبو شامة: ذيل الروضتين، ص ١٨

(٥٧٤) عن تفاصيل الحملة الصليبية الرابعة ينظر: انتوني ويست: الحروب الصليبية، شركة النبراس للنشر، بغداد، ١٩٦٧، ص ص ١٣٩-١٤٦"

Edgar H. the forth crusade, in setton A history of the crusades, vol.2, pp.153-186

ان ما بين ايدينا من روايات للمؤرخين السريان عن وصول صليبي الحملة الرابعة إلى بلاد الشام وما اعقبه من مواجهات عسكرية مع الأيوبيين، يقدمها كل من الرهاوي المجهول وابن العبري، حيث يتحدث الاول عن مجئ مجموعة من الصليبيين إلى صور وعكا نهاية سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٤م)[٥٧٥] وقيامهم ببعض العمليات العسكرية المباغتة ضد المدن الإسلامية دون ان يحددها بوضوح، إلا انه وبالرجوع إلى المصادر الإسلامية ظهر ان الصليبيين هاجموا مدينة حماه وان صاحبها الملك المنصور تقي الدين لم يتوانَ عن الدفاع عن المدينة[٥٧٦]، ويظهر ان قوات الصليبيين كانت اكبر من ان يتمكن تقي الدين من مواجهتها، الامر الذي نجمت عنه هزيمة الاخير، وعن تداعيات تلك المعركة يقدم لنا الرهاوي المجهول وصفا عن عمليات سلب ونهب لقرى المسلمين قام بها الصليبيون و" اسروا أيضا أُناسا كثيرين كانوا ذاهبين إلى مصر ونساء العظماء وابنائهم"[٥٧٧]

أما بالنسبة لمعالجة ابن العبري لتلك الاحداث، فقد جاءت بتفاصيل اكثر عمّا اورده الرهاوي المجهول فيما لقيه صاحب حماه من هزيمة على ايدي الصليبيين ويضيف ان الملك العادل ارسل إلى الفرنج يطلب الصلح[٥٧٨]، وذلك في سنة (٦٠١هـ/١٢٠٤م). ان طلب العادل للصلح يعكس لنا موقفه الحرج ابان تلك المواجهات، وليس ادل على ذلك مما يرويه ابن العبري في خضم تلك الاحداث ان العادل تنازل للصليبيين عن الناصرة[٥٧٩] وبعض

---

(٥٧٥) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٤٤

(٥٧٦) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ٥٢٣ " الحموي: التاريخ المنصوري، ص٤٤"
ابن الفرات: تاريخ، مج٥، ج١، ص٢٢-٢٣.

(٥٧٧) تاريخ الرهاوي،ج٢ ، ص ٢٤٤

(٥٧٨) تاريخ الزمان، ص ٢٤٣

(٥٧٩) الناصرة: كانت قرية تقع بالقرب من طبرية بينهما ثلاثة عشر فرسخا (حوالي٦٦ كم) فيها ولد المسيح (عليه السلام) ومنها اشتق اسم النصارى. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٢٥١. وهي الآن تقع شمال فلسطين.

المدن التي كانت ادارتها مناصفة بين الجانبين[٥٨٠]، هذا ولم يحدد ابن العبري امد تلك الهدنة، وفضلا عما سبق فانه ينفرد برواية مفادها ان عدداً من عساكر الصليبيين اقدموا على عملية عسكرية نحو مصر نتج عنها حصولهم على غنائم وافرة[٥٨١]

٤. مقدمات الحملة الصليبية الخامسة.

سبقت الحملة الصليبية الخامسة وصول مجاميع من الصليبيين إلى بلاد الشام، وهي ما تعرف بالحملة الهنكارية، بقيادة ملك هنكاريا اندريه الثاني[٥٨٢] (١٢٠٥-١٢٣٥م) ورافقه في الحملة ليوبولد السادس ملك النمسا، هذا ومن الجدير بالذكر أن هذه الحملة وما اعقبها جاءت نتيجة استنجاد صليبيي الشرق بالغرب الأوروبي على اثر شعورهم بأن المسلمين انما يخططون للقيام بعمل عسكري واسع ضدهم، ولاسيما بعد قيام الملك المعظم عيسى الأيوبي ببناء قلعة حصينة على جبل الطور[٥٨٣]، في موقع متقدم بالقرب من عكا مركز مملكة بيت المقدس على بعد اربعة فراسخ[٥٨٤] (حوالي ٢٤كم) من الساحل الغربي لبحيرة طبرية، فكان بناء هذه القلعة من الأسباب الرئيسة للحملة الصليبية الخامسة[٥٨٥].

---

(٥٨٠) تاريخ الزمان، ص ٢٤٣" قارن مع ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ٥٥٢" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص ١٦٢

(٥٨١) تاريخ الزمان، ص ٢٤٣

(٥٨٢) تسميه المصادر الإسلامية ملك الهنكر والهنكري. ينظر سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ٥٨٣" أبو شامة: ذيل الروضتين، ص٢٩٠ "ابن الفرات: تاريخ، مج٤، ج٢، ص٢٥٥.

(٥٨٣) جبل الطور:هو جبل مطل على بحيرة طبرية على رأس بيعة واسعة ومحكمة البناء موثقة الأرجاء. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٧.

(٥٨٤) الفرسخ يساوي حوالي ٦كم. فالتر هنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الأردنية، عمّان، ١٩٧٠، ص٩٤.

(٥٨٥) الحموي: التاريخ المنصوري، ص٦٣" ابن الفرات: تاريخ، مج٥، ج١، ص١٠٧" عمران: الحملة الصليبية الخامسة، ص١٨٦

لم يدون المؤرخون السريان تفاصيل هذه الحملة بشكل واسع ما خلا ابن العبري في كتابه تاريخ الزمان، في حين أهمل أي ذكر لهذه الأحداث في كتابه المختصر حيث، هذا وتعد الرواية الوحيدة ضمن ما بين ايدينا من روايات لمؤرخين سريان، فقد اهمل الرهاوي المجهول تماما أي ذكر لتلك الاحداث، رغم كونه معاصرا لها، وكذلك ابن العميد فانه لم يتطرق اطلاقا إلى الاحداث قبيل الحملة الصليبية الخامسة على الرغم من كونه مهتما بتدوين كل ما يخص الأيوبيين وتمتعه بقدر لابأس به من الحس التاريخي. ان الاهمال الذي لاقته الحملة الهنكارية من قبل بعض المؤرخين ربما كان سببه هو عدم تحقيقها لاي نتائج ملموسة على السحة العسكرية، ومن جانب آخر فان قصر المدة التي تفصلها عن الحملة الخامسة ربما كان عاملا في اهمالها في حين ان المؤرخين السريان ركزوا على مجريات الحملة الصليبية الخامسة.

يستعرض ابن العبري في روايته ان السبب المباشر لهذه الحملة كان استرجاع القدس من ايدي المسلمين[٥٨٦]، وفي معرض روايته لم يشر الى اسماء اي من المشاركين في هذه الحملة، واذا ما رجعنا إلى المصادر الإسلامية نجدها تذكر انها كانت بقيادة الهنكري[٥٨٧] والمقصود هو الملك اندريه، ويستطرد ابن العبري مستعرضا ما قامت به القوات الصليبية من هجوم مباشر على اطراف دمشق، الامر الذي افزع الملك العادل الذي كان حينها في مصر فاضطر إلى المجئ إلى بلاد الشام لمواجهة الموقف، وبهذا الخصوص يشير ابن العبري الى ان قوات الصليبيين كانت في وفرة عددية وكان لها تأثير واضح في الموقف العسكري للملك العادل فاختار الانسحاب[٥٨٨] بدلا من الدخول في مواجهة عسكرية غير مضمونة

---

(٥٨٦) تاريخ الزمان، ص ٢٥٢

(٥٨٧) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ٥٨٣ " ابو شامة: ذيل الروضتين، ص٥٥.

(٥٨٨) تاريخ الزمان، ص ٢٥٢" قارن مع سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ٥٨٣" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٣، ص ٢٥٥

النتائج، وعلى ما يبدو فإن الصليبيين استغلوا هذا الانسحاب فوسعوا نطاق عملياتهم العسكرية، نستدل على ذلك من كلام ابن العبري "فسار الفرنج وغنموا كل ما وجدوه في حدود باسان ﴿ بيسان ﴾[٥٨٩] حتى بانياس[٥٩٠]"[٥٩١]، وفضلا عما سبق فانه يؤخد على ابن العبري ان روايته عن هذه الاحداث جاءت مختصرة لم تحفل بتفاصيل كثيرة، على الرغم من ان مجمل احداث هذه الحملة كانت في صالح الصليبيين، في حين ان المصادر الإسلامية المعاصرة أسهبت في الحديث عن احداث هذه الحملة[٥٩٢] وما تخللها من سوء تقدير من قبل الملك العادل وابنه الملك المعظم (ت٦٢٤هـ/١٢٢٧م).

---

(٥٨٩) بيسان: مدينة صغيرة تقع الى الجنوب من طبرية بينهما ثمانية عشر ميلاً (حوالي ٣٦ كم) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٢٤٣

(٥٩٠) بانياس: حصن منيع يقع إلى الجنوب الغربي من دمشق. ابو الفدا: تقويم البلدان، ص ٢٤٩. وهي تتبع اراضي الجمهوري السورية على الحدود مع كل من فلسطين ولبنان (انظر الملحق رقم ٢).

(٥٩١) تاريخ الزمان، ص ٢٥٢

(٥٩٢) عن تفاصيل ذلك ينظر: ابن الأثير: الكامل، ج٩، ص ص ٦٥٢-٦٥٣" أبو شامة: ذيل الروضتين، ص ١٥٥

المبحث الثاني: الأيوبيون بعد الملك العادل حتى نهاية حكمهم

١ـ تداعيات الحملة الصليبية الخامسة وأثرها في توحيد القوى الأيوبية.

استمرت القوات الصليبية تتوافد على عكا استعداداً للهجوم المرتقب على مصر لما تشكله من أهمية عسكرية وستراتيجية تنبه لها الصليبيون منذ فترة مبكرة، فقد كان من المقرر ضمن أعمال مجمع اللاتيران الكنسي(٥٩٣) الذي عقد عام (٦١٢هـ/١٢١٥م) برعاية البابا انوسنت الثالث (٥٩٥-٦١٣هـ/١١٩٨-١٢١٦م) أن تكون وجهة الحملة الصليبية الخامسة هي مصر لاسيما وأنهم ادركوا تماماً ان انتصار صلاح الدين في معركة حطين انما جاء نتيجة سيطرته على مصر التي كانت له بمثابة المصدر الرئيس للامدادات الاقتصادية(٥٩٤) وفي غضون ذلك عقد الصليبيون مجلساً حربياً في عكا بزعامة جان دي برين ملك مملكة بيت المقدس الاسمية لترتيب الخطة العسكرية لسير

---

(٥٩٣) مؤتمر اللاتيران: عقد هذا المؤتمر وهو واحد من اهم الاجتماعات المسيحية في كنيسة لاتيران في ١١تشرين الثاني سنة ١٢١٥م (٢٠ رجب ٦١٢هـ) للاعداد لحملة صليبية تكون وجهتها مصر حيث اتخذت في هذا المؤتمر عدة قرارات منها تحديد يوم (١ حزيران ١٢١٧٦م/ ٢٤صفر ٦١٤هـ) موعداً لابحار الحملة الى الشرق، اضافة الى تحريم التجارة مع المسلمين. للمزيد ينظر: عمران: الحملة الصليبية الخامسة، ص١٥١ وما بعدها.

(٥٩٤) الشيال: تاريخ مصر الاسلامية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧، ج٢، ص٢٠٣" سعداوي: الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١، ص٦٤.

الحملة حيث تقرر ان تكون مدينة دمياط هي الهدف الرئيس للحملة لكونها أقرب الى موانئ الصليبيين وأسهل اتصالاً بقواعدهم في عكا.

لقد توقف المؤرخون السريان ملياً في معالجة احداث الحملة الصليبية الخامسة لما لها من أهمية، ولاسيما بعد انحراف الحملة الرابعة عن هدفها الرئيس في الهجوم على مصر وتوجهها صوب القسطنطينية، فضلا عن كون كل من الرهاوي المجهول وابن العميد معاصرين لأحداثها، وكان الاخير على الأرجح مقيما في مصر آنذاك، فساهم كل ذلك وبشكل ملحوظ في استقطاب اهتمام المؤرخين السريان بمجمل الاحداث التي دارت خلال الاعوام (٦١٥-٦١٨هـ/١٢١٨-١٢٢١م) وهي المدة التي دارت فيها احداث الحملة الصليبية الخامسة حيث قدموا لنا ثلاث روايات ذات تفاصيل متفاوتة عن مجريات تلك الأحداث، يأتي في مقدمتهم ابن العميد إذ يقدم الرواية الاكثر تفصيلا مقارنة بالرهاوي المجهول وابن العبري، لكونه - اي ابن العميد - كان معاصراً للأحداث[٥٩٥] ومصري الإقامة، كل ذلك اظفى على روايته جودة خاصة، لذلك فقد قدمنا روايته على المؤرخين الآخرين، هذا وينفرد ابن العميد في كثير من الاحيان بتقديم تواريخ دقيقة عن احداث الحملة فقد اشارة الى ان نزول الصليبيين قبالة مدينة دمياط كان في (٣ ربيع الاول٦١٥هـ/ ٣٠ ايار١٢١٨م)[٥٩٦]، اما عن المواجهات العسكرية التي دارت بين الجانبين قبل سقوط المدينة، فرواية ابن العميد تشير الى ان الكامل تمكن في البداية من إحراز تقدماً على الصليبيين " وأسر جماعة كبيرة من كنودهم[٥٩٧] واكابر خيالتهم وسير الكنود والأسرى الى القاهرة "[٥٩٨]، ويستطرد في الحديث عن كيفية استيلاء الفرنج على دمياط في (٢٥شعبان٦١٦هـ/ ٦تشرين الاول١٢١٩م) بعد

---

(٥٩٥) كانت ولادة ابن العميد في سنة (٦٠٢هـ/١٢٠٥م) فهو بذلك كان في حدود السادسة عشر من عمره والحملة الخامسة شارفت على الانتهاء ما من شك أن المرء في هذا العمر يكون واعياً بما يدور في محيطه من أحداث، وبذلك تكون رواياته ذات قيمة تاريخية.

(٥٩٦) أخبار الأيوبيين، ص ١٣٢.

(٥٩٧) المقصود بالكنود هو الكونت وجمعه كونتات وهذا المصطلح غالبا مايستخدمه المؤرخون المسلمون.

(٥٩٨) أخبار الأيوبيين، ص ١٣٥.

حصار طويل ومقاومة عنيفة من قبل اهالي المدينة، لكنه لايشير الى ذلك الاتفاق بين اهل المدينة والصليبيين بخصوص التسليم مقابل الامان[٥٩٩]، ان ما تجدر الاشارة اليه هنا هو ان ابن العميد اخطأ عندما ذكر ان مؤامرة ابن المشطوب[٦٠٠] لعزل الكامل[٦٠١] جرت في سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠م)، والصحيح انها كانت في عام(٦١٥هـ)[٦٠٢] على اثر وفاة الملك العادل، حيث تعد هذه المؤامرة احد الاسباب المباشرة لسقوط مدينة دمياط وذلك لما كان لها من تأثير في الموقف السياسي والعسكري للجبهة الإسلامية. أما عن توحيد الملوك الأيوبيين لجهودهم العسكرية في مواجهة الخطر الصليبي، فيعرضه ابن العميد بشكل مفصل مشيرا الى قدوم القوات الأيوبية الى مصر وما أسفر عنه من ضغط عسكري على الجانب الصليبي الامر الذي اضطرهم الى طلب الصلح" وهنا ينفرد ابن العميد عن باقي المؤرخين السريان برواية مفادها ان امراء الصليبيين عقدوا اجتماعا مشتركا مع كل من الملك المعظم عيسى والأشرف موسى واخيهما الكامل في يوم (الاربعاء١٩رجب٦١٨هـ /٢٩اب١٢٢١م) اسفر عن عقد هدنة بين الجانبين مدتها ثمان سنوات[٦٠٣]

---

(٥٩٩) عن هذا الاتفاق ينظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ٦٠٣" ابو شامة: ذيل الروضتيين، ص ١٧٦.

(٦٠٠) ابن المشطوب: هو ابو العباس أحمد بن الأمير سيف الدين بن أبي الهيجاء المعروف بابن المشطوب الهكاري، من الأمراء الكورد البارزين في الدولة الأيوبية، وكان صاحب جاه كبير لدى ملوك الأسرة الأيوبية لكن سوء تصرفه انتهت به الى السجن حتى توفي سنة (٦١٩هـ/١٢٢٢م). للمزيد ينظر: نبز مجيد امين: المشطوب الهكاري، رسالة ماجستير (غير منشور)، جامع صلاح الدين، اربيل، ١٩٩١

(٦٠١) عن تفاصيل تلك المؤامرة ينظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص ١٤" ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٢٣٠" محمد عمارة: معارك العرب الحاسمة، المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٧٥، ص٦٨" منذر الحايك: العلاقات، ج٢، ص٣٦٠.

(٦٠٢) ابن الأثير: الكامل، ج٩، ٦٥٥.

(٦٠٣) أخبار الأيوبيين، ص ١٣٤.

أما رواية الرهاوي المجهول فهي غير دقيقة في كثير من تفاصيلها حيث انه يقول " في سنة ١٥٣١يونانية ﴿ ١٢٢٠م/٦١٧هـ ﴾ خرج ملك الهنكاريين وموفد ارسله البابا...وملك عكا وابحروا شطر دمياط "[٦٠٤]، وهذا غير صحيح بالنسبة لتوقيت خروج الصليبيين ففيه خطأ واضح كون سير القوات الصليبية الى دمياط كان في بداية عام (٦١٥هـ/١٢١٨م) كذلك اخطأ الرهاوي عندما ذكر ان ملك الهنكاريين كان ضمن القوات الصليبية المتوجهة الى مصر[٦٠٥]، فكما هو معلوم ان الملك اندريه الثاني ترك بلاد الشام وعاد ادراجه الى اوروبا منذ سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م)[٦٠٦]، واخطأ ايضا عندما قال ان موفد البابا وهو الكاردينال بيلاجيوس كان احد افراد الحملة لان الاخير لم يلتحق بالحملة الصليبية الخامسة الا في(جمادي الاخر٦١٥هـ /ايلول ١٢١٨م)[٦٠٧] اي بعد وصول الصليبيين الى دمياط، اما عن حصار الصليبيين لدمياط فيقدم الرهاوي رواية لا بأس بها، لكنه لم يكن دقيقاً في تقدير مدة الحصار حيث يقول انه استمر سنتيين[٦٠٨]، وهذا يخالف ما جاء لدى ابن العميد وكذلك المصادر الإسلامية المعاصرة التي تشير الى انه استمر سنة وخمسة اشهر[٦٠٩]. ان عرض الرهاوي روايته بهذا الشكل يدفعنا الى الاعتقاد ان الاخير وهو مقيم في الرها بعيداً عن مسرح تلك الأحداث كان منعزلا تماما عن ما يدور خارج مدينته ومؤسسته الدينية، ولاسيما أنه كان راهبا في دير مار برصوم القريب من ملطية، فضلا عن ذلك فان البعد الجغرافي عن مسرح الاحداث ربما كان له اثرا في ان تأتي رواية الرهاوي مشوشة وغير دقيقة.

---

(٦٠٤) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٥٧.

(٦٠٥) المصدر نفسه والصفحة.

(٦٠٦) اوليفر اوف بادربون: الاستيلاء على دمياط، في الموسوعة الشامية، ج٣٣، ص ١٩٨٣

(٦٠٧) رنسيمان: الحروب الصليبية، ج٣، ص ٢٧٥.

(٦٠٨) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٥٧.

(٦٠٩) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ص ٥٩٢-٦٠٣" ابو شامة: ذيل الروضتيين، ص ص ١٦٤،١٧٦" ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ص ١٣١، ١٣٢

في حين أن في رواية ابن العبري ففيها إهمال واضح لأحداث الحملة الصليبية الخامسة في تاريخه المختصر، حيث اكتفى بالاشارة الى اتصال ملوك بني أيوب في بلاد الشام بالملك الكامل والصلح الذي تم بين الطرفين[٦١٠] خلال سنة (٦١٨هـ/١٢٢١م) في حين تضمن كتابه الثاني (تاريخ الزمان) السرياني رواية جيدة عن تلك الاحداث حيث يشكل ابن الاثير المصدر الرئيس لروايات ابن العبري في كثير من الاحيان، فقد انعكس بجلاء في معالجته لأحداث الحملة الخامسة الا انه -أي ابن العبري- اختصر الكثير من المعلومات وفق ميوله وتوجهاته الخاصة، وعلى النقيض من الرهاوي المجهول، لم يقدم ابن العبري اي معلومات عن المشاركين في هذه الحملة في حين ركز بشكل واضح على تقديم صورة مستوفية عن العمليات العسكرية التي دارت بين الجانبين قبل سقوط دمياط لاسيما تلك الوسائل الدفاعية التي اعتمدها الملك الكامل اثر المحاولات المستميتة من قبل الصليبيين لاحتلال المدينة[٦١١]

وفيما يتعلق بسقوط المدينة وما جرى داخلها من احداث، فان ابن العبري يحاول ان يعطي صورة غير حقيقية عن سلوك الصليبيين حيث يروي أنهم " لما احتلوا دمياط نادوا باطلاق سبيل من شاء من العرب ﴿المسلمين﴾ ان يغادرها في مؤونته وابقاء من شاء البقاء فيها "[٦١٢] في الحقيقة ان ما ذكره ابن العبري يعد كلاما غير دقيق. أظهر فيه صورة اكثر انسانية للصليبيين محاولا على ما يبدو اخفاء الحقيقة التي اجمع عليها المؤرخون المسلمون وحتى السريان ايضاً، فها هو الرهاوي المجهول والذي يؤخذ عليه انه يميل الى الصليبيين في اكثر الاحيان

---

(٦١٠) تاريخ مختصر الدول، ص ص١٣٦- ٢٣٧.

(٦١١) تاريخ الزمان، ص ٢٥٣.

(٦١٢) المصدر نفسه والصفحة.

يقول: " فاشتد الفرنج واحتلوها بالسيف وابادوا من ابناء دمياط خلقا كثيرا "[٦١٣] ناهيك عما نقله المؤرخون المسلمون من روايات تشير الى اعمال قتل قام بها الصليبيون في المدينة[٦١٤] ابان سقوطها.

لا شك ان سقوط دمياط أثار مخاوف الأيوبيين دون استثناء لذلك بات من الضروري توحيد الجهود لمعالجة الموقف في مصر حيث أخذ بالتدهور اكثر فاكثر، وبقدر تعلق الامر بالمؤرخين السريان فقد اسهبوا في وصف توحيد الجيوش الأيوبية وتلبية نداء الاستغاثة الذي وجهه الكامل اليهم لاسيما جهود الملك المعظم عيسى[٦١٥] صاحب دمشق والملك الاشرف موسى وما نتج عنه من تضييق الخناق على الصليبيين الامر الذي اضطرهم الى طلب الهدنة[٦١٦].

لقد كان ابن العميد اكثر المؤرخين السريان تفصيلا في معالجة هذه الهدنة حيث ينفرد برواية مفادها ان امراء الصليبيين عقدوا اجتماعا مشتركا مع كل من الملك الكامل واخيه الملك المعظم في يوم (الاربعاء١٩رجب٦١٨هـ/٢٩اب١٢٢١م) اسفر عن عقد هدنة لمدة ثمان سنوات، فضلا عن تبادل الاسرى بين الجانبين وجلاء الصليبيين عن دمياط[٦١٧]

(٦١٣) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٥٧.

(٦١٤) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ٦٠٣" ابو شامة: ذيل الروضتيين، ص ص ١٧٦-١٧٧.

(٦١٥) للمزيد عن دور المعظم عيسى في الحملة الصليبية الخامسة ينظر: محمود سعيد عمران: دور الملك المعظم عيسى في مواجهة الحملة الصليبية الخامسة، ندوة دولية (دمشق في التاريخ)، جامعة دمشق، ٢٠٠٦، ص ص ٥٢٧- ٥٥٢.

(٦١٦) الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ج٢و ص ص ٢٥٨- ٢٦٠" ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١٣٤" ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ص ٢١٦-٢٦٢" تاريخ مختصر الدول، ٢٣٢.

(٦١٧) أخبار الأيوبيين، ص ١٣٤

٢ـ الصراعات بين ابناء العادل وتأثيرها في الجبهة الأيوبية.

كانت العلاقات بين ملوك الأسرة الأيوبية خصوصا ابناء العادل حسنة قائمة على الاحترام المتبادل حيث كان الملك العادل قد تمكن بقوة شخصيته وحسن تدبيره السياسي فرض سيطرته تماما على سياسة الدولة الأيوبية وتحقيق التوازن لها. لكن هذا التوافق لم يستمر طويلا، فبعد وفاة الملك العادل سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) وزوال الخطر الخارجي المتمثل بالحملة الصليبية الخامسة بدأت الخلافات تجد طريقها بين الاخوة ابناء العادل ممثلة بالملك الكامل والاشرف من جهة والملك المعظم صاحب دمشق من جهة اخرى تحركها اسباب عدة، ابرزها انعدام الثقة بين بعضهم البعض، نستدل على ذلك من رواية ينقلها لنا الرهاوي إذ يقول: " لكنه ﴿ اي المعظم ﴾ حينما لاحظ المودة القائمة بين الملك الكامل والاشرف دبَّ الحسد في قلبه واخذ يتوجس خيفةً من أخويه"[٦١٨] وأكدت المصادر الإسلامية من جانبها على الشئ ذاته وبتفاصيل أكثر، فقد أضافت ان إقامة الملك الاشرف في مصر خلال المدة (٦١٩ـ٦٢٠هـ/١٢٢٢ـ١٢٢٣م) اثارت مخاوف الملك المعظم فظن ان اخويه انما يخططان لانتزاع املاكه[٦١٩]

لم يولِ المؤرخون السريان اهتماما كبيرا للنزاعات التي دارت بين الملك الكامل واخيه الملك الاشرف من جهة والملك المعظم من جهة اخرى عقب الحملة الصليبية الخامسة حتى وفاة الاخير، فقد بدا الاهمال واضحا في مدونات المؤرخين السريان لتلك الاحداث، واذا ما اعتمدنا التسلسل الزمني فان الرهاوي المجهول لا يقدم اي معلومات عن ما جرى من صراعات عسكرية وتحالفات سياسية خلال السنوات (٦١٩ـ٦٢٢هـ/١٢٢٢ـ١٢٢٥م) حيث ينتقل مباشرة الى ما تم من تحالفات بين الملك المعظم وجلال الدين منكبرتي آخر سلاطين الدولة الخوارزمية في سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) والذي كان موجها ضد مصالح الملك الاشرف[٦٢٠] الهدف منه قيام منكبرتي

---

(٦١٨) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٦٠.

(٦١٩) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص ص١٢٨، ١٣٧.

(٦٢٠) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٦٠.

بهجوم عسكري على مدينة خلاط[٦٢١] وفي هذا الصدد ايضا يسوق لنا الرهاوي معلومة خاطئة مفادها ان الملك الاشرف وفي خضم تلك الاحداث كان مقيما في مصر[٦٢٢]، نستدل على ذلك مما اوردته المصادر الإسلامية والتي أسهبت في سردها تفاصيل تلك الاحداث حيث تشير الى ان الملك الاشرف ترك مصر سنة (٦٢٠هـ/١٢٢٣م) متوجها الى بلاد الشام[٦٢٣].

فضلا عما سبق فان الرهاوي يقدم رواية هامة عن تطور العلاقة بين الملك المعظم وجلال الدين منكبرتي بحيث وصلت العلاقة بينهما الى مستوى رفيع عندما أرسل المعظم الى جلال الدين منكبرتي عقد عليه عقد مصاهرة[٦٢٤]، هي الى المصالح السياسية اقرب. وتعد هذه الاشارة الوحيدة في المدونات السريانية قيد البحث بهذا الخصوص، وليس غريبا هذا النوع من المصاهرات السياسية التي كانت سائدةً بين الملوك والامراء آنذاك لتقوية اواصر العلاقة بين الاطراف المتحالفة. ايا كانت الأسباب التي دفعت الملك المعظم الى ذلك، فان هذا الزواج لم يتم ربما لوفاة الاخير سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٧م).

ولم يكن ابن العميد افضل حالا من الرهاوي فقد اهمل هو الاخر كل المستجدات العسكرية والسياسية التي دارت رحاها في بلاد الشام وما تخللتها من محاولات للملك المعظم لتوسيع سلطته على حساب المدن المجاورة لملكه. فقد تجاوز ابن العميد كل الاحداث الممتدة بين الاعوام (٦١٨-٦٢٣هـ) لينتقل مباشرة الى تدوين حوادث سنة

---

(٦٢١) النسوي: سيرة سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ احمد حمدي، دار الفكر، القاهرة، ١٩٥٣، ص٢٩٩" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص١٨٥" عماد الدين خليل: الإمارات الأرتقية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠، ص١٧٨

(٦٢٢) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٦٠.

(٦٢٣) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ٦٢٥" ابو شامة: ذيل الروضتيين، ص ٢٠٢" ابن واصل: ج٤، ص ١٢٩

(٦٢٤) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٦٠.

(٦٢٤هـ/١٢٢٧م) حيث يقدم رواية بخصوص تدهور العلاقة بين الملك المعظم واخيه الملك الكامل وما نجم عنه من توجهات جديدة لدى الملوك الأيوبيين متمثلة بالاستنجاد باطراف خارجية حيث يقول " فكتب الملك الكامل الى الانبرور[٦٢٥] ملك الالمان"[٦٢٦] في حين توجه الملك المعظم عيسى الى التحالف مع الخوارزميين ممثلة في شخص جلال الدين خوارزم شاه، ويفهم من رواية ابن العميد السالفة ان الوضع ازداد توترا بين الملك المعظم واخيه الملك الكامل عندما اقدم الاخير على تجهيز حملة عسكرية ضد دمشق في (رمضان٦٢٤هـ/اذار١٢٢٦م)[٦٢٧]، وازاء تلك التطورات العسكرية كان لزاما على المعظم ان يتصرف بحكمه وبهذا الصدد يقدم ابن العميد رواية مطولة يشرح فيها سياسة الملك المعظم تجاه توجهات أخيه الملك الكامل مفادها ان المعظم اتصل بالكامل مرتين[٦٢٨] الأولى كانت في الباطن ويقصد انها كانت في السر ،في حين أعلن الاخرى على الملأ، وعن مضمون كلا الاتصالين، فقد تضمنت الأول تهديدا للملك الكامل بأن اغلب جنده وقادته هم مع المعظم وانه –اي المعظم- سيتصدق بألف دينار عن كل مرحلة يقطعها الكامل الى دمشق[٦٢٩] وهو بذلك زرع الشك في قلب الكامل مما اثر سلبا في موقف الاخير العسكري ومدى ثقته بجيشه. اما في الاتصال الثاني فأعلن المعظم فيه أنه ليس سوى تابع للملك الكامل ولم يخرج عن سلطته. ويستطرد ابن العميد فيقول ان الملك الكامل "أظهر هذا القول بين الأمراء وعاد الى مستقر ملكه"[٦٣٠] الامر الذي اضطره الى الرجوع الى مصر. ان

---

(٦٢٥) المقصود به الامبراطور فريدريك الثاني امبراطور المانيا.

(٦٢٦) أخبار الأيوبيين، ص ١٣٦.

(٦٢٧) المصدر نفسه والصفحة" وردت لدى المقريزي ان المعظم ارسل مكاتبة(رسالة) سرية واخرى في الباطن الى الكامل. قارن مع: السلوك، ج١، ق١، ص ٢٢٢.

(٦٢٨) ماهر محمد حمادة: الوثائق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠، ص٤٠٨

(٦٢٩) أخبار الأيوبيين، ص ١٣٦- ١٣٧.

(٦٣٠) المصدر نفسه، ص ١٣٧.

في رواية ابن العميد السالفة اشارة واضحة الى ان المعظم حاول وبمناروة سياسية ان يثني اخاه على التخلي عن مهاجمة دمشق ربما لعدم جاهزية الاخير وعدم ثقته بحليفه جلال الدين في ان ينجده اذا تطلب الموقف ذلك، لاسيما اذا علمنا ان جلال الدين منكبرتي كان مشغولا بمحاربة المغول.

وفي المرتبة الثالثة يأتي ابن العبري الذي لم يسعفنا بأي معلومات عن العلاقات السياسية والتوجهات العسكرية بين الاطراف الأيوبية المتنازعة خلال المدة التي تلت الحملة الصليبية الخامسة حتى وفاة الملك المعظم، حيث تبدأ اهتماماته تتركز على تدوين كل ما يتعلق بالمغول ويهمل تاريخ الأيوبيين بشكل واضح، ما عدا اشارة واحدة مختصرة جدا يعرض فيها هجوماً للملك المعظم على ضواحي مدينة حماه[٦٣١] في سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) [٦٣٢]. ويشير ابن العبري في المكان ذاته ان الملك المعظم كان قد تمكن من استمالة اخيه شهاب الدين غازي الذي كان نائباً عن اخيه الاشرف في خلاط، وكرد فعل على ذلك خرج الاشرف بنفسه لمعالجة الموقف حيث يقول ابن العبري " فخرج الاشرف الى خلاط وانتزعها من أخيه ﴿الملك الأوحد﴾ وقبض عليه"[٦٣٣]. واعاد المدينة الى سيطرته.

لقد كان الملك المعظم عيسى صاحب دمشق المحور الرئيس للنزاعات في بلاد الشام إلا أن وفاته سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) لم تنهِ تلك النزاعات بل انها اخذت منحا جديدا تمثل بتحالف الكامل والاشرف ضد الملك الناصرداود الذي خلف والده في حكم دمشق.

نالت الحقبة التالية لوفاة الملك المعظم اهتماما متباينا من قبل المؤرخين السريان، فالرهاوي المجهول يروي ان الملك الكامل واخاه الاشرف تمكنا من انتزاع

---

(٦٣١) حماه: مدينة كبيرة تقع على نهر العاصي الى الشمال من حمص وجنوب المعرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٠ . وهي اليوم تقع ضمن اراضي الجمهورية السورية.

(٦٣٢) تاريخ الزمان، ص ٢٧٠.

(٦٣٣)تاريخ الزمان، ص ٢٧٠.

دمشق من ابن الملك المعظم[٦٣٤] الناصر داود، هكذا دون ان يعطينا اية معلومات عما سبق ذلك من احداث. في حين أن ابن العبري يروي انه ومنذ سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٧م) كان الملك الكامل قد عقد العزم على السيطرة على دمشق وسار حتى وصل الى السامرة لكنه وبوصول القوات الصليبية- ضمن الحملة الصليبية السادسة- الى بلاد الشام بقيادة الامبراطور الالماني(وهو فردريك الثاني) التي وصل حتى يافا[٦٣٥]، توقف الكامل لحين ان تتوضح الصورة. ان ما تجدر الاشارة هنا هو ان كلا المؤرخين السريانيين لم يقدما اية اشارة واضحة عن سبب توجهات الملك الكامل ضد ابن اخيه، في حين يتطرق ابن العميد الى ذلك معللا السبب الى سوء سيرة الملك الناصر داود في ادارة املاك والده[٦٣٦] اما اذا ما رجعنا الى رواية ابن واصل عن تلك الاحداث والتي ربما تكون من افضل الروايات الإسلامية كون صاحبها كان موجوداً في دمشق حينذاك[٦٣٧]، لوجدنا ان خروج الملك الكامل في (رمضان٦٢٥هـ/ اب١٢٢٨م) قاصدا دمشق كان نتيجة عدم استجابة الناصر داوود لطلبه في التنازل له عن قلعة الشوبك[٦٣٨] فاتخذ الكامل ذلك ذريعة للقيام بعمل عسكري ضد دمشق[٦٣٩]، وكوسيلة دفاعية استنجد الناصر داود بعمه الاشرف للتدخل، الاّ ان حضور الاخير الى دمشق، غيّرت من نواياه تجاه الناصر داود وبدء يخطط منذ الوهلة الاولى كي تكون دمشق له[٦٤٠]

---

(٦٣٤) تاريخ الرهاوي، ج٢ ص٢٦٣.

(٦٣٥) تاريخ الزمان، ص ص ٢٧٢- ٢٧٣.

(٦٣٦) أخبار الأيوبيين، ص ١٣٧.

(٦٣٧) مفرج الكروب، ج٤، ص ٢٢٨.

(٦٣٨) الشوبك: قلعة حصينة تقع الى الجنوب من الكرك على تل مرتفع مطل على غور الاردن من جهة الشرق. أبو الفدا: تقويم البلدان، ص٣٤٧

(٦٣٩) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص ٢٢٥.

(٦٤٠) المصدر نفسه،ص٢٢٩

أما بخصوص تحركات سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) وما تلاها من احداث فقد أدت الى انتزاع دمشق من الناصر داود، فان روايات ابن العميد وابن العبري تحفل بتفاصيل وافية نستدل منها انه كانت هناك ثمة اتفاق جرى بين الكامل والاشرف على اعادة ترتيب بعض الممتلكات الأيوبية تضمن الاستيلاء على دمشق واعطائها للملك الاشرف، وفي المقابل بتنازل الاخير للكامل عن الرها وحران والرقة[٦٤١]، وكنتيجة حتمية لذلك الاتفاق فقد تمكن الاخوان من الاستيلاء على دمشق في (شعبان٦٢٦هـ/حزيران١٢٢٩م)[٦٤٢].

لم يستمر الوفاق بين الاشرف والكامل طويلا اذ بدأت بوادر التوتر بين الجانبين بالظهور في سنة (٦٣١هـ/١٢٣٤م) عندما تمكن الكامل من توحيد القوى الأيوبية تحت زعامته، ليكون منهم جيشا قدره الرهاوي تعداده بحوالى خمسين الف مقاتل[٦٤٣]، لقد كان الهدف من وراء هذا التكتل العسكري هو قتال سلاجقة الروم ممثلة بعلاء الدين كيقباذ بن كيخسرو، ويبدو ان الكامل قد اغتر بهذا الجمع من العساكر فبدأ يطلق بعض التصريحات التي من شأنها ان تهدد الجبهة الإسلامية" نستدل على ذلك من رواية لابن واصل مفادها ان الكامل قال انه اذا تمكن من السيطرة على بلاد الروم فانه سينقل الملوك الأيوبيين إليها لينفرد هو ببلاد الشام ومصر[٦٤٤]، الامر الذي ادى الى تخوف الملك الاشرف وباقي الملوك الأيوبيين من نوايا الملك الكامل.

أما ابن العميد فيقدم تفسيراً آخر لتوتر العلاقة بين الاشرف والكامل حيث يورد ان اسد الدين شيركو(الثاني)[٦٤٥] صاحب حمص، وفي خضم الاحداث السالفة اجتمع

---

(٦٤١) أخبار الأيوبيين، ص ١٣٨" تاريخ الزمان،ص ٢٧٤.

(٦٤٢) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ٦٧٥" ابو شامة: ذيل الروضتيين، ص ص ٢٣٥-٢٣٦" ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٣، ص١٣٠.

(٦٤٣) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص٢٧٠.

(٦٤٤) مفرج الكروب، ج٥، ص ٧٧.

(٦٤٥) اطلقنا عليه (شيركو الثاني) تميزا له عن اسد الدين شيركو عم صلاح الدين.

بالملك الاشرف وقال له " ان السلطان الملك الكامل متى اخذ مملكة الروم، اخذ جميع ممالكنا التي بأيدينا في الشام لقرب بلاده وعوضنا من بلاد الروم "[646]، وعن موقف الملك الاشرف ازاء تلك المستجدات ينفرد ابن العميد برواية مفادها ان الاشرف وبقية الملوك الأيوبيين اتفقوا على مراسلة علاء الدين كيقباذ والاتفاق معه ضد الملك الكامل، لكنه ولسوء الحظ فقد تمكن الكامل من الاطلاع على تلك المكاتبات[647]، الامر الذي ادى بالنتيجة الى توتر العلاقة بين الملك الكامل وباقي الملوك الأيوبيين وانفصام عرى التحالف السالف.

وكنتيجة لما سبق فقد بادر الملك الاشرف موسى قبيل وفاته (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م) من تكوين حلف موسع ضد الملك الكامل ذلك الحلف الذي اولاه ابن العميد اهتماما خاصا من بين المؤرخين السريان، حيث قدم لنا رواية مفصلة تضمنت كل من شارك في هذا الحلف[648]، ويبدو ان الهدف من ذلك التحالف كان لمنع الكامل من دخول بلاد الشام والتدخل في شؤون الملوك الأيوبيين هناك، نستدل على ذلك برواية لابن واصل يقول فيها ان الاشرف ومن تحالف معه بعثوا برسالة الى الكامل يطلبون منه عدم المجئ الى بلاد الشام[649]، ولم تسعفنا المصادر السريانية ولا الإسلامية بأي نتائج اخرى لهذا التحالف، والراجح ان وفاة الملك الاشرف موسى في (محرم٦٣٥هـ/اب١٢٣٧م) وكذلك الكامل في (رجب٦٣٥هـ/آذار١٢٣٧م) كانتا عاملاً في زوال الاسباب الموجبة لمثل هذا التحالف، الأمر الذي ادى الى عدم ظهور أي نتائج عسكرية او سياسية على ارض الواقع.

---

(٦٤٦) أخبار الأيوبيين، ص ١٤١.

(٦٤٧) المصدر نفسه والصفحة.

(٦٤٨) أخبار الأيوبيين، ص ١٤٢.

(٦٤٩) مفرج الكروب، ج٥، ص ١٢٧.

٣- العلاقات السياسية بين الملك الكامل والامبراطور فردريك الثاني.

يرجع أول اتصال للملك الكامل بالامبراطور فردريك الثاني[٦٥٠] الى سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) على اثر توتر العلاقات بين الكامل واخيه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق حيث حاول كل واحد منهم ان يبحث عن حليف يتقوى به، فاتجه الملك المعظم الى جلال الدين منكبرتي (ت٦٢٨هـ/١٢٣١م) وتحالف معه، ورداً على ذلك التحالف قام الملك الكامل بالاتصال بالامبراطور فردريك[٦٥١] حيث ارسل اليه وفدا برئاسة فخرالدين يوسف ابن شيخ الشيوخ[٦٥٢] اخي الملك الكامل بالرضاعة[٦٥٣] في سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) يطلب منه القدوم الى بلاد الشام لمساعدته ضد اخيه الملك المعظم[٦٥٤] مقابل التنازل له عن القدس[٦٥٥]

إن هذا التغير في سياسة الملوك الأيوبيين يعد سابقة خطيرة على مستوى العلاقات الأيوبية- الأيوبية، ووجه الخطورة يكمن في ان كلا الجانبين المتنازعين استعان بطرف خارجي، ليس ذلك فحسب بل تعداه الى الاستعانة بقوة صليبية ضد ابناء الاسرة

---

(٦٥٠) للمزيد من التفاصيل عن فردريك الثاني ينظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: الأمبراطور فردريك الثاني، المجلة التاريخية المصرية، مج١١، ١٩٦٣

(٦٥١) للمزيد حول علاقات الملك الكامل بالامبراطور فريدريك ينظر: ذكرى الصانغ: عصر الملك الكامل، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب جامعة الموصل،١٩٨٨، ص ص ١٨٧-١٠٨.

(٦٥٢) المقريزي: السلوك، ج١،ق١، ص ٢٢١" رنسيمان: الحروب الصليبية، ج٣، ص ٣٢٧.

(٦٥٣)المقريزي: السلوك، ج١،ق١، ص ٢٦١.

(٦٥٤) ابن واصل كمفرج الكروب، ج٤، ص ٢٠٦" عاشور: مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢، ص٨٥

(٦٥٥) ابن سباط: صدق الأخبار، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس بريس، طرابلس، ١٩٩٣، ج١، ص٢٩٥ " الصائغ: عصر الملك الكامل، ص١٠٧" جوناثان فيلبس: الشرق اللاتيني، في تاريخ اوكسفورد للحروب الصليبية، تحرير: جوناثان رايلي سميث، ترجمة قاسم عبدة قاسم، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ٢٠٠٧، ص١٩٩

الأيوبية لتكوين أحلاف سياسية وعسكرية الهدف منها ارغام بعضهم البعض لتقديم التنازلات، وقد استغل الامبراطور فردريك الثاني تلك التوجهات أيما استغلال حيث وصل الى عكا في (شوال٦٢٥هـ/ ايلول١٢٢٨م).

ونرى من الوجوب هنا الاشارة الى أن قيام الامبراطور فردريك بحملته الصليبية على الشرق والتي تعرف بالحملة الصليبية السادسة[٦٥٦] لم تكن نتيجة تلك الاتصالات بينه وبين الملك الكامل بل إن بداياتها تعود الى سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) أي الى احداث الحملة الصليبية الخامسة، حيث كان فردريك الثاني قد تعهد للبابا انوست الثالث بأن يقود حملة صليبية لاسترداد القدس، الا انه تماطل طيلة عشر سنوات في تنفيد وعوده للبابا الامر الذي دفع البابا كريكوري التاسع[٦٥٧] (٦٢٥-٦٣٩م/١٢٢٧ـ١٢٤١م) الى ان يصدر بحقه حرمانا كنسيا سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٧م)[٦٥٨]، ونتيجة لظروف فردريك الصعبة التي وضعته في صراع سياسي مع البابوية وحرمانه كنسياً وجد في دعوة الملك الكامل له فرصة ثمينة لاسيما وان الاخير عرض عليه التنازل عن القدس مقابل مساعدته ضد الملك المعظم عيسى[٦٥٩]

---

(٦٥٦) عن تفاصيل الحملة الصليبية السادسة ينظر:

Van Cleve: the crusades of Fredric II, in setton, a history of the crusades, vol.2,pp. 429-462

(٦٥٧) كريكوري التاسع: تولى الكرسي البابوي خلال المدة (١٩ اذار ١٢٢٧-٢٢ اب ١٢٤١)، وهو الذي الحّ على فردريك للذهاب الى الشرق وتميزت مدة بابويته بالصراع مع الامبراطور فردريك الثاني. للمزيد ينظر:

Richard p. Brien: the pops, harpe collin publisher, London, pp. 197-198

(٦٥٨) ريمون ستانبولي: مفاتيح القدس، ترجمة عايدة الباجوري، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤:

Stevenson: the crusaders, p. 398

(٦٥٩) منذر الحايك: العلاقات، ج٢، ص ٣٠٥.

وهكذا يكون فردريك قد حقق اهدافه واستعاد مركزه السياسي في اوروبا دون الحاجة الى الدخول في معركة عسكرية مع المسلمين.

وبقدر تعلق الامر بمدونات المؤرخين السريان عن علاقة الملك الكامل بالامبراطور فردريك الثاني وما تلاه من احداث الحملة الصليبية السادسة، فثمة اهمال واضح من قبل المؤرخين السريان، وقد انعكس ذلك لدى كل من الرهاوي المجهول وابن العبري اذ انهما سردا تلك الاحداث بعجالة شديدة مهملين كثيرا من وقائعها، حيث ان كلاهما لم يشيرا اطلاقا الى ما جرى من اتصال بين الملك الكامل والامبراطور فردريك قبل مجيء الاخير الى بلاد الشام، فالرهاوي يستهل روايته بوصول فردريك الى عكا(٦٦٠)، وهنا يقدم الرهاوي ما يشير الى قيام اتصالات دبلوماسية بين الجانبين والتي كانت ودية في اغلبها وتخللها تبادل للهدايا بين كل من فردريك الثاني والملك الكامل، في حين يكتفي ابن العبري بالاشارة الى ان الملك الكامل ارسل "وفودا الى الامبراطور واطلعوه عن سبب قدومه فقد صرح لهم بأنه انما اقبل غيرة على بيت الرب"(٦٦١)، هكذا دون اي تفاصيل اخرى. ان رواية ابن العبري السالفة تثير الدهشة فمن خلالها نفهم ان المسلمين ممثلين بالملك الكامل لم يكونوا على دراية بسبب مجئ الامبراطور "واطلعوه عن سبب مجيئه" هذا في الوقت الذي نجد المصادر الإسلامية(٦٦٢) قد أشارت وفي اكثر من موضع ان الكامل هو الذي استدعاه الى المجئ لنجدته ضد اخيه الملك المعظم، الامر الذي لم ينوه عنه ابن العبري في كلا كتابيه تاريخ الزمان السرياني وتاريخ مختصر الدول. ان معالجة ابن العبري للاحداث بهذه الطريقة يظهر وبوضوح عدم درايته الكاملة بمجريات الاحداث، وقد انعكس ذلك على مدى تمكنه من تدوين تاريخ الأيوبيين حيث يبدأ من تلك الفترة اهتمام ابن العبري يتركز اكثر على تدوين اخبار

---

(٦٦٠) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٦٣.

(٦٦١) تاريخ الزمان، ص ص ٢٧٢- ٢٧٣.

(٦٦٢) ينظر على سبيل المثال: ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص ٢٠٦" ابو الفدا: المختصر، ج٢، ص ٢٣٦" المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص ٢٢١.

المغول مهملا الى حد ما سرد تفاصيل التاريخ الأيوبي" ومن المرجح ان هذا المنحى الجديد من قبل ابن العبري سببه هو زوال الدولة ألأيوبية وبروز قوة جديدة على الساحة السياسية ممثلة بسلطة المغول التي أصبح ابن العبري واحداً من مؤيديها

أما رواية ابن العميد عن أحداث الحملة الصليبية السادسة وما سبقها من اتصالات دبلوماسية بين الملك الكامل والامبراطور فردريك الثاني، فهي الأكثر اهمية بفضل الرواية المستفيضة والميزة التي قدمها، فقد صرح فيها بأن الملك الكامل ومنذ سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) كان قد ارسل الى الامبراطور فردريك يطلب عونه ضد اخيه الملك المعظم مقابل التخلي للصليبيين عن القدس وبعض المدن الساحلية[٦٦٣]، فهو بذلك يتفق مع ما ذهب اليه المؤرخون المسلمون، في حين لم يتطرق الرهاوي المجهول ولا ابن العبري الى تلك الأحداث، على الرغم مما تشكله هذه الرواية من أهمية لاسيما والامر يتعلق بالقدس المدينة الاهم في الوجدان المسيحي. ويستطرد ابن العميد في حديثه حيث ينفرد برواية اخرى تلقي الضوء على الاتصالات الدبلوماسية التي تلت وصول فردريك الى بلاد الشام ويشير الى ان السفير من جانب الملك الكامل كان الامير فخرالدين ابن شيخ الشيوخ ومعه الصلاح الاربيلي[٦٦٤] حتى تم الاتفاق بين الجانبين[٦٦٥].

وفيما يتعلق بمضمون الاتفاق الذي تم بين الجانبين، فلم يسعفنا الرهاوي المجهول ولا ابن العبري بمعلومات ذات قيمة عنه، ولا حتى مدته، حيث اكتفى الرهاوي بالقول "واعطى ﴿ الكامل ﴾ اورشليم للامبراطور..وصار بينهم سلام مدة سنين محدودة"[٦٦٦] هكذا دون اي تفاصيل. اما ابن العبري فبجمع كلتا روايتيه ضمن تاريخ الزمان[٦٦٧] والمختصر[٦٦٨] فانه

---

(٦٦٣) أخبار الأيوبيين، ص ١٣٦.

(٦٦٤) لم نجد له ترجمة.

(٦٦٥)أخبار الأيوبيين، ص١٣٧.

(٦٦٦) تاريخ الرهاوي، ج٢، ص ٢٦٣.

(٦٦٧) ص ص ٣٧٢-٣٧٣.

(٦٦٨) ص ٢٤٤.

لايعطينا صورة واضحة عن هذا الصلح حيث ان الاخير اكتفى بذكر ان الكامل اعطى القدس للامبراطور فردريك مضيفا اليها بعض المدن الاخرى، دون ان يذكر اسماءها. اما ابن العميد وعن الاحداث نفسها فيقدم رواية تحفل بتفاصيل اكثر عن الصلح الذي تم التوصل اليه بين الجانبين حيث يحدد مدته قائلا "وانتظم الصلح عشر سنين وخمسة اشهر واربعين يوما اولها يوم الاحد الثاني والعشرين من ربيع الاول ﴿سنة ٦٢٦هـ ﴾ "[٦٦٩] كما ويعرض ضمن روايته اسماء بعض المدن التي تم التنازل عنها للصليبين مثل لد[٦٧٠] وتبنين.

إن ما يستوقفنا بخصوص استرداد الصليبيين للقدس هو موقف المؤرخين السريان حيث لم تلق هذه الحادثة اهتماما من قبلهم على الرغم من كون القدس هي القضية الأهم في الصراع المسيحي الاسلامي أنذاك، فضلا عن كونها المدينة الاقدس عند المسيحيين قاطبة، ان عدم الاكثرات لهذا الحدث من قبل المؤرخين السريان يدفعنا الى الاعتقاد ان المسيحيين الشرقيين ربما كانوا اكثر استفادة في ظل حكم المسلمين للقدس من حكم المسيحيين الغربيين الكاثوليك، لاسيما في ادارة الاماكن المقدسة التي كانت حكرا على اللاتين القادمين من اوروبا لما بين الفريقين من اختلافات مذهبية أدت بالنتيجة الى سيطرة الأقوى على الأماكن المقدسة، لذلك لم يكترث المؤرخون السريان بعودة المدينة المقدسة الى سلطة الصليبيين حيث اننا لم نهتدِ الى اي اشارة تدل على الابتهاج او السرور بل انهم ـ اي المؤرخين السريان ـ لم يؤرخوا لتلك الحادثة سوى بكلمات قصيرة لا تنم عن اي تفاؤل.

٤- الحملة الصليبية السابعة على مصر ونهاية الحكم الأيوبي فيها

---

(٦٦٩) أخبار الأيوبيين، ص ١٣٨.

(٦٧٠) لد: قرية تقع قرب بيت المقدس من ناحية الغرب . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٤

جاءت الحملة الصليبية السابعة[٦٧١] سنة (٦٤٧هـ/١٢٤٩م) والتي دعا اليها البابا انوسنت الرابع[٦٧٢] (٦٤٠-٦٥٢هـ/١٢٤٣-١٢٥٤م) كرد فعل على استرداد القدس من قبل المسلمين عام (٦٤٢هـ/١٢٤٤م)[٦٧٣]، لاسيما بعد فشل حملة ثيوبولد الشامباني Theobold of champagne سنة (٦٤٠هـ/١٢٤١م)[٦٧٤] فضلا عمّا مُني به الصليبيون من هزائم فادحة في بلاد الشام حيث أنزل المسلمون ضربات قاسية ببعض الممتلكات الصليبية هناك كما استعاد الملك الصالح أيوب طبرية وعسقلان عام (٦٤٥هـ/١٢٤٧م)[٦٧٥] حتى أصبحت باقي المدن مهددة بالضياع الأمر الذي دفع

---

(٦٧١) للمزيد حول الحملة الصليبية السابعة ينظر:

Joseph p. Strayer: the crusades of Louis IX, in setton, a history of the crusade, vol.2, pp. 487-518

(٦٧٢) البابا انوسنت الرابع: اعتلى كرسي البابوية في (٢٨ حزيران ١٢٤٣ - ٧كانون الأول ١٢٥٤م)وهو الذي دعا الملك لويس التاسع الى حملة صليبية خلال اعمال مجلس ليون عام ١٢٤٥م.

Richrd: the pops, pp. 199-200.

(٦٧٣) نسيم: العدوان الصليبي على مصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١، ص ٥١" قاسم عبدة قاسم: ماهية الحروب الصليبية، سلسة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠، ص١٥٧" عوض: العلاقات، ٣٠٥

(٦٧٤) عن تفاصيل تلك الحملة ينظر:

Painter: the crusade of theopald of champagne, in setton a history of the crusades, vol.2, pp. 443-485

(٦٧٥) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص٣٧٨" ابن دقماق: نزهة الأنام، تحقيق سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت،١٩٩٩، ص١٧٣.

الغرب الأوروبي الى إعداد حملة صليبية تزعمها لويس التاسع ملك فرنسا[٦٧٦]، تكون وجهتها مصر.

ان ما بين ايدينا من نصوص للمؤرخين السريان عن الحملة الصليبية السابعة، يقدمها كل من ابن العميد وابن العبري، فقد توقف كلاهما مليا في معالجة احداث هذه الحملة وما أفرزته من نتائج، فأما ابن العميد فيسوق لنا رواية مستفيضة ذات تفاصيل دقيقة مستعرضا فيها تواريخ الوقائع بالايام، ولا ريب في ذلك لم يكن من المعاصرين لتلك الحملة فحسب، بل انه مصري الاقامة، فهو بذلك يكون قد امتلك صفتين مهمتين جعلت روايته هي أكثر اهمية ودقة مقارنة مع ابن العبري.

يبدأ ابن العميد روايته التي فيها من المعلومات الفريدة بوصول الملك الصالح نجم الدين أيوب الى مصر في (١محرم٦٤٧هـ/١٦نيسان١٢٤٩م) قادماً من الشام على أثر أنباء وصول لويس التاسع[٦٧٧] ملك فرنسا على رأس قوات صليبية ضخمة الى دمياط، وبعد وصول القوات الإسلامية تقدم الملك الصالح الى مدينة المنصورة[٦٧٨]، هذا ولم تمض الا مدة قصيرة على وصول جيش الصليبيين حتى سقطت مدينة دمياط بيدهم، وبهذا الخصوص يؤخذ على ابن العميد انه لم يقدم أية معلومات ذات قيمة عن كيفية سقوط المدينة بيد القوات الفرنسية إلاّ أنه وبالرجوع ابن واصل، كونه أحد المشاركين في الجيش

---

(٦٧٦) ولد لويس التاسع سنة (٦١١هـ/ ١٢١٥م) في مدينة بواتي بفرنسا وتوفي سنة (٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م) اثناء الحملة على تونس. للمزيد عن حياة الملك لويس التاسع ينظر:

Lord John de Joinville: crusade of saint Louis, in the chronicles of the crusades, by Henry G. Bonn, London, 1848

(٦٧٧) ورد اسمه عند المؤرخين المسلمين (ريد افرنس وافرنسيس). ينظر: سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٧٩٧" ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ص ص ١٢، ١٣٣ " ابن الجزري: تاريخ ابن الجزري، ص٢٢٠" ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، تحقيق مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٣، ص١٩٢" النويري: نهاية الارب، ج٢٩، ص ٣٣٤.

(٦٧٨) أخبار الأيوبيين، ص ١٥٨

الاسلامي[٦٧٩] فقد اكتسب روايته طابعا توثيقياً من الطراز الأول حيث ينقل لنا معلومات غاية في الدقة عن كل ما دار في دمياط قبيل وصول القوات الصليبية من خوف وهلع بين أهالي المدينة عندما رأوا ضخامة القوات الصليبية، وبوصول هذه الأنباء الى الملك الصالح امر بمعاقبة امراء دمياط بأن اعدم عددا منهم يقدرهم ابن العميد بأنهم كانوا "نيفاً وخمسين اميراً "[٦٨٠]، إلا أنه وفي خضم تلك الأحداث الجسام توفى الملك الصالح الأمر في (شعبان٦٤٧هـ/ تشرين الثاني١٢٤٩م)[٦٨١]. وعن ذلك يقول ابن العميد ان خبر وفاته "كتم اياماً "[٦٨٢] لاشك ان صعوبة الموقف العسكري في مصر لم يكن ليسمح بإعلان خبر وفاة الملك الصالح لما له من تأثير سلبي على معنويات الجيش[٦٨٣]، حتى تمكن ابنه توران شاه من القدوم الى مصر (١٩ ذي القعدة ٦٤٨هـ/)[٦٨٤] وبهذا الصدد يروي ابن العميد ان امراء الجيش اتفقوا على تولية توران شاه (ت٦٤٨هـ/١٢٥٠م) مكان والده في قيادة الجيش[٦٨٥].

وعن المواجهات العسكرية التي دارت بين الجانبين فيشير ابن العميد انه في (١محرم٦٤٨هـ/نيسان١٢٥٠م) حاول الملك لويس بمعية قواته القيام بهجوم مباغت، الا ان الجيش الاسلامي تمكن من إلحاق هزيمة فادحة بقواته واسر الملك شخصيا خلال هذه

---

(٦٧٩) يذكر ابن واصل في أكثر من موضع انه كان موجودا مع الجيش الاسلامي في خضم تلك الاحداث. مفرج الكُروب، ج٦، ص ص ٧٥، ١٠٣

(٦٨٠) أخبار الأيوبيين، ص ١٥٨.

(٦٨١) المصدر نفسه، ص ١٥٩.

(٦٨٢)المصدر نفسه والصفحة.

(٦٨٣) الحسنياني: السنوات الأخيرة من حياة دولة الكورد الأيوبية، مديرية مطبعة الثقافة، اربيل،٢٠٠٧، ص١٦٧.

(٦٨٤) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص ١٦٠.

(٦٨٥) المصدر نفسه، ص ١٥٨" قارن مع سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص ٧٧٤.

المعركة(٦٨٦)، وينتقل ابن العميد مباشرة الى الحديث عن توران شاه، حيث يروي ان الاخير لم يحسن تدابير السياسة عندما ابعد بعض امراء والده وجعل مكانهم شباناً من أمرائه فهو بهذا العمل اثار حفيظة قادة الجيش ضده وتوجسو خيفة من توجهاته، الامر الذي ادى بالنتيجة الى ان يتأمرو على قتله وفعلا تم ذلك فقد تمكن بعض قادة المماليك من القضاء عليه في (٢٦محرم٦٤٨هـ/١ايار١٢٥٠م)(٦٨٧) والمواجهة على اشدها مع الصليبيين. ويختم ابن العميد روايته عن الحملة الصليبية السابعة بذكر الاتفاق الذي تم التوصل اليه بين الامراء المصريين والملك الفرنسي لويس التاسع على اطلاق سراح الملك مقابل انسحاب الصليبيين من دمياط حيث تم ذلك في (٣صفر٦٤٨هـ/ ٧ايار١٢٥٠)، وهنا يخطئ ابن العميد عندما يقول ان الملك الفرنسي وجيشه عاد الى بلاده بعد ان سلموا دمياط، فالثابت ان الاخير توجه الى عكا بعد ان اطلق سراحه(٦٨٨).

اما ابن العبري فان روايته تحفل بتفاصيل اكثر من رواية ابن العميد حيث انه قدّم رواية مسهبة عن مجريات احداث الحملة الصليبية السابعة ضمن كتابيه تاريخ الزمان السرياني وتاريخ مختصر الدول، الا انه يؤخذ عليه عدم دقته في بعض المواضع، فبخصوص وصول القوات الصليبية الى الشرق، يروي انها رست في مدينة عكا(٦٨٩) وهذا غير صحيح فالرجوع الى افضل مصدرين عن الحملة السابعة وهما ما دونه جوانفيل(٦٩٠) المرافق لحملة لويس التاسع نجده يؤكد ان القوات الصليبية رست امام

---

(٦٨٦) أخبار الأيوبيين، ص ١٦٠.

(٦٨٧) أخبار الأيوبيين، ص ١٦٠." قارن مع ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ص ١٢٨.

(٦٨٨) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ص ١٣٤"

Joinvill: crusade of saint louis, p.452

(٦٨٩) تاريخ الزمان، ص٢٥٨.

(٦٩٠) جوانفيل: هو(Lord John de Joinville)، ولد عام ١٢٢٤م وقد بدأ رحلته يصحبة الملك لويس في عام ١٢٤٨م وشارك في جميع مراحل الحملة الصليبية السابعة. ألفَ كتابا رائعا عن سيرة الملك لويس. ريموند ستانبول: مفاتيح القدس، ص ٢٢٧.

دمياط[٦٩١]، اما ابن واصل الذي يعد شاهد عيان على تلك الاحداث فهو الآخر يقول ان القوات الصليبية نزلت قبالة دمياط[٦٩٢]

اما فيما يتعلق برد فعل الملك الصالح على انسحاب امرائه من دمياط دون قتال، فيقدم ابن العبري روايتيين مختلفتين، الأولى ضمنها تاريخ الزمان السرياني ومفادها ان "الصالح أمر بصلبهم وهم اربعة وستون اميرا على اثنين وثلاثين صليبا زوجا زوجا"[٦٩٣] اما الرواية الثانية فقد جاءت ضمن تاريخ مختصر الدول حيث يشير فيها الى ان عدد الامراء كان ٥٤ أميرا[٦٩٤]، ومن المرجح ان تكون الرواية الثانية هي الاصح والدليل على ذلك كلام ابن العميد الذي يقول ان عدد من قتل من الامراء كان نيفا وخمسين اميرا[٦٩٥].

ويسعى ابن العبري الى تقديم تفسيرات جديدة بخصوص الاتفاق الذي تم التوصل اليه مع لويس التاسع حيث انه يختلف تماما عمّا ذهب اليه المؤرخون المسلمون وكذلك ابن العميد، اما وجه الاختلاف فهو ان الملك المعظم توران شاه هو الذي اتفق مع لويس التاسع على اطلاق سراحه مقابل الانسحاب من دمياط[٦٩٦]، في حين ان المصادر الإسلامية لم تتعرض البتة لهذه المعاهدة التي عقدت بين توران شاه ولويس التاسع، الا ان المؤرخ الصليبي (Joinville) المرافق للحملة الصليبية والذي وقع في الاسر هو الآخر يشير وفي موضعين[٦٩٧]، الى أن المباحثات حول عقد هدنة بدأت مع الملك المعظم توران شاه، ولعل

---

(٦٩١)Jjoinvill: crusade of saint Louis, p. 389

(٦٩٢) مفرج الكروب، ج٦، ص ٧٣.

(٦٩٣) ص ٢٩٤.

(٦٩٤) ص ٢٥٩

(٦٩٥) أخبار الأيوبيين، ص ١٥٨" قارن مع النويري: نهاية الارب، ج٢٩، ص ٣٣٥.

(٦٩٦) تاريخ الزمان، ص ٢٩٤" تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٠.

(٦٩٧) Joinville: crusade of saint Louis, pp. 437, 452

المؤرخين المسلمين المعاصرين خشوا ان يتعرضوا لهذه الاخبار وقتذاك لحراجة الموقف في الوقت الذي كانت فيه السلطة في مصر قد انتقلت من الأيوبيين الى المماليك[٦٩٨]

ونوّه ابن العبري الى بندٍ آخر ضمن الاتفاقية وهو ان يدفع الملك لويس مبلغ الف الف دينار كفدية[٦٩٩]، في حين يقول (Joinville) ان المبلغ كان أربعمائة ألف ليرة ذهبية يدفع الملك نصفها والنصف الاخر بعد وصوله عكا[٧٠٠].

٥ ـ الأيوبيون في بلاد الشام حتى مقتل الملك الناصر (٦٥٨هـ/١٢٦٠م).

كانت الدولة الأيوبية تعيش ايامها الاخيرة، فقد تكالبت عليها احداث جسام في (منتصف القرن ٧هـ/ منتصف ق١٣م) أدت بها الى الزوال، تمثلت بظهور المماليك في مصر والغزو المغولي لبلاد الشام فضلا عن الصراعات الأسرية المستمرة بين الملوك الأيوبيين التي أثرت سلباً على وحدة الصف الأيوبي بوجه تلك المتغيرات على الساحة السياسية والعسكرية.

إن ما بقي من روايات عن الأيوبيين خلال المدة التي تلت سقوط دولتهم في مصر، يقدمها كل من ابن العميد وابن العبري حيث عاصرا احداث تلك الحقبة. ففي سنة (٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) وكرد فعل أيوبي على المستجدات التي طرأت على الساحة المصرية، اقدم الملك الناصر يوسف (ت٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) حاكم دمشق على تجهيز حملة عسكرية الى مصر عله يتمكن من استعادة سلطة الأيوبيين هناك، وبقدر تعلق الامر بالمؤرخين السريان فلدينا روايتين: الاولى قدمّها ابن العميد وهي تزخر بتفاصيل لا بأس بها عن أحداث تلك الحملة[٧٠١] إلا أنها جاءت خالية من ذكر اي تواريخ على الرغم من كون ابن العميد معاصراً لها ومقيماً بدمشق آنذاك، الا أنه وبالرجوع الى رواية ابن واصل يتضح ان خروج الملك الناصر من دمشق كان في (١٥رمضان٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م) اي بعد حوالي ثمانية

---

(٦٩٨) جوزيف نسيم: العدوان الصليبي، ص ٢١٧

(٦٩٩) تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٠.

(٧٠٠) Joinville: crusade of saint Louis, p.452

(٧٠١) أخبار الأيوبيين، ص ١٦٢.

اشهر من مقتل توران شاه متوجها الى مصر[٧٠٢]، ونعود الى رواية ابن العميد حيث يقدم لنا تفاصيل مسهبة عن احداث المعركة التي دارت بين الأيوبيين والمماليك وما اسفرت عنه من انتصار المماليك وهزيمة الملك الناصر مستعرضا قائمة باسماء الملوك الأيوبيين الذين قتلوا في تلك المواجهات[٧٠٣].

أما رواية ابن العبري فجاءت مختصرة، قدم فيها تفسيرا مغايرا لسبب توجه الملك الناصر الى مصر حيث يقول: "حصل شقاق بين المماليك في مصر ووجه بعضهم الى الملك الناصر يحرضونه ليذهب ويتولاها "[٧٠٤]، وعلى الرغم من عدم اثبات ما ذهب اليه ابن العبري لدى كل من ابن العميد وابن واصل المقيم في مصر آنذاك، وليس من المستبعد حدوث مثل تلك الاتصالات بين بعض امراء المماليك والملك الناصر كون مصر حينذاك كانت تشهد صراعا وتنافسا حادا بين امراء المماليك الذين دفع الصراع والتنافس بعضهم الى البحث عن حليف خارجي، لكن الملفت للنظر هو ان اياً من المؤرخين السريان لم يتطرقا البته الى ما تم التوصل اليه من تفاهمات سياسية بين الأيوبيين والمماليك خلال الحقبة اللاحقة حتى (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) في حين ان المؤرخين المسلمين دونوا وبشئ من التفصيل تلك المصالحات بين الجانبين[٧٠٥].

يبدو ان الملوك الأيوبيين رضخوا للأمر الواقع ولم يحاولوا مرة اخرى استرداد الحكم للأيوبيين في مصر، لذلك نجد روايات المؤرخين السريان تتركز حول الأيوبيين في بلاد الشام وما تعرضوا له من هجمات على ايدي المغول، وبهذا الخصوص تفاوت اهتمام المؤرخين السريان بتلك الاحداث، ففي الوقت الذي قدم ابن العميد روايات مسهبة في اغلب الاحيان عن الاحداث التي دار رحاها في بلاد الشام حتى مقتل الملك الناصر يوسف سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) نجد ابن العبري اقل تدوينا عن بني ايوب في تلك المدة

---

(٧٠٢) مفرج الكروب، ج٦، ص١٥٤.

(٧٠٣) أخبار الأيوبيين، ص ١٦٢.

(٧٠٤) تاريخ الزمان، ص ٣٩٧" ناريخ مختصر الدول، ص ٢٦٠.

(٧٠٥) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ص ص ١٧٤- ١٧٥.

والسبب في ذلك ربما يعود الى ابتعاده عن مسرح الاحداث لكونه قد ترك بلاد الشام وتوجه الى مراغة، وعلى العكس من ابن العميد الذي عاش اكثر تلك الاحداث عن قرب بوصفه مقيما في دمشق حتى سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م).

مهما يكن من امر فان الشام وبلاد الجزيرة أصبحتا عرضة لهجوم شرس من قبل القوات المغولية سقطت على اثره مدنها الواحدة تلو الاخرى، في الوقت الذي لم يتمكن ملوك بني ايوب من تشكيل جبهة موحدة للوقوف بوجه الخطر المغولي، نستدل على ذلك من رواية لابن العميد ان "الملك الكامل...صاحب ميافارقين وصل الى خدمة الملك الناصر بدمشق وطلب منه النجدة على التتار فلم ينجده"[٧٠٦] فاضطر الكامل الى الرجوع والدفاع عن مدينته التي صمدت امام الحصار المغولي لمدة عامين حتى سقطت في سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) [٧٠٧] وأسر الملك الكامل على إثرها في جمادي الاول من العام نفسه[٧٠٨]، ثم قتل بأمر من هولاكو. اما رواية ابن العبري عن الاحداث نفسها فقد تضمنت معلومات لم ترد لدى ابن العميد، حيث يروي ان احد اسباب هجوم المغول على ميافارقين هو أن الملك الكامل "قتل قسيساً سريانيا كان قد اتاه موفدا من قبل المغول"[٧٠٩] واضاف ان قائد القوات المغولية في الهجوم كان اسمه اشموط[٧١٠].

يبدو ان الملك الناصر حاكم دمشق قرر النهوض بالمقاومة ضد المد المغولي، ورد ذلك من خلال رواية لابن العميد وهي ان الملك الناصر استشار كبار رجال دولته "فاشاروا بخروجه وخروج العساكر الى ظاهر دمشق وان يعتدّوا لقتال ﴿هولاكو[٧١١]﴾ "[٧١٢] وفعلا تم اعداد القوات الأيوبية سنة (٦٥٧هـ/١٢٥٩م) إلا ان ما انتشر بين

---

(٧٠٦) أخبار الأيوبيين، ص ١٦٧

(٧٠٧) عن استيلاء المغول على ميافارقين ينظر: ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج٣، ق٢، ص ص٥٠٠-٥١٠.

(٧٠٨) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ص ٢٧٦.

(٧٠٩) تاريخ الزمان، ص ٣١٤.

(٧١٠) ورد عند الهمذاني (يشموط) وهو ابن هولاكو. ينظر: جامع التواريخ، ج٢، ق١، ص٣٠٦.

(٧١١) يسميه ابن العميد هولاؤون.

(٧١٢) أخبار الأيوبيين، ص ١٧٠

الناس من قوة المغول وسطوتهم، لاسيما بعد سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) اثر سلباً في معنويات الملك الناصر وقواته كما وان تعرضه ـ اي الملك الناصر ـ لمحاولة اغتيال على حد قول ابن العميد[(٧١٣)] دفعه الى الرجوع عن عزمه في قتال المغول.

وبعد الانتصارات التي حققها المغول في بلاد الشام ارسل هولاكو الى الملك الناصر حاكم دمشق يطلب منه الحضور الا أن الاخير لم يبدِ استعدادا للذهاب خوفا مما قد يلاقيه وليس ادل على ذلك من قول ابن العبري "وبقي ﴿ الملك الناصر ﴾ متحيرا خائفا مذعورا لم يدر ما يصنع "[(٧١٤)] ولمعالجة الموقف فقد اشار عليه الامراء ارسال ولده الملك العزيز الى هولاكو لتقديم فروض الطاعة والولاء لكنه اي هولاكو لم يقبل ذلك ولسان حاله يقول: " نحن للملك الناصر طلبنا لا لولده "[(٧١٥)]. يبدو ان هولاكو كان مصرا على ان يأتي اليه الملك الناصر حتى بعد مغادرته لبلاد الشام، نستدل على ذلك من رواية لابن االعبري يقول فيها ان القائد المغولي كتبغا "لم يزل يبحث عن مكان الملك الناصر في البرية"[(٧١٦)] لقد انتهت تلك الملاحقة بالقبض على الملك الناصر، وعن كيفية القبض على الملك الناصر لدينا روايتين الاولى لابن العميد والاأخرى يقدمها ابن العبري. فأما الاولى فيخبرنا ابن العميد ان إلقاء المغول القبض على الملك الناصر جاء نتيجة خيانة أحد امرائه والذي يدعى حسين الكردي (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) الذي ذهب الى القائد كتبغا واعلمه بمكان الملك الناصر[(٧١٧)] حيث كان حينذاك مقيما في البلقاء[(٧١٨)].لم يشر ابن العبري الى ذلك رغم قربه من المغول حينذاك، حيث جاءت روايته وفي كلا مصنفيه مختصرة جداً لا تحتوي على اي اشارة الى ما ذهب اليه ابن العميد، فكل ما دونه ان القائد المغولي كتبغا القى القبض على الناصر وارسله الى سيده

---

(٧١٣) المصدر نفسه، ص ١٦٧.

(٧١٤) تاريخ مختصر الدول، ص ٢٧٨.

(٧١٥) المصدر نفسه والصفحة.

(٧١٦) تاريخ الزمان، ص ٣١٧.

(٧١٧) أخبار الأيوبيين، ص ١٧٥.

(٧١٨) البلقاء: كورة من اعمال دمشق تقع بين الشام ووادي القرى الى الجنوب. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٨٩

هولاكو[٧١٩] لكن رواية ابن العميد السالفة وردت لدى بعض المؤرخين المسلمين المعاصرين لتلك الأحداث، لاسيما ابن واصل الذي يروي أن من وشى بالملك الناصر لدى القائد كتبغا هو كردي من أصحابه[٧٢٠]، ويروي لاحقاً في معرض حديثه عن دخول سيف الدين قطز (ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) الى دمشق أنه أمر بشنق " الحسين الكردي طبردار[٧٢١] السلطان الملك الناصر وهو الذي خدع الملك الناصر...حتى أوقعه في أيدي التتر"[٧٢٢] إستناداً الى ما سبق نحن نرجح صحة رواية ابن العميد عن مصير الملك الناصر.

أياً كانت الرؤى فان ايام الملك الناصر لم تدم طويلا مع هولاكو فقد قتل هو وعدد من الامراء على اثر الانتصار الذي حققه المماليك في معركة عين جالوت[٧٢٣] سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م). وعن كيفية مقتل الملك الناصر، فبين ايدينا روايتان احداهما لابن العميد والاخرى لابن العبري ضمنها كلا كتابيه تاريخ الزمان والمختصر. ونأتي الى رواية ابن العميد حيث أورد خبر مقتل الملك الناصر مختصراً دون تحديد تاريخ وقوعه وعزا سبب قتله الى انتصار جيش المماليك في معركة عين جالوت[٧٢٤]، أما رواية ابن العبري وهي الأهم لكونه نقلها سماعا عن شاهد عيان وهو شخص يدعى محي الدين الفلكي[٧٢٥] الذي كان حاضرا مع الملك الناصر يوم قتله، فقد اعطانا تاريخا دقيقا

---

(٧١٩) تاريخ الزمان، ص ٣١٧" وهي مطابقة لما جاء في تاريخ مختصر الدول، ص ٢٧٠.

(٧٢٠) مفرج الكروب، ج٦، ص٢٨٠.

(٧٢١) الطبردار: كلمة فارسية، جمعها طبردارية، وهم في موكب السلطان يكونون حوله عن يمينه وشماله، مستعدين لضرب العدو الذي يجرأ على التقرب من السلطان دون إذن، وعددهم عشرة. دوزي: تكملة المعاجم العربية، ج٧، ص١٤.

(٧٢٢) مفرج الكروب، ج٦، ص٢٩٥.

(٧٢٣) للمزيد من التفاصيل عن معركة عين جالوت ينظر: عماد عبد السلام رؤوف: معركة عين جالوت، مجلة المورد، مج٢٦، ع١، ١٩٨٨.

(٧٢٤) أخبار الأيوبيين، ص ١٧٦.

(٧٢٥) لم نجد له ترجمة.

لليوم الذي قتل فيه الملك الناصر وهو (٢٠شوال٦٥٨هـ/٢٨ايلول١٢٦٠م)[٧٢٦]، كذلك يقدم وصفاً ممتازاً لما حدث للملوك الأيوبيين حيث يقول ان هولاكو بعث الى الملك الناصر يستدعيه فخرج اليه هو وحوالي عشرين شخصا ممن كانوا معه فذهبوا بهم الى بعض الاودية وقتلوهم هناك الا محي الدين الفلكي المذكور سابقاً حيث نجا لكونه كان منجما على حد قول ابن العبري[٧٢٧]. وبهاتين الروايتيين يختتم كل من ابن العميد وابن العبري تدوينهما لاخبار بني ايوب.

---

(٧٢٦) تاريخ الزمان، ص٣١٧" تاريخ مختصر الدول، ص ٢٨٠.

(٧٢٧) نفس المصدرين السابقين والصفحات.

الملاحق



الملحق رقم (١)

ورقة من مخطوطة تاريخ ميخايل السريانى

الموصل والجزيرة الفراتية وشمال الشام

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المخطوطة.

- الرهاوي المجهول، (كان حياً ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م):

١- تاريخ الرهاوي، العدد ٤٨٤، مخطوطة محفوظ عند السيد البير ابونا، مطرانية كركوك.

ثانياً: المصادر المطبوعة:

- ابن الاثير، عز الدين علي بن محمد الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

١- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق: عبد القادر احمد طليمات، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣

٢- الكامل في التاريخ، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٢.

- الأرمني، سمباط (مجهول الوفاة):

٣- تاريخ سمباط الأرمني، في الموسوعة الشاملة، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥، ج٣٥.

- الأرمني، أبو صلح:

٤- تاريخ ابو صلح، تحقيق B. T. Evetts، المطبعة المدرسية، أوكسفورد، ١٨٩٤.

- الأزدي، جمال الدين علي ابن ظافر (ت٦١٣هـ/١٢١٦م):

٥- أخبار الدول المنقطعة، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١.

- الاصطخري، ابراهيم بن محمد (توفي بعد ٣٤٠هـ/ ٩٥١م):
٦- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١.
- الأصفهاني، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م):
٧- البرق الشامي، الجزء الثالث تحقيق مصطفى الحياري، الجزء الخامس تحقيق فالح صالح حسين، مؤسسة عبدالحميد شومان، عمّان، ١٩٨٧
٨- سنا البرق الشامي(باختصار البنداري) ، تحقيق فتحية النبراوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٩.
٩- خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق شكري فيصل، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٤، قسم شعراء الشام.
١٠- الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار، القاهرة، ٢٠٠٤.
- آمدروز:
١١- صليبية ريتشارد، في الموسوعة الشاملة، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥، ج٣٢.
- اوليفر أوف بادربورن:
١٢- الأستيلاء على دمياط، في الموسوعة الشاملة، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥، ج٣٣.
- ابن إياس، محمد بن محمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م):
١٣- بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب، د.م، ١٩٦٠.
- الأيوبي، محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه (ت٦١٧هـ/١٢٢٠م):
١٤- مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٨
- البدليسي، شرفخان بن شمس الدين (ت١٠١٠هـ/ ١٦٠١م):
١٥- شرفنامة، ترجمة وتحقيق محمد جميل الملا احمد الروژبياني، ط٢، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، اربيل،٢٠٠١.

- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

١٦- مورد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز احمد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧

١٧- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطابع كوستا توماس، القاهرة، د.ت.

١٨- تواريخ اسرة بلانتنغنت، في الموسوعة الشاملة، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥، ج٣٠.

- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن احمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م):

١٩- تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار (المشهور برحلة ابن جبير)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

- ابن الجزري، ابو عبدالله محمد بن ابراهيم (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م):

٢٠- حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان ابنائه (المشهور بتاريخ ابن الجزري) جزء منه المسمى (المختار من تاريخ الجزري) اختيار: الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٨

- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

٢١- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر، اباد ، ١٩٣٩.

- الحنبلي، احمد بن ابراهيم (ت٨٧٦هـ/١٤٧١م):

٢٢- شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، تحقيق ناظم رشيد، دار، الحرية، بغداد،١٩٧٩

- الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٨١م):

٢٣- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

- الحنبلي، ابو اليمن مجير الدين (ت٩٢٨هـ/١٥٢١م):

٢٤- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٨

- الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف (ت٦٤٤هـ/١٢٤٦م):
٢٥- تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان (المشهور بالتاريخ المنصوري)، عني بنشره بطرس غريازنيويج، معهد الشعوب الآسيوية، موسكو، ١٩٦٣
٢٦- تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان ،تحقيق ابو العيد دودو، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨١.
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م):
٢٧- صورة الارض، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م):
٢٨- العبر وديوان المبتدأ والخبر (المشهور بتاريخ ابن خلدون)، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، د.ت
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م):
٢٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق يوسف علي طويل ومريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨
- الداوداري، أبو بكر بن عبدالله بن ايبك (ت٧٣٦هـ/١٣٣٥م):
٣٠- الدر المطلوب في اخبار بني ايوب (المشهور بكنز الدرر) تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٢
- ابن دقماق، صارم الدين ابراهيم بن محمد (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م):
٣١- نزهة الأنام في تاريخ الاسلام، تحقيق سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م):
٣٢- دول الاسلام، تحقيق حسن اسماعيل مردة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩
٣٣- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
- ابن الراهب، (ت ق٧هـ/ ١٤م):

٣٤- تاريخ ابن الراهب، تحقيق لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،١٩٠٣.
- الرهاوي المجهول (كان حياً ٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م):
٣٥- تاريخ الرهاوي، ترجمة البرا ابونا، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٨٦
- الزبيدي، المرتضى (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م):
٣٦- ترويح القلوب بذكر ملوك بني ايوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة، د.ت.
- ابن الساعي الخازن، تاج الدين علي بن انجب (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م):
٣٧- الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق مصطفى جواد، المطبعة الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤
- ابن سباط، حمزة بن احمد (ت٩٢٦هـ/١٥١٩م):
٣٨- صدق الأخبار، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس بريس، طرابلس، ١٩٩٣
- سبط ابن الجوزي ، شمس الدين يوسف قز اوغلو (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م):
٣٩- مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، ١٩٥٢
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م):
٤٠- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمد محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٠
- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر (٩١١هـ/ ١٥٠٥م):
٤١- تاريخ الخلفاء، تحقيق رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤.
٤٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، د.ن، بيروت، ١٩٧٩
٤٣- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤.

- أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م):
٤٤- كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢
٤٥- تراجم رجال القرنين السادس والسابع (المشهور بالذيل على الروضتين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢.
- ابن شداد، بهاء الدين يوسف بن رافع (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م):
٤٦- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية(المشهور بسيرة صلاح الدين)، تحقيق أحمد ايبش، ط٢، ألأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٥.
- ابن شداد، عزالدين محمد بن علي بن ابراهيم (٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م):
٤٧- ألأعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق يحيى عبارة، وزارة الثقافة والارشاد، دمشق، ١٩٦٨
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م):
٤٨- الملل والنحل، تحقبق أمير علي مهنا وعلي حسين فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م):
٤٩- تحفة ذوي الالباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تحقيق احسان بنت سعيد خلوصي وزهير حميدان الصمصام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٢
٥٠- الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الأرنأووط وتركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠.
- ابن الصقاعي، فضل الدين ابو الفخر (ت٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م):
٥١- تالي كتاب وفيات الأعيان، تحقيق جاكلين سويلة، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٧٤
- ابن العبري، غريغوريوس بن تاج الدين الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م):
٥٢- تاريخ الزمان، ترجمة اسحق ارملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩١

٥٣- تاريخ مختصر الدول، باعتناء انطوان صالحاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨

٥٤- الحماسة ، تحقيق وترجمة اغناطيوس زكا عيواص، ط٢، المنشورات الجامعة، طرابلس، ١٩٨٣

- ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م):

٥٥- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٨.

- ابن العميد، المكين جرجس (ت٦٧٢هـ/١٢٧٣م):

٥٦- أخبار الأيوبيين، تحقيق كلود كاهن، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥٨

٥٧- تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام ابو القاسم محمد الى الدولة الاتابكية، تحقيق Thomae Erpenii، ليدن، ١٦٢٥

- ابوالفداء، اسماعيل بن علي بن محمود (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م):

٥٨- تقويم البلدان، تحقيق رينود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠

٥٩-المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧

- ابن الفرات، ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٨٠٧هـ/١٤٠٤م):

٦١- تاريخ الدول والملوك (المشهور بتاريخ ابن الفرات) ، تحرير حسن محمد الشماع، دار الطباعة الحديثة، البصرة، ١٩٦٩

- ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق بن احمد (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م):

٦٢- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة(منسوب اليه)، تحقبق مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣.

- الفيتري، يعقوب (ت٦٣٧هـ/ ١٢٤٣٩م):

٦٣- تاريخ بيت المقدس، ترجمة سعيد البيشاوي، دار السروق، عمّان، ١٩٩٨

- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ/):

٦٤- القاموس المحيط، ط٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٣.

- القاضي الفاضل، مجير الدين عبد الرحيم البيساني (ت ٥٩٦هـ/١١٩٩م):
٦٥- رسائل القاضي الفاضل، تحقيق علي نجم عيسى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.
- القرماني، أبو العباس احمد بن يوسف (ت١٠١٩هـ/١٧٠٧م):
٦٦- أخبار الدول واثار الأول في التاريخ ، عالم الكتب، بيروت، د.ت .
- القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م):
٦٧- صبح الاعشى في صناعة الانشا، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
٦٨- مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبد الستار احمد فراج، عالم الكتب، بيروت، ١٩٦٤
- ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م):
٦٩- البداية والنهاية ، ط٤، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٢
- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م):
٧٠- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، ط٢، المجلس الأعلى للشؤون االاسلامية، القاهرة، ١٩٩٦
٧١- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقبق محمد مصطفى زيادة ، ط٢، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧
٧٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار (المعروف بالخطط المقريزية)، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨
- المنصوري، ركن الدين بيبرس (٧٠٢هـ/١٣٠٣م):
٧٣- مختارالأخبار، تحقيق، عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصري اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣
- مؤلف مجهول:
٧٤- ريتشارد وصلاح الدين (الحملة الصليبية الثالثة)، ترجمة وتحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

- ميخائيل السرياني، ايشوع بن ايليا آل قنداسي (ت٥٩٦هـ/١١٩٩م):
٧٥- تاريخ ميخائيل السرياني، ترجمة غريغوريوس صليبا شمعون، دار ماردين،حلب، ١٩٩٦
- النسوي، محمد بن احمد (ت٦٣٩هـ/١٢٤١م):
٧٦- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ احمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٣
- النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت٩٢٧هـ/١٥٢٠م):
٧٧- الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠
- النووي، يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م):
٧٨- المجموع، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٠
- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م):
٧٩- نهاية الإرب في فنون ألأدب، تحقيق محمد ضياء الدين الريس، الهيئة المصري العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢
- الهمذاني، رشيد الدين (٧١٨هـ/١٣١٨م):
٨٠- جامع التواريخ، ترجمة وتحقيق محمد صادق نشأت وآخرون، دار احياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.
- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م):
٨١- التاريخ الصالحي، في الموسوعة الشاملة للحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ج٢١، ١٩٩٥
٨٢- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، الاجزاء الثلاثة الاولى تحقيق جمال الدين الشيال، دار القلم، القاهرة، ١٩٥٧" الجزء الرابع والخامس تحقيق محمحد حسنين ربيع، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٢، ١٩٧٥ " الجزء السادس تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٤.
- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

٨٣- تتمة المختصر في اخبار البشر (المشهور بتاريخ ابن الوردي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦.

- وليم الصوري (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م):

٨٤- الأعمال المنجزة فيما وراء البحار(تاريخ الحروب الصليبية)، ترجمة وتحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٣.

- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

٨٥٤- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥

- ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (١٨٢هـ/ ٨٠٥م):

٨٦- كتاب الخراج، تحقيق محمود الباجي، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، ١٩٨٤.

ثالثاً: المراجع:

- أبونا، البير:

١-أدب اللغة الآرامية، ط٢، دار المشرق، بيروت،١٩٩٦

٢-تاريخ الكنيسة السريانية، ط٢، دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٣.

- إسحق، رفائيل بابو:

٣- احوال نصارى بغداد في عهد الخلافة العباسية، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٠.

- باركر، آرنست:

٤- الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

- برصوم، أفرام:

٥- اللؤلؤ المنثور في تاريخ الآداب السريانية، ط٣، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٦.

- بروكلمان، كارل:

٦- تاريخ ألأدب العربي، ترجمة يعقوب بكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧

٧- مادة (ابن العبري)، دائرة المعرف الاسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرون، د.ن، طهران، ١٩٣٣
- البستاني، بطرس:
٨- دائرة المعارف، مؤسسة مطبوعات اسماعيليان، طهران، د.ت.
- البغدادي، اسماعيل باشا:
٩- هدية العارفين الى اسماء المؤلفين واثار المصنفين، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- بندر اوغلو، عبد اللطيف وآخرون:
١٠- المعجم التركي العربي، مؤسسة ايف للطباعة، بيروت، ١٩٨٣،
- بيغوليفسكايا، نينا:
١١- ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة خلف الجراد، الحصاد، د.م، د.ت.
- التكريتي، محمود ياسين:
١٢- الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠
- تويلي، هيرمان:
١٣- التاريخ السرياني الرسمي، سلسلة ينابيع سريانية، مركز الدراسات والأبحاث المشرقية، بيروت، ٢٠٠٥.
- جوناثان فيلبس:
١٤- الشرق اللاتيني، ضمن تاريخ اوكسفورد للحروب الصليبية، تحرير: جوناثان رايلي سميث، ترجمة قاسم عبدة قاسم، عين للدراسات والبحوث الانسانية، القاهرة، ٢٠٠٧.
- الحايك، منذر:
١٥- العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٦.
- الحريري، سيد علي:
١٦- الأخبار السنية في الحروب الصليبية، دار الفكر، بيروت، د.ت.

- حسين. محسن محمد:
١٧- الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين. ط٢، دار آراس، اربيل، ٢٠٠٣
- حمادة،محمد ماهر:
١٨- الوثائق السياسية والادارية للعهود الفاطمية والاتابكية والايوبية، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٩٨٠
- الحياري، مصطفى:
١٩- صلاح الدين، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٩٤
- خليل، عماد الدين:
٢٠- الامارات الارتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠
٢١- عماد الدين زنكي، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، ١٩٨٥
- دوبراتشينسكي، يان:
٢٢- اوروبا والمسيحية، ترجمة كبرو لحدو، دار الحصاد للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٧.
- دوزي، رينهارت:
٢٣- تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د.ت.
- دوفال، روبنس:
٢٤- تاريخ الأدب السرياني، ترجمة لويس قصاب،منشورات مطرانية السريان الكاثوليك، بغداد، ١٩٩٢.
- رستم، سعد:
٢٥- الفرق والمذاهب المسيحية، ط٢، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٥،
٢٦- الفرق والمذاهب الاسلامية، ط٤، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق،٢٠٠٠.
- رحيم لو، يوسف:
٢٧- مادة (ابن العبري)، دائرة المعارف الكبرى، د.ن، طهران، ١٩٩٨.

- رنسيمان، ستيفن:
٢٨- تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠
- الزركلي، خيرالدين:
٢٩- قاموس الأعلام ، بيروت، ، د.ن، ١٩٦٩
- زكار، سهيل:
٣٠- حطين والفتح الصلاحي للقدس، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢
٣١- الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق وترجمة، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٥
- زيات، حبيب:
٣٢- الديارات النصرانية في الاسلام، ط٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٩
- الساحلي، نعيمة عبد السلام:
٣٣- الاستيطان الفرنجي، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٩.
٣٤- التوجهات السياسية للدولة الأيوبية، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٩،
- ساكا، اسحق:
٣٥- السريان ايمان وحضارة، د.ن، اربيل، ٢٠٠٧.
- سركيس، يوسف الياس:
٣٦- معجم المطبوعات العربية والمعربة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
- سرور، جمال الدين محمد:
٣٧- مصر في عهد الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية،، القاهرة، ١٩٦٠.
- سعداوي، نضير حسان:
٣٨- الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١
٣٩- التاريخ الحربي المصري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧

٤٠- المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢
- السيد، عبد اللطيف عبد الهادي:
٤١- الحروب الصليبية من خلال كتابات جاك دي فيتري، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، ٢٠٠٦.
- ابو شريخ، شاهر ذيب:
٤٢- موسوعة الأديان والمعتقدات، دار الصفاء، عمّان، ٢٠٠٤
- الشيال، جمال الدين:
٤٣- تاريخ مصر الاسلامية، دائرة المعار ف، القاهرة، ١٩٧٦
- شيخو، لويس:
٤٤- كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية،ط٢، دار المشرق، بيروت، ٢٠.
٤٥- وزراء النصرانية وكتابها في الاسلام، تحقيق كميل حشمة اليسوعي، المكتبة البولسية، بيروت، ١٩٨٧
- عاشور، سعيد عبد الفتاح:
٤٦- الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١.
٤٧- مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢.
٤٨- الناصر صلاح الدين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، د.ت.
- عبد الحكيم، زنار عبد السلام:
٤٩- ابن العبري مصدرا لدراسة تاريخ الكورد. دار سبيريز، دهوك، ٢٠٠٧.
- عبد القوي، زينب:
٥٠- الانكليز والحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة،١٩٩٦
- عبيد، اسحق تاوضروس:
٥١- روما وبيزنطة، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠
- العريني، السيد الباز:

٥٢- الشرق الادنى في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٧.
- العزاوي، عباس:
٥٣- التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان، شركة التجارة للطباعة، بغداد، ١٩٥٧
- العقيقي، نجيب:
٥٤- المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- عمران، محمود سعيد:
٥٥- الحملة الصليبية الخامسة (حملة جان دي برين على مصر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، ١٩٧٨
- العودات، حسين:
٥٦- العرب النصارى، الاهالي للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٢
- عوض، محمد مؤنس:
٥٧- عصر الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث، القاهرة،٢٠٠٦
٥٨- العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات والحوث، القاهرة،٢٠٠٠
- الفغالي، بولس:
٥٩- ابن العبري، منشورات الرابطة الكهنوتية،بيروت، ٢٠٠٢.
- فية، جان موريس:
٦٠- القديسون السريان، المعهد الالماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ٢٠٠٥.
- قاسم، عبدة قاسم:
٦١- ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٠
- قاشا، سهيل:
٦٢- تاريخ ابرشية الموصل، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٨٥
- القمي، عباس:
٦٣- الكنى والالقاب، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٦٩
- كب، هاملتون:

٦٤- دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة احسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤

٦٥- صلاح الدين دراسات في التاريخ الاسلامي، ط٢، دار بيسان، بيروت، ١٩٩٦.

- كروسيه، رنيه:

٦٦- الحروب الصليبية، ط٢، ترجمة احمد ايبش، دار قتيبة، دمشق، ٢٠٠٤.

- لين بول، ستانلي:

٦٧- صلاح الدين وسقوط مملكة بيت المقدس، ترجمة فاروق سعيد ابو جابر، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٥.

٦٨- طبقات سلاطين الاسلام ، ترجمة مكي طاهر الكعبي، دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٨

- بن مارس، كمال:

٦٩- العلاقات الاقليمية والحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الانسانية، القاهرة، ٢٠٠٤.

- المحامي، محمد كامل حسن:

٧٠- الجزية في الاسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- محمود، هنادي السيد:

٧١- مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الأول، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٨.

- مخول، موسى:

٧٢- الحضارة السريانية حضارة عالمية، دار بيسان، بيروت، ٢٠٠٩.

- مراد، كامل ومحمد حمدي البكري وزاكية محمد رشدي:

٧٣- تاريخ الأدب السرياني من نشأته الى العصر الحاضر، دار الثقافة للنشر، القاهرة، د.ت.

- مصطفى، شاكر:

٧٤- التاريخ العربي والمؤرخون، ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠
- المغربي، محمد عبد الشافي:
٧٥- آسيا الصغرى في العصور الوسطى، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الاسكندرية، ٢٠٠٥.
- المقدم، محمد عبد الله:
٧٦- الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية، دار العالم العربي،القاهرة، ٢٠٠٩.
- نسيم، جوزيف:
٧٧- العدوان الصليبي على مصر، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١
- نوري، دريد عبد القادر:
٧٨- سياسة صلاح الدين في بلاد مصر والشام والجزيرة، مطبعة الارشاد،، بغداد، ١٩٧٦
- واصف بك، امين:
٧٩- معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية، تحقيق احمد ذكي باشا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
- ويست، انتوني:
٨٠- الحروب الصليبية، ترجمة شكري نديم، شركة النبراس للنشر، بغداد، ١٩٦٧
- الهسنياني، موسى مصطفى:
٨١- سنجار (دراسة في تاريخها السياسي والحضاري)، دار سبيريز، دهوك، ٢٠٠٥.
٨٢- السنوات الأخيرة من حياة دولة الكورد الأيوبية، مديرية مطبعة الثقافة، اربيل،٢٠٠٧
- هنتس، فالتر:
٨٣- المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية ، عمّان ، ١٩٧٠
- اليسوعي، صبحي حموي:

٨٤- معجم الايمان المسيحي، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٨

ثالثاً: الرسائل الجامعية:

- أمين، نبز مجيد:

١- ابن المشطوب الهكاري- دراسة عن دور الهكاريين في الحروب الصليبية-، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة صلاح الدين، اربيل، ١٩٩١

- الصائغ. ذكرى عزيز محمد صالح:

٢- عصر الملك الكامل، رسالة ماجستير (غير منشورة)،كلية الآداب، جامعة الموصل. ١٩٨٨.

- ملا جاسم، ناصر عبد الرزاق عبد الرحمن:

٣- صلاح الدين في الدراسات الاستشراقية الإنكليزية والأمريكية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٢

رابعاً: البحوث العربية:

- اسحق، يوسف متي:

١- مصادر ابن العبري، مجلة المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، مج١١، ١٩٨٧.

- بهنام، غريغوريوس بولس:

٢- تعقب تاريخي في نسب ابن العبري، المجلة البطريركية، دمشق، ع١٣، ١٩٦٣

- الجومرد، جزيل عبد الجبار:

٣- دور الأسرة الأيوبية في تثبيت حكم صلاح الدين في مصر، التربية والعلم، جامعة الموصل، ع٨، ١٩٨٩.

٤- دور الخلافة العباسية في تشكيل العلاقات السياسي بيت قوى الأطراف الاسلامية(٦١٢-٦٢٢هـ/١٢١٥-١٢٢٥م)، مجلة دراسات (العلوم الانسانية-ملحق)، مج٢٤، عمّان، ١٩٩٧.

- حيي، يوسف:

٥- التواريخ السريانية، مجلة المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، مج٦، ١٩٨٢.

- الحياري، مصطفى:

٦- حصن بيت الأحزان، مجاة دراسلت، الجامعة الاردنية، مج١٣، ع٤، عمّان، ١٩٨٦

- رحيم، محمد:

٧- مصادر ابن العميد، مجلة رؤى،ع١٢، بحث منشورعلى شبكة الإنترنيت (www.adabihail.com)

- رؤوف، عماد عبد السلام:

٨- معركة عين جالوت، مجلة المورد، مج٢٦، ع١، ١٩٨٨.

- عاشور، سعيد عبد الفتاح:

٩- الأمبراطور فردريك الثاني، المجلة التاريخية المصرية، مج١١، ١٩٦٣

- عمران، محمود سعيد:

١٠- دور الملك المعظم عيسى في مواجهة الحملة الصليبية الخامسة، ندوة دولية (دمشق في التاريخ)، جامعة دمشق، ٢٠٠٦.

- عيواص، زكا:

١١- ابن العبري، مجلة المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، مج٥، ١٩٨٠.

- فية، جان موريس:

١٢- الفكر التاريخي عند السريان، مجلة الفكر المسيحي، ع٥٨، ١٩٨٩

- قاشا، سهيل:

١٣- صلاح الدين في المصادر السريانية، مجلة كاروان، ع ، ١٩٨٧.

المراجع والبحوث الانكليزية

أ ـ المراجع :

1- Baldwin M.W.: the decline and fall of Jerusalem, in K. Setton (edt): A history of the, university of Wisconsin press, 1969,vol.1

2- Blyth, Estelle: Jerusalem, and the crusades, T.C.&E. C.JACK, London.

3- Claude Cahen: al- makin b. al-amid, EIN, edt by C. E. BOSWORTH and others, leiden, vol.2 , 1991.

4- Dickens, Mark: Medieval Syriac Historians perceptions of the turks, Cambridge university, 2004.

5- Ehrenkreutz, Andrew S.: Saladin, university of new york press .u.s.a, 1972.

6- Edgar H. The forth crusade, in k. Setton (edt): A history of the crusades, university of Wisconsin press, 1969, vol.2.

7- Gabrieli: Arab Historians of the crusades, translated by E.J. Costello, Rutledge & Kegan Paul, London, 1969.

8- Gerard Sloyan: Christianity, in Historical atlas of the religions, Edt by Ismail Ragi al-Faroqi, Macmillan publishing CO, new york,1974.

9- Gibb: the rise of Saladin, in K. Setton (edt): A history of the crusades, university of Wisconsin press, 1969, vol:2 .

10- Jacob Abbott: Richard I, Harper & brothers publishers, New York, 1901.

11- Johanson: The crusade of Fredrick barbarossa, in K. Setton (edt), A history of the crusades, university of Wisconsin press, 1969, vol.2.

12- Joinville, Lord John: crusade of saint Louis, in the chronicles of the crusades, by Henry G. Bonn, London, 1848

13- Joseph p. Strayer: the crusades of Louis IX, in K. Setton, a history of the crusades, university of Wisconsin press, 1969, vol.2.

14- Lane pool: history of Egypt in middle ages, frank cass and co, London, 1963.

15- Lyons and Jackson: Saladin the political of the holy war, Cambridge university press, 1988.

16- Martin, Sean: The knights templar, cpd ltd pub, wales, 2004.

17- Michael Camberlain: the crusader and ayyubid, in Cam Hist of Egypt, Cambridge university press, 2008, vol: 1.

18- Noldeke: sketches from eastern history, Adam &Charles black, London, 1892.

19- Painter: the crusade of theopald of champagne, in K. Setton (edta): A history of the crusades, university of Wisconsin press, 1969, vol.2.

20- Peter W. Edbury: review of Anna-Marie Edd, chronique des ayyoubides, the English historian review, vol.112, No.446, 1997.

21- Regine Pernoud: The crusaders, translated by Enid Grant, Oliver & Boyd LTD, London, 1963.

22- Richard: Shawar, in EIN, edt by C. E. BOSWORTH and others, leiden, vol.9, 1991.

23- Richard: Saladin, EIN, edt by C. E. BOSWORTH and others, leiden, vol: 8, 1991.

24- Richard p. Brien: the pops, harp Collin publisher, London.

25- Robin fedden and Thomson: crusades castles, William claws and sons, London, 1957.

26- Segal: Syriac chronicles, in Lewis B. and P. H. Holt: historians the of Middle East, oxford, university press, London, 1964

27- Segal: Ibn al- Ibri, EIN, edt by C. E. BOSWORTH and others, leiden, vol.3, 1991.

28- Sylvia Schein: review of Anna-Marie Edd, chronique des ayyoubides, speculum, 1996, vol.71, No.3.

٢٩ - Stevenson: the crusaders in the east, slim press, Beirut,1968.

30- Van Cleve: the crusades of Fredric II, in K. Setton, a history of the crusades, , university of Wisconsin press, 1969, vol.2

31- W. Wright: catalogue of syriac manuscripts, London, 1871.

ب ـ البحوث:

1- Bar Abrahem: patriarch Michael the great beyond his world chronicle, JAAS, vol.12, 1998

2- Claude Cahen: À propos d'al-Makīn ibn al-Amīd, Arabica, 1959, T.6, Fasc. 2.

3- Lewis, Bernard: Saladin and the assassin, BOSAS, 1953, vol: 15, No:2

4- Sebastian Brock: Syriac historians writing.

(بحث بالإنكليزية منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، مج٥، ١٩٨٠)

5- Tritton & Gibb: the first and second crusades from the Anonymous syriac chronicle, JRAS, No.1, 1933

6- Weltecke: the world chronicale, JAAS, 1997, vol.11, No.2

Abstract

The Aiyubid dynasty had a distinguished status in the history of the Islamic east during the sixth century AH /the twelfth century AC, for the prominent role it played in the political and military scene of the Near East namely during the reign of the founder of the Aiyubid dunasty Salah al-Din Yusuf ibn Aiyub (567-589 AH /1171- 1193 AC); the role that enabled this dynasty to have a notable standing among other dynasties that ruled the Islamic Near East. The life of Aiyubid dynasty was the focal point of the early Islamic historians who were so keen to write about the life of that dynasty that they accumulated many books with titles referring to the Aiyubid dynasty, an interest that syriac historical did not have.

Recently, however, a good number of the writing in the East and the West and in different languages have been devoted to investigating the history of the Aiyubid state and its founder Selah al-Din, for the distinguished role this state played in the history of Islam and the resistance of the Crusaders ware which attracted many Muslim as well as Christian scholars and thinkers. each from his standpoint. However there has been no integral scholarly study in the Syriac writing that fully

investigated the history of Aiyubid. All that was done is merely scattered pieces of information in some researches and studies were not about the Aiyubid state.

It's undeniable of Syriac historians effectively contributed to recording the history of the Islamic East as they are part of the people inhabiting the culturally rich area. They writings shed light on the history of the region but from their own standpoint which differs from what the Muslim historian have written. This is why the title of this dissertation was phrased as (The Aiyubids in the Christian Syriac Chronicles). Thos and after detailed scrutiny, four Syriac historians who wrote about the Aiyubids was selected. The aim is to analyze these historians writings about the Aiyubids and then compare them (where necessary) with what the Muslim historians wrote about the same things.

The methodology adopted in this study is critical analysis based on scrutiny followed by scholarly criticism of the Syriac writings then compare them with the writings of the Muslim historians namely those contemporary to the Aiyubids to identify points of similarity and difference between the two camps so that to arrive at a clear picture of what the Aiyubids history is for the Syriac.

To achieve this point, the structure of the dissertation was based on chronological sequencing of the historical events.

Thus, there is an introduction followed by four main chapters and a minor chapter devoted to conclusion:

The introductions present the significance of the topic of the study inspection of the sources that were investigated.

Chapter One entitled (Syriac Historians: their methodology and sources in writing about Aiyubids), falls into two sections, sections One dealt identifies the four selected Syriac historians: (Michael Syriani, Alruhawi the anonymous, Ibn Al-Amid and Ibn Al-Ebri. A detailed biography about each of these some historians and their works is given. The second section is devoted to the study of the Syriac historians sources in writing about the Aiyubids.

The second chapter (Aiyubid in Egypt: evolution and development), also falls into two sections, the first investigates that ancestors from whom the Aiyubids have descended and the early beginning of the state formation from the Syriac standpoint and their relation with Zangis. This includes a presentation of Asadaddin Sherkos three campaigns on Egypt. The second investigates Salah al-Din emergence when he took the reign of Fatimid state and the hardships he faced during the early beginning of his reign till he put an end to the Fatimid state and his assertion of the Abbasids in Egypt.

Chapter three, is under the name (Aiyubid expansion towards Sham and Al-Jazira) is a detailed presentation of Salah

al-Dins attempts to from s solid united ally compromising Egypt and Sham and all the problems that accompanied his attempt till he eventually took control of most of Sham and al-Jazira in preparation for the decisive battle that spend a lot of time preparing his state for. This chapter also addressed the Third and how it affected both parties.

The fourth chapter (Aiyubid after Salah al-Din departure to the end of the Aiyubids reign in Egypt), this chapter is divided into two sections. Sections one study the Aiyubids life after Salah al-Din's death through analyzing what the Syriac historians have written and how that affected the Aiyubid state which was subject for many attacks by Zangid and crusaders who tried to seize the chance of the absence of a unified Aiyubid leadership to achieve some military and political winnings till salah al-Din brother could eventually regain control over the whole Aiyubids state. The second section is about what the Syriac historians wrote about Aiyubid dynasty and the efforts to reunite face fifth crusade and what subsequently conflicts within the Aiyubid dynasty followed as a result of the death of al- Malik al-Adil, with shedding some light on the relationship between that Aiyubid ruler and Fredrick II, during the sixth crusade and the subsequent giving in of Jerusalem to the crusade.

The conclusions part presents the most significant findings this has come out with.

كلمة شكر

بعد الشكر والحمد لله تعالى، يطيب لي أن أتقدم بعظيم شكري وخالص امتناني الى الأُستاذ الدكتور جزيل عبد الجبار الجومرد لتفضله بالإشراف على هذه الأُطروحة، ولتوجيهاته العلمية السديدة طيلة فترة كتابة هذا البحث والتي كان لها الفضل في خروج الأطروحة بشكلها الحالي، فله مني فائق الشكر والاحترام.

كما وأوجه شكري الى أساتذتي الكرام ممن تلقيت على أيديهم العلم والمعرفة خلال السنة التحضيرية، الأستاذ الدكتور محسن محمد حسين والأستاذ الدكتور صلاح الحيدري والدكتور حسام الدين علي غالب النقشبندي والدكتور كمال علي.

ولايفوتني هنا ان اقدم جزيل شكري الى حضرة الدكتور دلير أحمد(عميد كلية العلوم الانسانية/جامعة السليمانية سابقاً) والدكتور صلاح كانيي رئيس قسم التاريخ والدكتور سەروەر عبد الرحمن، لمساعدهم القيمة لي أثناء التقديم والقبول لدراسة الدكتوراه.

واتقدم بشكري وامتناني العميقين الى الزملاء الكرام ممن قدموا لي يد العون والمساعد طوال مدة اعداد هذا البحث وأخص منهم الدكتور ناصر عبد الرزاق جاسم أمين عام المكتبة المركزية بجامعة الموصل لما قدمه لي من تسهيلات لاستعارة الكتب، والدكتور صلاح محمد صالح لقيامه بترجمة بعض النصوص الإنكليزية والدكتور هشيار زكي حسن لتفضله بمراجعته الأطروحة من الناحية اللغوية والدكتور حيدر لشكري الذي زودني بعدد من المصادر اغنت الاطروحة كثيراً.

كما وأشكر السيد البير أبونا لما قدمه لي من مساعد للحصول على عدد من المصادر القيمة من مكتبته الخاصة، وكذلك أشكر السيد يوسف توما يوسف الذي

تعلمت على يديه مبادئ اللغة السريانية كما واشكر الأب وحيد توما عيسى الذي أفادني كثيراً في توضيح بعض المفاهيم المسيحية.

ومن باب الإعتراف بالجميل اقدم فائق شكري وامتناني الى زوجتي التي أخذت على عاتقها مهمة طباعة الأطروحة، ولصبرها معي طوال سنوات الدراسة للماجستير والدكتوراه.

كما واقدم شكري الى منتسبي المكتبة المركزية في جامعة كويه، ومنتسبي المكتبة المركزية بجامعة الموصل، والى جميع العاملين في مكتبة المتحف ومكتبة الأوقاف والمكتبة العامة بمدينة الموصل، والى مكتبة كلية بابل لعلوم اللاهوت في اربيل ومكتبة بطريكية كركوك.

ضمن سلسلة الكورد وكوردستان في المصادر التاريخية

١- الايزيديون في كتابات الرحالة البريطانيين.

٢- الايوبيون الأيوبيون في كتابات المؤرخين السريان.





دار موكريانى للطباعة والنشر
MUKIRYANI HOUSE FOR PRINTING & PUBLISHING
www.mukiryani.com
٢٠١٢